الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي ليابس –سيدي بلعباس–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية– شعبة التاريخ–

العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي–مقاربة سياسية–

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

عبد القادر الميلق

إشراف الأستاذ:

أ.د/محمد مجاود

المشرف المساعد أ.د/صالح بوسليم

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة سيدي بلعباس
محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس
صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مساعدا	جامعة غرداية
بن داهة عدة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
ودّان بوغفالة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
محمد الزين	أستاذ محاضر(أ)	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016-2017م

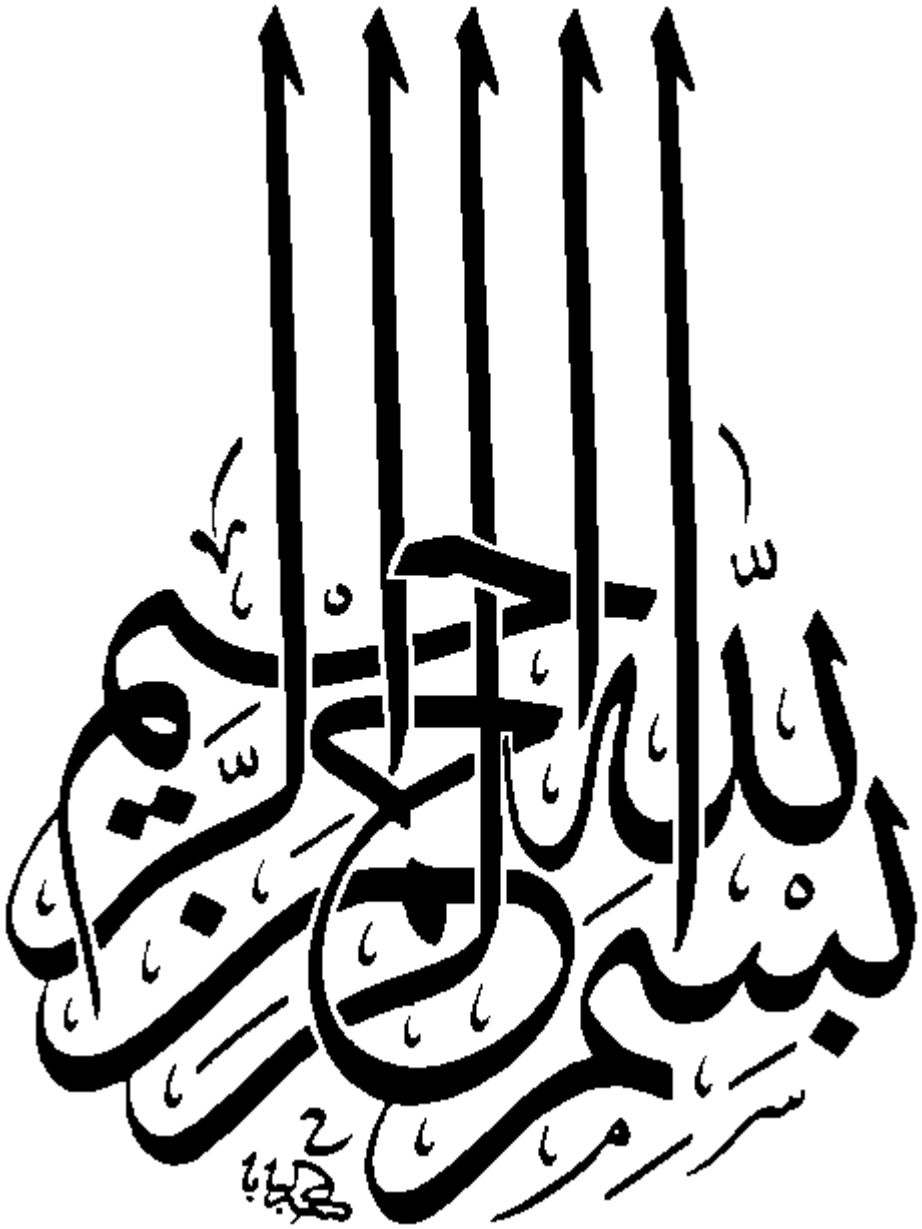
بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــكـر وعـــرفـــان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد من أجل إعداد هذا العمل .كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الذين سيتولون مناقشة هذه المذكرة وعلى تحملهم عبء قراءة هذه المذكرة .

وأخص بالذكر الأستاذين المشرفين،فضيلة الأستاذ الدكتور (محمد مجاود) وفضيلة الأستاذ الدكتور (صالح بوسليم) الّذين لم يدّخرا جهدا في متابعة مسار هذا العمل مذ أن كان مشروعا وإلى نهايته في شكله الموضوع بين يدي اللجنة الموقرة، وتصحيح الفصول بكل جدية ، حيث لم يبخلا عليّ بوقتهما ،رغم التزاماتهما المهنية والإدارية القاهرة،وكل ذلك كان يتم في تواضع وأستاذية متميزة،فالله أسال لهما أن يحفظهما ويعلي مقامهما في الدنيا والآخرة.وأن يجزيهما عنّي خير الجزاء.

إهـــــــداء

إلى العظيمة حقاّ وصدقا:أمي حفظها الله ورعاها،وجمعها في جنات النعيم مع سيد المرسلين محمد صل الله عليه وسلم...

إلى من أخذ بيدي إلى طريق العلم والمعرفة:أبي أطال الله في عمره،ونفعني الله بدعواته،فا للهم أدخله جنتك بغير حساب،ولا سابقة عذاب ....

إلى العائلة الكريمة....؛وأخص بالذكر بركة البيت:هاجر وخديجة طهيري حفظهما الله ورعاهما.

إلى طلاب العلم والمعرفة الحقّة...

أهدي هذا العمل...

الطـالـب الباحث:"**عبدالقادر الميلق**"

قائمة رموز الاختزالات(**Abreviations**):

1-باللغة العربية:

ج:الجزء ،ص:الصفحة.

ص ص:صفحتان فما أكثر.

ص م:صفحات متفرقة

د.ت:دون تاريخ.

ط:الطبعة.

ط.خ:طبعة خاصة

ع:العدد

مخ:مخطوط

خ.ع:الخزانة العامة بالرباط

تر:ترجمة

تق:تقديم

تن:تنسيق

تع:تعريب

د.م.ج:ديوان المطبوعات الجامعية(الجزائر).

د.م.ج:ديوان مطبوعات الجامعية(مصر)

ش.و.ن.ت:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

د.غ.إ:دار الغرب الإسلامي

غ.م:منشورة.

م.ت.ب.ع.م:مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

م.د.ب.ع.م.ت.م:مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات.

م.ت.م:المجلة التاريخية المغربية.

س.ن.م:سلسلة ندوات ومناظرات.

س.أ.ر:سلسلة أطروحات ورسائل.

2-باللغة الفرنسية:

P:Page

Op.cit:Ouverage Précédemment Cité

Ib idem: La Même Page Citée

PP:Pages

Seq:Les Pages Suivantes

Page Suivante :S

Sans Date:S.D

Vol:Volume

Fasc:fascicule

R.H.T: Revue Hspèris Tamuda

R.A: Revue Africaine

T:Tome

Tome Premier :T.I

T.VI: Tome Sixième

éd: édition

N: numéro

R.l'.O.M.M: Revue l'occident musulman et de la Méditerranée

Tard:Traduction

R. Eco :Revue économique

S.I.H.M:Sources inedites du L'histoire du maroc

مـقـــدّمـــــة

مقدّمة:

تكاد تجمع الكثير من الأمم والشعوب في أن من مصادر فخرها وعزها وبناء شخصيتها ومقومات وجودها؛ رصانة أواصرها السياسية،ولذا نرى في بعض سياسات التعليم في الدول التي تحترم شخصيتها وشعبها العمل على إدراجه في مقرراتها التربوية والعلمية وعمل مربيها على التعريف به جيلا بعد جيل.

إن التنوية والإشادة بموضوع العلائق في جميع مظاهرها يعتبر عملا أخلاقيا وإنسانيا في حق أولئك الذين قدموا انطباعاتهم وبصماتهم فيها،وهم في ذلك وطّنوا واستوثقوا روابط التلاقي بين الحكومات والشعوب.

وعملية توصيف وتحليل تلك البصمات في نظرنا لا تكون واضحة وجلية ومجدية، إلا في إطار الكشف عمّا تحويه العلاقات السياسية من ديناميكية تطوير الشعوب في إطار تطبيقاتهم التاريخية لها.ونظرا لما تحتويه أيضا من استبيان مستويات الفكر السياسي عند الأمم والشعوب ومالها من التأسيس لمظاهر سيادة الدول عبر العصور والأزمان.

ولا يخفى ما لتأثيرها من إمكانية فتح جسور وقنوات جديدة بين الشعوب قديما وحديثا.وكأني بها هي البوابة الحقيقية لما وصف به الإنسان من كونه مدني بطبعه.

ولا يعزب عن أي عاقل من أن الأواصر السياسية هي الصورة الحقيقية التي تجمع البشر جميعا برباط الأسرة الدولية الواحدة الذي يمتد من مساره الأول وموطنه الأم الأصل الإنساني الأول.

إن البحث في موضوع العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ/18م،يمثل مرحلة هامة بالنسبة لتاريخ بلاد المغارب بصفة عامة وتاريخ البلدين بصفة خاصة ونظرا لأهمية الموضوع ارتأينا؛التركيز على القرن المذكور،فالجزائر مثلا،احتوت على نماذج من رجالات السياسة في العهد العثماني.

وجاءت الدراسة موسومة بـ:" العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ/18م –مقاربة سياسية–"

ولذا فإن هذا البحث في موضوع العلاقات الجزائرية المغربية في فترة الدراسة يهدف بالدرجة الأولى إلى إبراز طبيعة ومظاهر العلاقات السياسية بين البلدين.

ولم يكن اختيارينا لهذا الموضوع بديهيا ولم يأت وحي الفؤاد أو عفو الساعة،وإنما تلاقت جملة من الوقائع والمعطيات المشجعة،التي دفعتنا إلى اختياره،أذكر منها:

– غياب شبه كلي لدراسة تتناول الموضوع–في حدود اطلاعي –من طرف الباحثين الجزائريين،وحتى الدراسات المغربية في الموضوع،وجهت إلى مسارات أخرى،حيث لاحظت أنها لم تهتم بجوانب المقاربة السياسية.

– إن أخذي زمام المبادرة في اقتحام دراسة الموضوع وفق منهج مقارباتي،يسعى لوضع أرضية ولو مبسطة للموضوع،علّها تكون نقطة بداية للتعمق في البحث أكثر فيها لاحقا.كما نهدف من خلالها إلى إبراز بعض وجهات النظر للباحثين الأكاديميين الجزائريين والمغاربة،وطبعا هذا وفق نظرة أكاديمية تتنافى مع الحساسيات الضيقة إن على المستوى الرسمي أو حتى المستوى الشعبي.

–محاولتي تكوين صورة عن مظاهر العلاقات الخارجية للجزائر العثمانية،بعيدا عن منطلقات المدرسة الغربية،و أيضا المدرسة المغربية،سّيما جانب العلاقات البينية المغاربية،في ظل وجود أربعة أنظمة سياسية أثرت في ارتسامات الموضوع؛فالأتراك العثمانيون في الباب العالي،وممثلوهم في السلطة الحاكمة بالجزائر،والسعديين والعلويين في المغرب الأقصى.

-تطرقي لهذا الموضوع هو ضرورة تمليها الوقائع والمستجدات،فهو موضوع قديم متجدد،ومن هنا رأيت واجب التأصيل المعرفي له فكرة،وتطبيقا،ومآلا،وأيضا تنوير الرأي الرسمي والشعبي على حد سواء ببداياته،ومظاهره،وتجلياته.

-محاولتي توضيح وتفسير العوامل المؤثرة في موضوع بحثي؛أي أن العوامل الخارجية كانت تتجاذبه أكثر ممّا تكيّفه الضرورات الداخلية.

-محاولتي تصحيح بعض المجازفات والأحكام العلمية والرؤى في موضوع العلاقات السياسية بين البلدين خاصة حقبتي المولى إسماعيل العلوي وحفيده المولى محمد بن عبد الله، كما نسعى إلى رصد الحقائق التاريخية،وفق ضوابط معرفية ومنهجية،تراعي القواسم المشتركة بين البلدين،وتباين اختيارات أنظمة الحكم بينهما،والتحديات الدولية المشرئبة حول أعناقهما خلال حقبة الدراسة.

أما بخصوص الإطار الزماني والمكاني للبحث، فإن الحيز المكاني للبحث يشمل على عوالم جغرافية ثلاث الدولة العثمانية في الأناضول والأتراك العثمانيين في إيالة الجزائر العثمانية،والعلويين بالمغرب الأقصى.وأما عن المبتدأ الزماني للبحث،فتناولته بين معلمين تاريخيين(1139-1204هـ/1672-1791م)؛فالتاريخ الأول يؤرخ لبداية حكم المولى إسماعيل العلوي والتاريخ الثاني يؤرخ لنهاية حكم سيدي محمد بن عبد الله العلوي.

يقابلها في الجزائر عهد الدايات،أي منذ عهد الداي شعبان(1094-1101هـ/1688-1695م) إلى غاية عهد محمد بن عثمان باشا داي الجزائر(1172-1197هـ/1766-1791م).

وكان اختياري لفترة تعادل تقريبا ربع قرن قبل القرن الثامن عشر لسبب استقصائي لطبيعة العلاقات بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وسلاطين الدولة العلوية بالمغرب الأقصى،أي توصيف وتحليل طابع العداء والنفور في فترة المولى إسماعيل العلوي،ذلك أن هذا الأخير تراوح حكمه بين الربع الأخير من القرن السابع عشر والعقد الثالث من القرن الثامن عشر،وانتهاء بفترة حكم سيدي محمد بن عبد الله العلوي كذلك

لتقصي طبيعة العلاقات بين الأتراك العثمانيين والعلويين،أي توصيف وتحليل طابع الانفتاح والتقارب،وهذا يفضي بنا أخيرا لبناء تصورات على ضوء مقارباتي.

وتتعلق إشكالية الدراسة بالظروف والعوامل التي تحكمت في علاقات البلدين خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي؟وكذا مظاهر تلك العلاقات وتجلياتها،وبماذا تميزت؟والطابع الذي غلب عليها،أهو السلم أم الحرب؟وما أثارها وانعكاساتها على الطرفين،وعلى الضفة الجنوبية للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؟

أمّا عن المنهج المتّبع في الدراسة، فقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي،باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية،وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا،وربطها ربطا تسلسليا وموضوعيا،بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية،وفق نظرة مقارباتية للموضوع،وفهم الدلالات العلائقية سلبا وإيجابا،ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق توظيف المادة التاريخية المثبتة في فهرس المصادر والمراجع.

أما عن الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث،فقد تمّ التركيز على المراجع الحديثة،والتي هي من نوع الدراسات الأكاديمية؛أي الرسائل الجامعية فقط،ذلك لأن نقد المادة التاريخية في هذا البحث أرجئها في قضايا التحليل والمناقشة،وأما كوني ركزت على هذه الأخيرة فقط،ذلك لأني أومن أنها هي الوحيدة التي تساهم في بلورة إشكاليات البحث،ومن ثم استخلاص تضاعيف الآراء والأحكام،خصوصا من طرف المغاربة في موضوع هكذا الذي يعتبر موضوعا حساسا،ومهما،ومشتركا لتاريخ البلدين السياسي.

ويسجل الباحث ملحوظة مهمة جدا،وهي أن المؤرخين المغاربة في مجال العلاقات السياسية بين البلدين حقبة التاريخ الحديث تناولوه بشكل ملفت للانتباه؛وذلك فيما يخص الحقبة كلها،واعتمادهم على مادة كان أساسها وقوامها ترسبات الخطاب التاريخي المغربي المحلي(مصادرهم المحلية)،وأيضا انطلقوا من تفسيرات وتحليلات وفي بعض الأحيان مقاربات كانت تدور في محاولة تفكيك إشكالية عدم خضوع المغرب الأقصى للدولة العثمانية،فلا غرابة أن نجدهم يدندنون حولها في جل أبحاثهم.

وأما عن الجانب الجزائري، فيمكن أن أسجل ملاحظة مهمة وخطيرة في نفس الوقت، حيث أن الأبحاث التي تعلقت بالقرن الثامن عشر في الجزائر،وخاصة على مستوى العلاقات البينية،ومنها الجزائر والمغرب الأقصى فقيرة جدا من الطرح الأكاديمي،إن لم أقل منعدمة كما سجلت بعضا من الدراسات انطلقت من القرن الثامن عشر،لكنها لم تخصه بالدراسة وحده،وإنما تعرضت للقرن الذي يليه.

ومن الدراسات الأكاديمية التي تناولت الموضوع في فترة القرن 10هـ/16م من قبل الباحثين الجزائريين ،نذكر مثلا الدراسة الأولى القيمة التي قدّمت من طرف الباحث (عمار بن خروف)،تحت عنوان:" العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/1517-1659م[1]،حيث ركّز فيه الباحث على توصيف للعلاقات؛من تجاذب وتنافر،وقدم قراءات ضافية لأسباب ذلك.

كما نوّه بمعوقات امتداد الاحتواء العثماني للمغرب الأقصى،وركز في نفس الوقت على العامل الأوروبي كرافد جديد ساهم في توسيع الهوة بين القوتين؛العثمانية والسعدية على وجه الخصوص.

وللأمانة العلمية أشير على أنه تمت مناقشة أطروحة دكتوراه[2] في جامعة الجزائر تحوم حول الموضوع،وهي دراسة ثانية،مع عدم استفادتي منها،ذلك لأنها حديثة عهد بالمناقشة.

ومع ذلك فقد سجلت بعضا من الملحوظات عنها:أن طبيعة العمل ركزت على جانب كبير من العلاقات العمودية،وأيضا لم تخصص للقرن الثامن عشر وقفات تحليلية،حيث نجد الباحث حسب ملخصه يعبر عنه في إطار توصيف الوقائع والأحداث.

كما نجده يركز على مشكل الحدود في هذا القرن بين الجزائر والمغرب،مع أنه كان حقيقة مشكلا رئيسا ومحوريا في العلاقات بينهما مع بدايات القرن السادس والسابع عشر ،وجزء يسير من بدايات العقد

---

[1] وهي في الأصل رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف: ليلى الصباغ،قسم التاريخ،كلية الآداب،جامعة دمشق(م)،دمشق1403هـ/1983م،وقد نشرت في جزئين:الجزء الأول جاء تحت عنوان:"العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي"،د.أ.ط.ن.ت،الجزائر2006،وأما الجزء الثاني فوسمه مؤلفه ب:" العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي"،د.أ.ط.ن.ت،الجزائر2006.

[2] عنوان الرسالة:"العلاقات المغربية العثمانية 1171-1265هـ/1757-1848م(غ.م)"،وقد أشرف عليها الأستاذ الباحث محمد العربي معريش،نوقشت بقسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية- بجامعة الجزائر2،الجزائر2015-2016م.

الأول من القرن الثامن،أما أننا خاصة في فترة العقود اللاحقة من القرن نفسه فلا نكاد نحوز على أخبار تنبئ عن ذلك.

كما كان تناوله للعلاقات بين العثمانيين والمغرب الأقصى مشتتا بين أكثر من مستوى لها؛السياسية،الدبلوماسية،الثقافية والاجتماعية،الاقتصادية.

وهناك دراسة ثالثة للباحث مكي جلول بعنوان:"مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من331-1263هـ/1234-1847م"[1]،قدمت هذه الرسالة في موضوع العلاقات بين البلدين،تأصيلا لأهم عامل ساهم؛عامل الحدود في اختلاف وجهات النظر لطبيعة العلاقات السياسية بينهما،وأيضا تتبع الباحث تطور قضية المحاددة من عصر إلى عصر خاصة في المغرب،طوال الفترة الحديثة وانتهاء بسنة 1847م،وكما بين طبيعة تشكل مشكل الحدود بين البلدين.

وأما عن الجانب المغربي فنجد كذلك دراسة أولى مهمة جدا،وقد اختصت بالقرن 10هـ/16م،وهي تعكس طرح المدرسة التاريخية المغربية لموضوع العلاقات بين البلدين،،قدّمت من طرف الباحثة(زهراء النظام)،تحت عنوان:"العلاقات المغربية -الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م[2]، حيث تناولت الباحثة موضوع العلاقات من وجهة نظر مغربية بحتة،وقد ركزت هي الأخرى على ما يسمى بناء التاريخ السياسي المغربي في القرن السادس عشر،تجلى في عدم خضوعه للدولة العثمانية،ثم إنها حاولت جاهدة توظيف مصادر غير محلية،إلا أنها رسخت ذاتية واضحة في عملها هذا،وكذلك أقصت وجهة نظر المدرسة الجزائرية في موضوع العلاقات،أقصد بها دراسة الباحث(عمار بن خروف) السابقة رغم تناوله له قبلها ربما بعقدين من الزمن.

---

[1] وهي في الأصل رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)،إشراف:مولاي بلحميسي،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1413هـ/1993م.

[2] زهراء النظام:العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية - ثقافية خلال القرن 10هـ/16م،د.أ.م،الرباط2015،وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث،كلية الآداب بالرباط.

أمر آخر يمكن ملاحظته عن العمل،هو أنه أراد تقديم مقاربة للموضوع سياسيا وثقافيا،ولكن الجانب الثقافي جاء فقيرا جدا،لا من حيث تغطيته كاملا،ولا من حيث مصادره،ولا من حيث عرض للصورة المكتملة عنه.

الدراسة الثانية كانت من طرف الباحث(مصطفى الغاشي)،وهو عمل أكاديمي،عنونه صاحبه بـ:"الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة،أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث،كلية الآداب والعلوم الإنسانية(غير منشورة)،إشراف:عبد الرحمان المودن،الرباط2001-2002م،مرقونة".

هذا العمل أراد صاحبه أن يبحث في أدب الرحلة المغربية،وأن يستجمع توصيفات هؤلاء،عن الدولة العثمانية في المركز،حيث يعتبر هذا العمل أيضا مهم جدا،إذ يعكس نظرة هؤلاء الرحالة للدولة العثمانية في جميع مستوياتها.وما أمكنني ملاحظته هو أن الرحالة المغاربة انطلقوا في رحالتهم هذه عبر وجهة نظر رسمية تعبر عن المخزن المغربي آنذاك هذا أولا.

ثانيا ماجاء فيها من ارتسامات عن العلاقات البينية جاء عرضا،ولا يمكنه أن يعطي صورة كما سماها مؤلفها حقيقية عمّا كان يحدث من حراك سياسي بين الأتراك العثمانيين،والمخزن المغربي؛أي السعدي والعلوي من بعده.

وقد استطاع مؤلفه جمع هذه النصوص الرحلية،وإخراجها من طي النسيان،ومن ثم هو عمل في رأيي يمثل ذاكرة الخطاب التاريخي المغربي،الذي كان في كثير منها يعبر عن وجهات النظر الرسمية.

الدراسة الثالثة كانت من طرف الباحث(عبد الرحيم بنحادة)،وهو كذلك عمل أكاديمي،عنونه مؤلفه ب:"المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن عشر[1].

---

[1]عبد الرحيم بنحادة:المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر،م.ت.ب.ع.م،زغوان1998، وهي في الأصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث،إشراف:محمد مزين،جامعة محمد بن عبد الله،ظهر المهراس،فاس 1995-1996م.

ولعل أهم ماميّز هذا العمل غناه من حيث المادة العلمية،حيث اعتمد على رصيد كبير من الأرشيف العثماني،بالإضافة إلى المصادر المغربية المحلية،قدم فيه مؤلفه دراسة جادة،وحقيقة تعتبر من بين الدراسات القليلة الجادة في العالم العربي خصوصا،والعالم الإسلامي عموما في تناولها لقضية العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية،ركز فيه على مسألة طرح العلاقات بين المغرب والدولة العثمانية على أساس الطرح الإشكالي،محاولا تجاوز كرونولوجيا الأحداث.

و أهم ما ميّز هذا العمل أن صاحبه مارس فيه مناهج بحثية متعددة،وحاول أن يعطي قراءات جديدة عن الموضوع،ولكن ما يمكن تسجيله عن هذا العمل هو ربما في كثير من جوانب بحثه كان يهتم بما يسمى بالجانب العمودي للعلاقات،في حين يهمل أو يقصر في تحليل زوايا العلاقات الأفقية بين الجزائر والمغرب.كما كان حريصا على عدم التفريق بين وجهات نظر أتراك الجزائر عن الباب العالي،واعتبرهم تابعين للباب العالي في رسم علائقهم الخارجية،وهذا في نظرنا لم يستقر لهم في كثير من الأحيان.

الدراسة الرابعة كانت من طرف الباحث(عبد الرحمان المودن)،وهي دراسة كتبت باللغة الفرنسية،تحت عنوان:

(Abderahman El Mouden : Les Relations Maroco –Ottomanes Quelques Grandstraits Dun Culture Diplomatique).

ركّز فيها على دراسة رسائل عثمانية تعود للقرنين السادس والثامن عشر الميلاديين،وكان هدفه من ذلك هو رصد الخطاب العلائقي وطبيعته بين المغرب والباب العالي،ومن خلال ذلك إبراز طبيعة العلاقات الدبلوماسية بينهما.

ومن بين ما رصده على سبيل المثال لا لحصر،قضية مسميات سياسية من طرف الباب العالي للمغرب الأقصى،حيث عبر عن هذا ب:"...إشعار واحد وتنبيهين في التسمية العثمانية الرسمية في التوجه إلى حكام المغرب في هذه الجملة الطويلة:الحاكم وصف بالعاهل(السلطان)وسمي البلد (المغرب) في حين كان الاستعمال النظامي والمتردد منذ القرن 16م و حاكم فاس،حاكم إمارة فاس..."[1].

مثل هذه الدراسات الجادة تعتبر بالنسبة للمهتمين بالتاريخ السياسي والدبلوماسي للمغرب الأقصى والدولة العثمانية قيمة علمية مضافة بحق.

أما عن الخطة المتبعة في البحث، فقد اشتملت على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ضمّنتها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات رأيت أنها ضرورية في البحث.وفيما يلي عرض للخطة إجمالا:

الفصـــل الأول:فعنونته بـ:الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب الأقصى قبل القرن 12 هـ/18م،تضمّن مايلي:

المبحث الأول وسمته: بالتكوين السياسي والإداري في إيالة الجزائر:الأثر والتأثر،حيث قسمته إلى العناصر الآتية:

عالجت فيه الوضع السياسي في إيالة الجزائر،كما تطرقت إلى معالم التشكل السياسي والإداري في إيالة الجزائر.

أما المبحث الثاني:عنونته بـالوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى،حيث قسّمته إلى العناصر الآتية:تناولت فيه الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى(وخصصت بالذكر العهدين؛ العهد السعدي و العهد العلوي).

---

[1]Abderrahmane Moudden:"The Sharif and the Padishah".Some Remarke on Moroccan Ottoman Relations in the 16th century,in(H.T),Vol: XXVIII, Fasc. unique, 1990,p 7.

أما المبحث الثالث فخصّصته لـ:البنية الداخلية في البلدين وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية:وذلك من خلال التطرق إلى أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين محليا، ثم بينت أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين إقليميا ودوليا.

وجاء عنوان **الفصل الثاني**،بعنوان:العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين،حيث ذكرت فيه مايلي:

أولا: وسمته بـ:العوامل الرتيبة المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين)،حيث جاء مشتملا على العوامل الطبيعية والتاريخية.

ثانيا:عنونته بـ:العوامل الظرفية المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين،تطرقت فيه إلى: التالية الآتية:

الصناعة العلائقية بين فلسفة نظام الحكم في البلدين والتغلغل الأوروبي،والصناعة العلائقية بين وحدة العنصر البشري وتماثل منابع الفكر الصوفي في البلدين.

وأما عن **الفصل الثالث** فقد تناولت فيه:مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان إسماعيل العلوي 1139-1194هـ/1672-1727م،ضمّ هو كذلك ثلاثة جزئيات:

أولا:تناولت فيه: تاريخانية العلاقات السياسية بين البلدين منذ مطلع القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حيث ضم العناصر الآتية:

مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وفلول الوطاسيين بالمغرب الأقصى،وكذا مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر والسعديين بالمغرب الأقصى.

ثانيا:حيث خُصّص لدراسة:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة،حيث قسّمته لعناصر منها:الدعاية الدبلوماسية وتفكيك المخزن المغربي للتركيبة الاجتماعية للقبائل المتحاددة.

ثالثا:عنونته بـ:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة المقارعة والمصارعة المتوثبة)،هو الآخر قسمته للجزئيات الآتية:الإستراتيجية العسكرية والسياسية في فلسفة الحكم في البلدين للاحتواء السياسي

للمغارب. كما تناولت فيه الدعوات السياسية المغربية الإقليمية المناوئة في عهد المولى إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م) وموقف الأتراك العثمانيين.

وأما **الفصل الرابع**،فقد تناولت فيه:مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي 1171-1204هـ/1757-1790م، حيث ضم العناصر الآتية:

أولا:عنونته بـ:العوامل المؤثرة في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين:من الانفتاحية إلى التعاونية،ضمّنته العناصر الآتية:كتأزم أوضاع المغرب سياسيا بعد وفاة السلطان إسماعيل العلوي،والوضع السياسي في الجزائر خلال عهد الدايات.

ثانيا:وسمته بالعلاقات الجزائرية المغربية،حيث تطرقت فيه إلى:مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية، مركزا فيه على طبيعة الانفتاح السياسي.

ثالثا:العلاقات الجزائرية المغربية،تناولت فيه مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية،وذلك بالتركيز على طبيعة الانفتاح الدبلوماسي.

وجاءت خاتمة الدراسة مُتضمّنة للملاحظات والاستنتاجات التي توصّل إليها الباحث،وأرفقتها بتوصيات في محاولة لإثراء الموضوع من جوانب مختلفة في المستقبل القريب إن شاء الله .

وحرصا منّي على اكتمال الصورة التاريخية والوصول إلى نتائج علمية حول موضوع "العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ/18م -مقاربة سياسية-"،وإبراز أهم مظاهرها ونتائجها خلال تلك الفترة،فإن هذه الدراسة استقت معلوماتها من مصادر أولية،ومراجع هامة متنوعة عربية وأجنبية ومن أهمها:

1-الوثائق الأرشيفية المنشورة باللغة الأجنبية:

اعتمدت كغيري من الباحثين على مجموعة لابأس بها من الوثائق الأجنبية التي كانت تعبيرا عن وجهة هؤلاء،ومنها ماقام به كل المستشرق الفرنسي(هنري دوكاستري)والموظف الحكومي بوزارة الخارجية الفرنسي

هو كذلك(أوجين بلانتي)،الأول نشر محفوظات الدول الأوروبية التي كانت على إتصال بالمغرب الأقصى،والثاني نشر كذلك محفوظات ووثائق الجزائر في البلاط الفرنسي.

ونشر تحت اسم:"المصادر الدفينة لتاريخ المغرب" في 21مجلدا، كما هو مبيّن أدناه،هذه الوثائق تنوعت بتنوع علاقات المغرب الأقصى مع الدول الأوروبية،ولكنها في مجملها كانت على نسق خطاب واحد؛أولا من حيث أن أصحابها كانوا إما مرسلين من قبل سادتهم أومن قبل مؤسسة الكنيسة،ثانيا كانت كتاباتهم تنصب حول قضايا مشتركة،منها:قضية القرصنة حسب مسمّاهم لها،وأيضا طبيعة التمثيل القنصلي التجاري ببلاد المغارب.

وكانت استفادتي منها تكاد تكون في جزئية واحدة،وهي بيان تأثير عامل التغلغل الأوروبي،وصياغته في كثير من الأحايين طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين فترة الدراسة.

1-De Castries Henry:Sources inedites du L'histoire du Maroc1530-1845,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques deFrance,3 T,Paris1905.

- les sources inédites de L' histoire du Maroc ,1 e serie, 4 dynaste saadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , 3T , Paul geuthner ,paris et Luzace , londne1918.

-Sources inedites du L'histoire du maroc1530-1845,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques de l'Espagne ,3 T,Paris1961.

-Sources inedites du L'histoire du maroc 1486-1516,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques de Portugal ,5 T, Paris1934-1953.

وأما عن العمل الثاني، الذي نشر تحت اسم:"مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي" في جزئين، كما هو مبيّن أدناه. فقد كانت استفادتي من هذا العمل تتركز على نقطة مهمة رأيتها تستحق

التنويه والتعريف بها لدى باحثينا،ألا وهي بدايات أو إرهاصات بناء إتحاد المغارب،أو عثمنته كله مع الداي شعبان،وهذه تعتبر لفتة في التأريخ للفكر السياسي في الفترة الحديثة لدى أتراك الجزائر آنذاك.ومما أفادني كذلك هو معرفة موقف الباب العالي من أتراك الجزائر في علاقاتهم السياسية مع المغرب الأقصى.

ولكن مع توخينا للأمانة لنترك أحد العارفين بخبايا هاته الوثائق،حيث يقول:"...هناك مفارقة صارخة بين غزارة المادة الوثائقية وتفاهة موضوعاتها..."[1].

2-Eugène plantet:Correspondance des deys Alger avec la cour de France, (1579-1833), Paris1889,2T.

2-المصادر العربية:

هذه الدراسة كانت غنية من حيث مادتها الخبرية التي استقيتها من المصادر العربية،لذا أرى أن أقتصر على الأهم فقط،وأما عن البعض الآخر، فالمنهج التحليلي في ثنايا هذه الدراسة استنطقها هي كذلك. أختار من كما سبق معي في قسم الدراسات السابقة نماذج من البلدين تعبر عن الوجهتين معا منها:

أ-نموذجين من الجزائر:

1-كتاب مجهول:غزوات عروج وخير الدين،تحقيق:نور الدين عبد القادر،مطبعة الثعالبة،الجزائر1934.

ويعتبر هذا الكتاب مهم جدا،ذلك أنه أول من خلد الوجود العثماني بالمغارب ومنها الجزائر،حيث يرصد لنا تطلعاتهم في عثمنته،وأيضا يبرز لنا طبيعة علاقات الأهالي بهم ،ومنها الجهة الغربية(بايلك الغرب)،ومنه إلى المغرب نجده يرصد لنا بدايات تشكل الخطاب العلائقي وإبراز الجانب الرسمي منه،وغاياته، بينهم وبين حكام المغرب الأقصى.

---

[1] عبد الله العروي:مجمل تاريخ المغرب،ط1،م.ث.ع،المغرب 2007،3ج،ج3،ص451.

2-محمد أبو رأس الجزائري:فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته،تحقيق:محمد بن عبد الكريم الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1986.

وسبب اختياري لهذا الكتاب، يعود لبيان قيمته،هو أنه يعتبر من بين المصادر المحلية الجزائرية القليلة التي التفت إلى مسألة الحدود بين البلدين في نهاية العقد الأخير من القرن الثامن عشر ميلادي.كما استفدت منه أيضا في تكوين ملمح عن بدايات الحضور الشعبي في العلاقات السياسية بين البلدين.

ب-نموذجين من المغرب الأقصى:

1-علي بن محمد التمجروتي:النفحة المسكية في السفارة التركية(1589)،تحقيق:محمد الصالحي،دار السويد للنشر والتوزيع،لندن 2007.

يعتبر هذا الكتاب أول الكتابات التاريخية المغربية في عهد السعديين الذي اهتم بمسألة الخلافة في بلاد المغارب آنذاك،وفي إرجاعها للشرفاء السعديين،وعليه نراه كذلك أول مصدر يعبر عن مستويات العلاقات بين البلدين،أي في مستواها الرسمي وفقط.

2-أحمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعدية1165-1233هـ)،الطبعة الأولى،تحقيق:أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط1986.

هذا الكتاب كان بحق المصدر الأول في الدولة العلوية،نظرا لما اشتمل عليه من رسائل ووثائق عنيت بعلاقات العلويين الخارجية،ومنها العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى،كما أتاح لنا معرفة الخطاب الرسمي تجاه حكم ونظام العثمانيين بالمغارب.

3-المصادر الأجنبية المعرّبة:

1-مويط:رحلة الأسير مويط،ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر،دار المناهل للطباعة والنشر ،المغرب1989.

يعتبر هذا الكتاب معاصر للسلطان إسماعيل العلوي هذا من جهة،ومن جهة أخرى وردت فيه بعض جوانب السياسة الداخلية لإسماعيل العلوي،حيث أن هذه الأخيرة أعطتني تصور وبناء لبعض مواقفه العلائقية من أتراك الجزائر آنذاك.

4-المصادر باللغة الأجنبية:

1-Laugier de Tassy: Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam ,Henri du Sauzet ,Sans Date.

يعتبر كتاب (لوجي دي تاسي)، من أهم مصادر القرن الثامن عشر بالنسبة لتاريخ إيالة أو مملكة الجزائر كما سمّاها.كانت إفادتي منه في استخلاص نقاط مهمة أغفلتها الدراسات الحديثة في تناولها للعلاقات السياسية بين البلدين،هذه النقطة تتعلق بتقديم الداي شعبان أثناء حروبه مع إسماعيل العلوي لمنطق السلم والاتفاق،لا منطق الحرب والمليشيا كما نعت بها سواء من طرف الكتاب المغاربة وحتى الأجانب.

1-Louis Chénier: Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc ,Paris 1787, 3T.

يمتاز كتاب القنصل الفرنسي(لويس دي شنييه) الذي كان معاصرا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله من الكتب التي لم تنل حظها من الدراسة والتقييم.إن هذا العمل جمع بين المعاصرة وبين استخدامه لقدر كبير من الوثائق بحكم وظيفته الحكومية آنذاك،لقد تعرض بإسهاب للسياسة المغرب الداخلية والخارجية مع النقد والمساءلة هاته الأخيرة لم نلمسها في مصادرهم المحلية.كما عرج عن طبيعة علائقه السياسة الخارجية مبينا أنها كانت من إملاءات أوروبية خاصة في جانبها الإسلامي،ومنها العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى.

5-المراجع الأجنبية المعرّبة:

1-رامون لوريدو دياث:السياسة الخارجية للمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر(على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله)، الطبعة الأولى،ترجمة:مولاي أحمد الكمون وبديعة الخرازي، إشراف:عبد الكبير العلوي الإسماعيلي،النجاح الجديدة،الدار البيضاء2013، يقع في جزآن.

وقد أفدت منه في توثيقه للعمل السياسي والدبلوماسي وطبيعته في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

2-شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقيا الشمالية،تونس،الجزائر،المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة1830 ،ترجمة: محمد مزالي والبشير سلامة ،الدار التونسية للنشر، تونس 1978، يقع في جزآن.

كان اعتمادي عليه في تبسيطه سياسات أنظمة المغارب فترة الدراسة،كما أفادني في قضايا النقد والتقويم لتلك العلاقات بين البلدين وذلك من خلال محاولاته توصيف طبيعتها.

لا تخلو أيّ دراسة علمية أو أي عمل بحث أكاديمي جاد من صعوبات ومعوقات تسهم في التأثير على العمل المطروق للبحث،وقد واجهتني في بداية الأمر صعوبة تصميمه خاصة في غياب دراسات جزائرية حول الموضوع،والتصميم هنا يتفرع على مستويين:أولا: على المستوى المنهجي،ثانيا:على المستوى المعرفي للموضوع.

يضاف إليها قلّة المادة الخبرية الجزائرية في موضوعي، جعلت مني أغطيه بالمادة الخبرية،المغربية والأجنبية،هاته التغطية كانت عائقا بالنسبة لي،حيث كرّست وجهات نظر مغربية،وأخرى غربية،الأمر الذي دعاني إلى محاولة مسايرتها في إبراز وجهة نظر المدرسة الجزائرية،هذا في حد ذاته كان أكبر تحدي واجهني في بحثي.

وهنا لابد أن أسجل أنني منذ العام الثاني أقعدني المرض عن متابعة بحثي،وحال بيني وبين السفر للبحث عن المادة الوثائقية الموجودة في المغرب الأقصى،بل إنني لم أسافر حتى للمكتبة الوطنية الجزائرية

بالجزائر[1]،بسبب الوضع الصحي.الذي أعقبة إجراء عملية جراحية تبعتها عطلة مرضية طويلة إلى غاية جانفي من هذا العام الجاري.

وأسجّل أنني حاولت جمع المادة الخبرية الأجنبية،حيث أمكنني الحصول على دراسات باللغة الإسبانية والإنجليزية،التي ربما في كثير من الأحيان وجدت صعوبة في ترجمتها ترجمة تحافظ على روح معاني مؤلفيها،الأمر الذي حدا بي إلى إعادة ترجمتها مرات ومرات.

وفي الأخير أعلم أنني حين تقديمي لهذا البحث أنه يحتاج للتصويب والتقويم،والذي هو عمل لجنة المناقشة التي وكل لها مناقشة الأطروحة وتقييمها،ومن هنا أجد نفسي شاكرا لها هذا الفضل والتفضل بالتكرم عليّ بالملاحظات والتوجيهات السديدة،وأدعو الله عز وجل أن يجزيهم عني وعن العلم خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتوجّه بالشكر والعرفان للأستاذين الفاضلين، الأستاذ الدكتور محمد مجاود المشرف الرئيس على هذا العمل،و الأستاذ الدكتور صالح بوسليم المشرف المساعد لما حظيت به من حسن التوجيه والتعلّم على أيديهما،حيث كان ذلك يتم في تواضع وأستاذية متميّزة،فالله أسال أن يحفظهما ويُعلي مقامهما في الدنيا والآخرة.وأن يجزيهما عنّي خير الجزاء.

وفي الأخير فإن أصبت فهو بتوفيق من الله سبحانه الذي أعانني وسدّدني في عملي فله الشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة،إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

[1] هنا لابد من إعلام لجنة المناقشة الموقرة أنه وبحمد الله أمكنني الحصول على وثيقة تاريخية من الأرشيف تؤرخ لموقف المخزن العلوي على العهد الإسماعيلي من أتراك الجزائر،وأما عن تاريخ الحصول على الوثيقة جاء متأخرا،وهذا بعد توزيع النسخ على لجنة المناقشة،ولمضمون الوثيقة ينظر:قائمة الملاحق؛الملحق رقم:(10).

الفـــصـــل الأول:

الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب الأقصى قبل القرن 12هـ/18م

أولا: التكوين السياسي والإداري في إيالة الجزائر:الأثر والتأثر

ثانيا: الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى

ثالثا:البنية الداخلية في البلدين وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية

قبل الحديث عن أي فعل إنساني أيّا كان نوعه،وارتكاساته المتعدّدة في مجالات حياة الإنسان.يجدر بنا سبر الأغوار والبحث عن منشأ هذا الفعل الإنساني الفاعل والمتأثر،في ظل هذا الزخم الفاعل لمنطق العلاقات الإنسانية.

لذا نجد جوهر ومكنون تلك العلاقة المسايرة لحياة الشعوب على مدى العصور والدهور؛العلاقات السياسية[1].التي وجدت منذ تشكلات صيرورة التاريخ وحمله بساط طبيعة تلك العلاقات،إن على مستوى التفاهم،أو على مستوى التصادم. الأمر الذي عدا ببعض العلماء إلى التعبير عن مغزاها في معرض حديثه عن تعريف العلاقات الدولية،بقوله:"..هي دراسة لفن وعلم المحافظة على بقاء الجنس البشري..."[2].فوجود البشرية ونماء سبل عيشها،مرهون بالبحث والدراسة عن فن وعلم المحافظة على نوعها.

وثمة قاعدة ارتأيت أن أثبتها في صدر هذا التمهيد،وهي أن دراسة العلاقات الدولية مبنية على مرتكز مهم جدا؛ ألا وهو تتبع السياسات الخارجية للدول،وهي تبعد أحيانا عن تتبع السياسات الداخلية للدول.من هنا أرى أنني أحيانا ملزم بتتبع سياسات الدولتين داخليا؛نظير ما تلقيه هذه الأخيرة من تأثيرات فاعلة تسير سياسات الدولتين خارجيا،بل وتحدد وتحول اتجاهات تلك العلاقات بين الدول[3].

فجاء هذا الفصل ليبحث في الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب الأقصى قبيل القرن الثامن عشر ميلادي

---

[1]تظهر تضاعيف المعنى السياسي في كامل أطوار حياة البشرية،أيا كانت الظروف؛سلم أو حرب،وليس كما ذهب إليه البعض في قولهم:"...أما في وقت السلم فتظهر العلاقات السياسية."،ينظر:عمر عبد العزيز عمر وجمال محمود حجر:صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث،د. م.ج،القاهرة2004.،ص9.

[2] هذا التعبير للباحث كارل دويتش، حول هذا ينظر:محمد علي القوزي:العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر،ط1،د.ن.ع،بيروت2002،ص13.

[3] محمد علي القوزي:المرجع السابق،ص5.

أولا:التكوين السياسي والإداري في إيالة الجزائر:الأثر والتأثر

1-الوضع السياسي في إيالة الجزائر

1-1-معالم التشكل السياسي في إيالة الجزائر:

لعلّ مما جاد به القرنان التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين على بلدان المغرب الإسلامي؛تركة ضعف وتشرذم سادت البلاد كلها في أولهما[1]،وحمولة أعجمية ولدت من رحمها نمط سياسي وإداري، مغاير لتلك الدويلات السابقة التي أفرزت في تضاعيف أيام سؤددها حياة من التقهقر وعقلية القابلية المغاربية باستثناء المغرب الأقصى،والتشهير بالمولود الجديد على الساحة حينئذ في ثانيهما[2].هذا المولود الجديد بالنسبة لبلدان المغرب الإسلامي صنع مصائر الجماعات فيه لمدة طويلة نسبيا[3]،بل وأصبحت قضاياهم من أهم الموضوعات المتداولة في سياسة الأتراك العثمانيين والاسبان[4]،بناء على هذه السمة التي طبعت المشهد السياسي للمنطقة وما تلاها من تغييرات حورت مستويات الحياة للمجتمعات المغاربية عموما،والمجتمع الجزائري خصوصا.

---

[1]منها على سبيل المثال ما شهدته الجزائر من تأرجح في ولائها السياسي في مستهل النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ؛فمرة تتبع وتخضع لتلمسان مدة طويلة،ومرة تستلم لبجاية وملكها الجديد"أبي الحسن بن أبي فارس الحفصي"، حول هذا ينظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي:وصف إفريقيا، ط2،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،د. غ.إ،بيروت1983م،2ج،ج2،ص38.

[2] المولود الجديد نقصد به العملاقين الكبيرين اللذين ظهرا في مستهل النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ؛الدولة العثمانية،واسبانيا.أو كما سماهما المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل(Fernand BBAUDEL) "الوحشين السياسيين":

-Fernand BBAUDEL: La Méditerranée et le monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, 2T, Paris1976,T2, p 122.

[3])Bataillon Marcel :La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II ,In:(Eco), vol: 1, n°:2, 1950 , p 234.

[4]Bataillon Marcel:Op.cit, p 234.

وإذ يجدر بنا أن نتساءل عن سبب شيوع عقلية القابلية للاستعمار الاسباني أولا في المنطقة[1]،وظاهرة التشهير لقبول الوافد الجديد؛الأتراك العثمانيون على مستوى المغربين؛الأدنى والأوسط؟

إن رسوخ فكرة القابلية للتبعية لدى مجتمعات المغارب هي قديمة جدا،إذ يؤرخ لها المؤرخون بزوال دولة الموحدين668هـ/1269م؛حيث نشأ عنها كيانات سياسية ناشئة[2]،وصفت بأنها دولا من المرتبة الثانية[3]،حاملة معها خارطة سياسية جديدة للعلاقات بين هاته الكيانات[4]،ورافق هذه الصورة المتهالكة سياسيا،عدم ظهور حيوية وقوة تلك الكيانات على مستوى الكارزمة الموحدية[5].عندها عمل كل كيان لحسابه،مفضلا إرساء أحقية توارث ميراث الموحدين.

---

[1] هذا الأمر تجلى في فعل أهل الجزائر إيفاد سفارة إلى اسبانيا سنة1510م تطلب هدنة لمدة 10سنوات مقابل بعض الخراج،ومساكنة الأسبان سلميا،ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي:المصدر السابق،ج2،ص38،ونجد المؤرخ المغربي"عبد المجيد القدوري"يطلق تعبيرا آخر ينم عن مستوى الميوعة والخنوع آنذاك،بعقده عنوانا وسمه ب:"مغرب مغاربة الاستسلام"،ينظر:عبد المجيد القدوري:المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)،ط2،م.ث.ع،الدار البيضاء2012،ص ص100-114.

[2] تمثلت في الحفصيين بالمغرب الأدنى،كانت خارطتهم السياسية من طرابلس إلى تخوم دلس تأسست في(1229-1574م)،وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط كانت خارطتهم السياسية من إقليم الجزائر إلى منطقة ملوية تأسست في(1236-1554م)،وبنو مرين،بعدهم بنو وطاس بالمغرب الأقصى كانت خارطتهم السياسية من غرب ملوية إلى أقصى منطقة سوس تأسست في(1269-1549م)،عن سياستهم داخليا وخارجيا،ينظر:عبد الرحمان بن خلدون:ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،اعتنى به:أبو صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية،الأردن(د.ت).

[3] Gharles Andre Julien: Histoire de lAfrique du Nord, payot, paris 1952,2T.

[4]صديقي عبد الجبار:سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات،مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،(غ.م)،إشرا:مكيوي محمد،جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر2013 -2014،ص160.

[5]حول معالم ما وصفته بالكارزمة الموحدية ،سواء على المستوى الداخلي،أو على المستوى الخارجي،ينظر:أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع:الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تح:الطاهر بن محمد المعموري،د.ع.ك،تونس 1984.

كان المغرب الأوسط في عهد بني عبد الواد هي الأضعف حلقة في هذا التشرذم السياسي، لأنه لم يملك الأساس التاريخي أو الاقتصادي الذي كان للمغرب الأدنى الحفصي.وليس له الأساس العددي الذي كان للمغرب الأقصى المريني[1]،بالإضافة إلى طابعه الريفي والبدوي[2].

وهناك من يرى أن مسبباتها تكمن في الصراع بين الفكرة والشيء[3] في إطار تراتبية الانقسام الثقافي،كنتاج للاطراد التاريخي،وكحصيلة المناورات السياسية[4].

هذا طبعا يفهم في إطار جدلية ثنائية تتجسد في نوعين من الأفكار؛أفكار رائدة تنطوي على صورة المثال،أو النموذج الموروث جيلا عن جيلا في إطار صيرورة الحياة المطبوعة في مخيال الخلق لدى طوائف المجتمعات،وفي عمق نشاطاتها ماثلة[5].

وهي أفكار عملية تنطوي على الوسائل التقنية التي توجه كذلك نشاط المجتمع [6] في إطار مدافعته عن عن الظروف الخاصة التاريخية المحيطة به.

فالمجتمعات المغاربية عندئذ وكأنها قد تحللت ونفضت يدها من فعالية الفكرتين.وكمقاربة لهذه المسألة،نستنتج أن العامل الداخلي ساهم في تنشئة الفكر الانهزامي الإقليمي بروافد سياسية،وأخرى نفسية.فلهذا لا غرابة أن يطفو على السطح في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي في

---

(1) محمد خير فارس:تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،ط2،م.د.ش،بيروت 1979،ص6.

(2) محمد خير فارس:المرجع السابق،ص5.

(3)يشبه بالانقسام النفسي المبني على فكرة الطعام و الصلاة،بالإضافة إلى عدم تحديد تلاقي العلاقة الدينية بين المجتمع المسلم والعالم الثقافي.حينئذ لم يكن بمقدور المجتمع الإسلامي إلا أن يواصل انحداره الشديد حتى يصل إلى عصر مابعد الموحدين؛أي الانشطار والترهل النفسي للسلط الثلاث بالمغارب،والانفصام على المستوى الشعبي،حول هذا ينظر:مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ط1،تر:بسام بركة وأحمد شعبو،إشرا:عمر مسقاوي،د.ف.ع،دمشق2002،ص94.

(4) مالك بن نبي:المرجع السابق،ص94.

(5) المرجع نفسه،ص57.

(6) مالك بن نبي:المرجع السابق،ص57.

بلاد المغارب[1].لكن هذه المرة كانت أشد وطأة على نسيج الدولة الوطنية[2].ففي الجزائر تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال ذالكم الفكر الانهزامي لصالحهم،ومتنكرين حتى لمن وقفوا موقفا معاديا للوضع السياسي بالمغرب الأوسط[3].

---

[1] استعملنا كلمة بلاد المغارب للدلالة أولا على الطابع السياسي والإداري لكل من الجزائر والمغرب وتونس في العهد العثماني،وثانيا قيام هنري تيراس(Henri Terrasse) بتقديم وصف جغرافي مهم للمغرب الأقصى، إذ تحدث عن واجهتيه المتوسطية والأطلسية وبوابتيه الشرقية والجنوبية الصحراوية. وعمد تيراس إلى تقسيم المغرب إلى ثلاث مغارب:المغرب الداخلي المتسم بالاستقرار والتنظيم المحكم أي بلاد المخزن، والمغرب الخارجي الذي يضم الواحات وهو محط الأطماع، ومغرب الجبال،ينظر:

-Ahmed Balafrej: Histoire du Maroc by Henri Terrasse, Middle East Journal, Vol. 7, No. 2 (Spring, 1953), pp. 250-252.

[2]فضلت كتابة مصطلح الدولة الوطنية في هذه الفترة بالذات نظرا لوجود معالم لمؤسساتها السياسية والعسكرية،أيضا تداولها في الأسطوغرافيا التاريخية المغاربية سيما في المغرب الأقصى،حول هذا ينظر: وعلي بن محمد التمجروتي:النفحة المسكية في السفارة التركية(1589)، تح:محمد الصالحي:،د.س.ن.ت،لندن 2007،ص184؛أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تح: ولدي المؤلف:جعفر الناصري ومحمد الناصري،د.ك،الدار البيضاء9،1997ج،ج7،ص32،هذا عن المغرب الأقصى،أما المغرب الأوسط فقد كان عبارة عن مستنقع سياسي،وبتالي عدم وجود دولة مركزية موحدة،قوية ومعترف بها،يراجع:حنيفي هلايلي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،د.ه.ط.ن،الجزائر2008،ص125،و كانت تحت الولاء الطوعي لأحد الشيوخ"سالم التومي"الذي يسميه هايدو ب"سليم العثمي"،هذه الميزة هي التي جعلت من عروج يظهر مشاريعه القديمة التي راح ينتظرها من زمن بعيد،وهو أن يكون سيدا على بلاد البربر،ينظر:

-Haedo Fray Diego:Histoire des rois d Alger,Tar: par de Grammont,A.Joudan,Alger1881,P17.

[3] محمد بن عسكر الشفشاوني:دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،ط1،تح:محمد حجي،ضمن:م.أ.م،د. غ .إ،بيروت1996م،10ج،ج2،ص838.

كانت هذه الشخصية،شخصية أحمد بن القاضي الزواوي[1]. حيث قلبوا له ظهر المجن شأنهم شأن رياسة المتغلبين[2].

إن تفسير التشهير الأتراك العثمانيون على مستوى المغربين؛الأدنى والأوسط،مرتبط بفهم تاريخ الذهنيات في المغارب الثلاثة أولا[3].

والظرفية التاريخية الطارئة على الفضاء المغاربي[4]؛التي تحكمت في مصائر المغربين،الأدنى والأوسط بشكل مباشر،في حين نجا المغرب الأقصى من تطابق وتشابه النظم السياسية على وجه

---

[1] المقصود هنا الشيخ الصالح"أحمد بن القاضي الزواوي"، والمعروف أيضا بالمغراوي البجائي الذي كان قائما؛أي حاكما بجبل زواوة في أوائل هذا القرن،نشأ ببجاية وقرأ بها على أعلامها،توفي قبل 925هـ/1521م ،ترجم له محمد بن عسكر الشفشاوني ب:"العالم بوظائف الترشيح والمصالح ،أحد أنصار هذا الدين،وأيمته المهتدين،كان من الفضلاء الأخيار ،والصلحاء الأبرار،مجتهدا باذلا نفسه وماله في إقامة شعائر الدين،وغزو أعداء الله الكافرين...ولم يزل رحمه الله مثابرا على سيرته النبوية إلى أن كان من أمره مع خير الدين التركماني مماهو مشهور...وقتلوه شهيدا رحمه الله عليه في العشرة الثالثة"،ينظر:محمد بن عسكر الشفشاوني:المصدر السابق ،ج2،ص838.

[2] المصدر نفسه ،ج2،ص838.

[3] من المؤرخين الذين كتبوا في مثل هكذا مواضيع،نجد الحسن الوزران في كتابه:" وصف إفريقيا"،والتمجروتي:المصدر السابق،ومارمول كاربخال:إفريقيا،ط1،تر:محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وآخرون،م.م.ن.ت،الرباط1984،3ج.و يعتبر حقل الذهنيات ذا أهمية بالغة في الدراسات التاريخية المعاصرة ، خاصة مع إصدار الكتاب الجماعي بإشرا:جاك لوكوف: جاك لوكوف، التاريخ الجديد، ط1،تر: محمد الطاهر المنصوري،مرا:عبد الحميد هنية، م.د.و.ع ، بيروت، 2007، ص ص277-306.وعندنا في العالم العربي الباحثّ: لطفي عيسى" الذي يعتبر من المتخصصين المميزين في دراسة المناقب، ينظر:على سبيل المثال: لطفي عيسى: مغرب المتصوفة، الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10 إلى القرن 17م،أطروحة دكتوراه دولة(م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،م.ن.ج،تونس 2005؛ كتاب السير: مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار ، دار المعرفة للنشر، تونس 2007؛ مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر ،د.س،تونس1994؛أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ ،د.س،تونس 1993 .

[4] تتمثل في شيوع النمط الهلالي في إفريقيا والمغرب الأوسط منذ ثلاثة قرون، الأمر الذي ميز بن مغربان؛مغرب شرقي عثماني،خاضع عقلية وسلوكا وعقلية للنمط الهلالي.وآخر مطبوع في كل حياته بتربية الزوايا،حول هذا ينظر:عبد الله العروي:مجمل تاريخ ...،مرجع سابق،ص ص 460-461.

الخصوص[1].لكننا نميل إلى هذا الرأي اعتقادا منا أنها مايزت بين المغارب الثلاث في المخرجات السياسية والنظم الإدارية في كل منهما، رغم ما لهذه النظرية من انتقادات منهجية وعلمية[2].

وفي نفس الوقت دعت هذه التقويمات إلى إمكانية الدراسة الشاملة لإشكالية إحداث الهجرة الهلالية لأزمة أو انحطاط عام لحضارة المغرب الوسيط[3].وفق نظرة شاملة ومتفتحة بعيدا عن الخلفيات والأحكام المسبقة[4].

إن تاريخ الذهنيات في المغارب هو نتاج تراث مناقبي تناول مناقب الشيوخ وأحكم طرقهم ودون حركاتهم وسكناتهم وكراماتهم بخطاب أدبي اختلطت فيه الأسطورة بالتاريخ والعناصر الدينية بالعناصر النفسية والاجتماعية والأنتروبولوجية، التي يمكن أن تكون مدخلا ممتازا لتاريخ الذهنيات في المغارب [5].

ينضاف إلى ما سبق أن الموقع الاستراتيجي للمغارب ساهم في حد كبير إلى استشرافهم للأحداث المتوسطية آنذاك وتلون حياتهم السياسية، وفق ملامح البحر الأبيض المتوسط،الذي غدا بأكمله مجال صراعات مستمرة بين كيانات متجاورة ومتحاربة،عمل بعض من المؤرخين على استقائها وتوضيحها وفق روح منفتحة ومن اتساع في النظرة[6].فالكيانات؛هما العثمانيون والأسبان،وبينهما قدرا ومشيئة وجدت الهوامش والأطراف المتنازع عليها[7]،لأجل تطبيق ظاهرة شيوع الاتجاهات والتيارات في القرن العاشر

---

[1] عبد الله العروي:مجمل تاريخ ...،مرجع سابق،ص 458.

[2]علاوة عمارة:دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، د.م.ج،الجزائر2008،ص ص18-19.

[3] المرجع نفسه،ص36.

[4]من بين العوامل التي أعطت لنا مستخرجات مثل هذه الأحكام المسبقة في هذا الموضوع؛ الغاية من كتابة التاريخ،والخلفية الفكرية للمؤلف،وتطور مفهوم التاريخ ومناهجه وتعدد تياراته،وتنوع المصادر التاريخية وطريقة استعمالها،وأخيرا نظرة المؤلف إلى موضوعية المصادر التاريخية،ينظر:المرجع نفسه،ص 35.

[5]حسن مرزوقي:الإسلام الطرقي ومستويات التأصيل،م.ع.أ.د.س،قطر2012،ص18.

[6]Fernand BBAUDEL: La Méditerranée...,T2, Op.cit,p192.

[7] Ibid, T2,p191.

الهجري/السادس عشر الميلادي في اسبانيا؛منها انتشار شرارة الروح الصليبية لديهم،وبالأخص رجال الدين[1].

وللتعليق على هذه المسألة التاريخية أورد نصا للباحث (المنور مروش)،جاء فيه ما يلي:"...من الخطأ تبسيط واختصار العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط في نقطة واحدة هي الصراع بين الإسلام والمسيحية وإن كان التفسير يتوافق مع بعض أشكال التصور الجماعي في ذلك العصر..."[2].ربما المسألة تصح لو افترضنا أن الاسبانيين لم يحاولوا تطبيق نصرنة وكثلكة المغارب كلّها عن طريق شحذ قرائح السواد الأعظم لسكان الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط،وذلك عن طريق إدراج أعمالهم كلها في نطاق فتح إفريقيا ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان[3].

الحديث عن معالم النظام العثماني[4] بالجزائر،يقودنا إلى طرح تساؤل نراه مهم.

---

[1] Fernand BBAUDEL: "les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492- 1577", (R.A),T19 , Alger 1928 .

[2] المنور مروش:دراسات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني،القرصنة ،الأساطير والواقع،د.ق.ن،الجزائر2009،2ج، ج2،ص41.

[3] هذا الفعل ترجمه الملك شارلكان حينا بعث برسالة الى حسن باي الجزائر بتاريخ20اكتوبر1541م،جاء فيها:"...فحذار أن تفقد عقلك وتشهر السلاح في وجهي،لأنك أن فعلت ذلك فإنني اقسم بعيسى باني سوف أمزقك،وأعلق أشلاءك على أبراج الجزائر..."،ينظر:مجهول:مذكرات خير الدين بربروس،ط1،تر:محمد دراج،د.أ.ط.ن.ت،الجزائر2010،ص ص199-200،وكذلك وصية الملكة" إيزابيل" للأميرة" جين" ابنتها وزوجها "فيليب".ينظر:

-Gabriel Mauray Gamazo:La question du Maroc au point de vue Espagnol, Hardcover ,2013.

[4] هناك مؤرخين يسمون الإدارة العثمانية (حكما)،وهو مصطلح لا يصح ولا يليق بالعثمانيين كجنس وعرق، ولأنهم أيضا تركوا لجنودهم حرية التصرف بشؤون الإيالات المغاربية،ثم أيضا أشركوا جنسيات متعددة في الحكم .مع محاولة السلاطين العثمانيين منع هذا التجازو لكنهم فشلوا،وعلى هذا الأساس نميل إلى هذا الرأي،لأنه يترجم التطورات السياسية و العسكرية لكامل الإيالات المغاربية .حول هذا الرأي ينظر:محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى-ليبية"م.ج.د،دمشق 1999-2000،ص164.

هل كان هذا النظام بالشمال الإفريقي[1]نتيجة خطة مدروسة؟وهل كان يحمل منذ البدايات الطابع الجماعي؟

وللإجابة على هذا التساؤل ،نورد نصّا للمؤرخ(محمود علي عامر)،حيث يقول:"... لم يكن التواجد العثماني في المغرب العربي نتيجة لخطة مدروسة أو هدفا استراتيجيا لهم،وإنما جاء نتيجة صراع فردي تحول فيما بعد إلى صراع دولي مثّلته قوى سياسية سعت إلى تحقيق مكاسب ذاتية غير واضحة ،بالنسبة للطرف العثماني على الأقل،وفي حين تطلع الأسبان إلى استعباد المنطقة وابتزاز خيراتها يحدوهم في تطلعهم حب الانتقام والتعويض عن ممتلكاتهم المفقودة في القارة الأمريكية..."[2].

أما بالنسبة للصراع الفردي،فيتمثل في جهود الأخوة باربروسة،لكن لا يمكن القطع بأنه كان صراعا فرديا خالصا،لأنه في السنوات الأخيرة ظهرت دراسات تضع تجربتهم في إطار الحملات البحرية العثمانية الرسمية وغير الرسمية،التي جاءت لمساندة الأندلسيين والمغاربة المهددين بالغزو المسيحي[3].

أيضا مما يضع في أذهاننا علامة تعجب!؟المتمثل في أن الطرف العثماني لم تكن له مكاسب ذاتية غير واضحة،ربما بسبب عدم امتلاك الأتراك العثمانيين أسطولا في البحر المتوسط في بداية الأمر،لأن الدولة العثمانية لم ترث أي نوع من التقاليد البحرية،سواء من بيئتهم الأصلية أو من غيرها من الأتراك الذين نزلوا بالشرق الأوسط[4]، فلهذا كانت محاولاتهم على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك اتخذوا من العمل الفردي أحيانا،والجماعي أحيانا أخرى للبحث عن موضع قدم لهم به،هذا الأمر

---

[1] فضلنا استعمال اصطلاح الشمال الأفريقي،تماشيا مع ذهب إليه المؤرخ السوري "محمود علي عامر"،إذ يرى أنه هو التسمية البديلة على اصطلاح المغرب العربي فترة النظام العثماني،ودليله في ذلك ورود هذا المصطلح كثيرا في كامل الوثائق العثمانية التي عاد إليها،وعملا بالمنهج التاريخي سألتزم بهذا المصطلح،ينظر:محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب...،المرجع السابق،ص156،هامش رقم(1).

[2]المرجع نفسه،ص137.

[3] Merrouche (L): Recherches sur l'Algérie à l'époque Ottomane II. La course mythe et réalité, éd, Bouchene France, 2007,2T ,T2 , P68.

[4] محمد أنيس:الدولة العثمانية والشرق العربي1514-1914،م.آ.م،القاهرة1985،ص81.

تجلى في إطار الجهاد البحري الذي اتخذ منحى آخر، منفصلا عن الحروب، مما أدى إلى اتساع هذه الظاهرة، وتطور عملياتها، وتعدد اتجاهاتها، وبالأخص خلال القرن الحادي الهجري/ السابع عشر الميلادي ،الذي أطلق عليه قرن القرصنة [1].

ذكرت هذا للتوضيح فقط،حيث أن المحاولات كانت فردية غير منتظمة.وقد بدأت هذه المحاولات بنشاط تجاري صغير،قام به الأخوة باربا روس من الأناضول،أدت بالتالي إلى قيام إيالة عثمانية في الجزائر،أي في مكان بعيد عن الأناضول[2]،من هنا نخلص بأن الأمر كان فرديا،تلاقى مع إرادة عثمانية جماعية مستشرفة للأحداث الدولية للبحر المتوسط،في إطار زرع وترسيخ[3] بل وإحكام الوازع الديني في ربوع بلاد المغارب،وذلك كرد للنزعة الكاثوليكية الاسبانية بمطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي.فلذلك نجد الجزائر ألحقت بالسلطة العثمانية تحت اسم إيالة الجزائر[4].

طبعا هذا يجرنا للتعرف على معالم وملامح التشكل السياسي لإيالة الجزائر.وهنا نطرح تساؤلا،هل ظهر مصطلح الإيالة أولا،أم أن هناك مصطلح سياسي آخر؟.

---

[1] Merouche: Op.cit ,T2 ,p106.

وأما بالنسبة لمصطلح القرصنة كما يسميه الباحث" لمنور مروش"،فهنا لابد من تبيان أن القرصنة في الأدبيات الإسلامية اصطبغت بالجهاد ضد الكفرة،فهي إذاً جهاد بحري أملته جملة من الظروف التاريخية.

[2] فاضل بيات:الدولة العثمانية في المجال العربي،دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا(مطلع العهد العثماني-أواسط القرن التاسع عشر)،ط1،م.د.و.ع،بيروت2007،ص529.

[3] تدعيما لما سبق وفي إطار معالجة إشكاليتنا المطروحة في المتن أعلاه،نورد رأيا للباحث عبد الجليل التميمي،فيقول:"...إن النجاح العثماني في الإيالات المغربية يعتبر تتويجا لكل النشاطات العثمانية فردية كانت أو جماعية..."،ينظر:عبد الجليل التميمي:الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ضمن كتاب ،و.ع.م.ث.ع.ع،تق:عبد الجليل التميمي ،م.م.ب.د.ع.و.ع.ع.ع،تونس1984، ص106.

[4] ناصر الدين سعيدوني:النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830،ط2،م.و.ك.الجزائر1985،ص21.

في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي، وسواحل المغرب الأوسط بصفة خاصة ضمن مشروع استعماري يهدف إلى استعمار المنطقة كلها[1].برز الإخوة بربروسة،الذين بفضلهم دخلت الدولة العثمانية رسميا في الحرب ضد إسبانيا،بعد أن أصبحت إحدى إيالاتها[2]في شمال إفريقيا[3]،حيث لعبوا دورا حاسما في توجيه سير التاريخ بمنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط،فبظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب تطورات متسارعة، تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى[4]،حيث جعلت الدولة العثمانية من الجزائر ولاية ذات وضع خاص[5].

وأهم ما نلمسه من هذه الوضعية الخاصة تشكيل سياساوي له معنى.إذ لا قيمة للدولة العثمانية في ثنائية الصراع الإسلامي–المسيحي في غرب المتوسط،بدون تشكيل نواة لجهاز سياسي في المغرب الأوسط،تحت مسمى نيابة الجزائر[6]كأول ملمح سياسي مقنن باختيارات الدولة العثمانية السياسية

---

[1]هذا ما تؤكده رسالة الكونت دالكوديت حاكم وهران للإمبراطور شار لكان (Carlos V) التي وجهها له في أوت سنة931هـ/ 1536م ،جاء فيها مايلي:"...إن لم تستطع جلالتكم القيام كما ينبغي بالحرب الصليبية المقدسة التي كانت قد شهرتها على الكفار يعني المسلمين..." ،ينظر:

-Elie de la primaudaie: Documents inédit sur l'histoire de l'occupation Espgnole en Afrique(1506-1574), RA, (T21),Année1877, p204 .

[2]إيالة اصطلاح إداري من العصر العثماني قبل إلغاء الإنكشارية، يقصد به: الولاية ،والولاية بحسب قانون نامة، وحدة إدارية يرأسها الباشا أو الوالي أومن رتبة وزير، والولاية بدورها كانت مقسمة إلى عدة صناجق، والصنجق الواحد إلى قائمة تأمين والقائمين إلى عدد من النوالي ،أنظر :مصطفى عبد الكريم الخطيب :معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ،م.ر ،بيروت 1996،ص ص 57-58.

[3]حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي،د.هـ.ط.ن،الجزائر2010،ص 128، نقلا عن: أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي، د.غ. إ،بيروت 1998،10ج،ج1،ص 136.

[4]حول هذا الرأي ،ينظر:علي أجقو: محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية (1514- 1837)، ط2، ،بانتت Bantet للمعلوماتية والخدمات المكتبية،2ج ،الجزائر 1999،وعن أهم مظاهره الإدارية وحتى الحدود السياسية،ينظر:الملحق رقم:(1).

[5]محمد دراج:الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس1512-1543،ط1،د.ق.ن ،الجزائر2015،ص213.

[1]محمد دراج:المرجع السابق،ص213.

والتشريعية على ضوء الإسلام أمام الرعايا،وهو ما يعكس المميزات الخاصة للدولة العثمانية منذ نشأتها[1].

وعلى هذا فان سعي خير الدين لجعل الجزائر إيالة عثمانية،إنما كان يرمي بالانتساب إلى البحث عن صمام أمان في وجه أي حركة تمرد يقوم بها الزعماء المحليون[2]،وعملية القضاء هذه لا تتأتى ثمارها إلا عن طريق تأسيس نظام حكم سياسي تندمج فيه كل الرواسب الموروثة في المغرب الأوسط؛خصوصا النظم والأجهزة الدولاتية مع الطلائع الأولى للأتراك العثمانيين[3].

ومرد ذلك أن المغاربة، كما يصفهم (بروديل) كانوا يحظون بإشراف واسع ومفتوح على البحر المتوسط[4]،وبالتالي على اسبانيا،لأجل ذلك تخطى الجزائريون مبادرة العثمانيين في نظمهم الدولاتية.فكان الدولاتية.فكان منهم أن ثبتوا قواعد العثمانيين وأخذوا يعملون على توسيع رقعة النيابة غربا وجنوبا وشمالا[5].ولعل هذا التثبيت طبعا لا يفهم من خلال النظرة الداخلية للأحداث،وإنما يجب على الباحث تتبع الأوضاع الإقليمية لبلدان المغرب الإسلامي لمقاربة هذا التشكل السياسي بالجزائر،إذ أنه لا يجب أن نمر مر الكرام على استنباط معالم رؤية العثمانيين تجاه الإيالات المغاربية التي سوف تتغير تغيرا جذريا،ومن أهم محاورها:تكوين وحدة إدارية عثمانية،وضرب الدويلات الصغيرة المتعاونة مع الاسبان،وتركيز السلطة العثمانية[6].

إن بروز مثل هذا التشكل السياسي،كان مبدأه تأزم وضع داخلي، أثبتت التجربة التاريخية تفاعله مع الأوضاع الإقليمية،في إطار ما عرف بمشروع عثمنة الإيالات المغاربية أنظمة وإدارة[7].

---

[1] عبد الجليل التميمي: الولايات العربية...، مرجع سابق،ص71.

[2] المرجع نفسه،ص212.

[4] بعد تواجد العثمانيين في العالم الإسلامي استحدثوا فيه تنظيمات إدارية،فمثلا وجدت مراسلات تحدد عدد الإيالات العربية الخمسة عشر ،منها :إيالة جزائر الغرب،إيالة طرابلس الغرب،إيالة تونس ،ينظر: أحمد المرسي الصفصامي:الدولة العثمانية والولايات العربية،ضمن كتاب ،و.ع.م.ث.ع.ع،تق:عبد الجليل التميمي،منشورات،م.ب.د.ع.ع.ع ،تونس1984،ص ص337-339.

[4] Fernand BBAUDEL: La Méditerranée ...,T2,Op.cit,Seq.

[5] Fernand BBAUDEL: La Méditerranée ...,T2,Op.cit,Seq.

[6] عبد الجليل التميمي:الولايات العربية...، مرجع سابق،ص78.

[7] المرجع نفسه،ص ص71-106.

ويرى أحد الباحثين أنه بظهور الأتراك العثمانيين بشمال إفريقيا، قد أنقذ البلاد المغاربية من مصير يبدو حتميا، وهذا في قوله: "... إن الحالة التي كانت عليها البلاد البربرية في حوالي سنة 1515م ...تبين لنا إلى أية درجة من الفوضى وصل إليها شعوبها ...إنها لفترة انتقالية حاسمة بالنسبة لتاريخ شعب لا يجتازها إلا القيام بالتجديد أو بالخضوع لسيطرة ما ...إذا كان بالنسبة للمغرب الاستعباد هو السبيل الحتمي،نعم في الوقت الذي كادت المسيحية تحققه لفائدتها،سنحت الفرصة للأتراك أن يفرضوا سيادتهم على الجزء الأوفر من البلاد...حتى كانت نتائج ذلك حماية البلاد البربرية من سيطرة الدول المسيحية خلال ثلاثة قرون..."[1].

بعد هذا التوصيف التاريخي حول الصيرورة الظرفية الحمئة على وضع بلدان المغارب جميعا،إذ أنه حسب رأينا فإن إفراز الأرضية والمناخ لبروز نظام حكم سياسي ناقص وجزئي،استطاع من خلاله الأتراك العثمانيون ملء الفراغ السياسي فقط بالمدن الساحلية وبصعوبة[2].

ذلك أن الجزائر شهدت أكبر تقهقر للحياة الحضارية[3]،ولكن هذا لم يمنع فيما بعد من إعمال الجزائريين أنفسهم على التركيز الشديد على الإدارة المدنية للجزائر[1]،لأنه في الفترة العثمانية بالجزائر توافر

---

[2]Ernest Mercier Ernest Mercier: Histoire de l'afrique Septentrional ,EREST Leroux Éd ,paris 1891, 3T,3T,p1.

هنا أيضا يجب أن نذكر حقيقة تاريخية لا مراء فيها ولا تزل؛لأنه لم يبق بعد. زوال الدولة العثمانية التي أؤرخ لجانب مهم منها،ألا وهو نسيج العلاقات الخارجية بالمحيط الإسلامي المتمثل في المغرب الأقصى بمختلف نتوءاته السياسية.أقول أنه لم يبق لي من أمل في إطرائها،أو خوف من انتقادها.مرد هذه الحقيقة أن هاته الدولة جمعت شتات الشرق كله؛الشرق بمفهوم دار الجهاد،أو دار الإسلام.حول هذه القضية ينظر:محمد جميل بيهم:فلسفة التاريخ العثماني،كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها؟،مكتبة صادر،بيروت1334هـ،ص103.

[3]كزافييه دولابلانهول:تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام،ط1،تر:معاوية سعيدوني،مرا:ناصرالدين سعيدوني،د.غ.إ،تونس2008،ص186.

[3]كزافييه دولابلانهول:المرجع السابق،ص186.

توافر إيجاد إناء الكيان السياسي،في ظل استمرارية توافر الماء؛الهوية الحضارية التي عرفتها بلاد الجزائر في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي مع الفتح الإسلامي[2].

تجلت إفرازات تواجد العثمانيين بإيالة الجزائر عن معالم تشكيل سياساوي؛وضع أسس كيان سياسي موحد على الأرض الجزائرية عاصمته مدينة الجزائر،له حدود قارة مع كل من ولاية تونس وسلطنة المغرب،ومجال توسع في الجنوب الجزائري[3]،فهل كان هذا التشكيل السياسي تحت مسمى الإيالة الجزائرية العثمانية غير متطور؟ثم ما هي أيضا معالم تطوره؟

يناقش هذه المسألة الباحث والمؤرخ (نصر الدين سعيدوني)،حيث يقول:"...أيضا صاحب هذا التطور في الكيان السياسي للجزائر من التبعية إلى الانفصال،في مكانة الجزائر فتحولت من واجهة صراع بحري للدولة العثمانية في مواجهتها للعالم المسيحي،(فترة البايلربايات)،إلى قيام تخوم وولاية حدود تحافظ على التوازن الدولي بغرب المتوسط في عهد(الباشاوات)،ثم إلى قوة محلية مؤثرة في غرب المتوسط في عهد (الأغوات والدايات)..."[4].

1-2-معالم التشكل الإداري في إيالة الجزائر:

---

[2]عبدالقادرجغلول:تاريخ الجزائر الحديث دراسة-سوسيولوجية،ط3،تر:فيصل عباس،مرا:خليل أحمد خليل،د.ح.ط.ن،بيروت 1983،ص ص 29-30،نقلا عن:

-Marx: Sur Les Sociétés precapitalistes ,GERM.p228 .

[3]ناصر الدين سعيدوني:الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية،ط2،ع.م.ن.ت ،الجزائر2009،ص ص 166-167.

[3] ناصر الدين سعيدوني:منطلقات وآفاق...، مرجع سابق،ص167.

[4]ناصر الدين سعيدوني:منطلقات وآفاق...، مرجع سابق،ص ص167-168 .

كان من إنجازات الإخوة باربروسة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أن حولوا نشاطاتهم البحرية الشرقية إلى الحوض الغربي منه [1] ،بالإضافة إلى هذا كله كان لهؤلاء الإخوة موطئ قدم في جزيرة جربة ،وذلك عن طريق مبعوث سالم التومي إلى مدينة جيجل طالبا المساعدة من عروج وأخيه وتخليص مدينة الجزائر من الأسبان فلبيا الطلب وجهّزا الأخوان حوالي ثلاثة آلاف من رجال القبائل، واستطاعا أن يدخلا مدينة الجزائر،عندئذ أدرك سالم التومي أن عروج له هدف في البقاء ضمن مشروع تحرري توحدي[2]،فكانت النتيجة إعدام عروج لسالم التومي،وأخمدت بذلك نار الفتنة وكان لعروج منهج يسير عليه في تطبيق مشروعه التوحيدي التنظيمي، يقوم على:

- تنظيم المؤسسة العسكرية ،وذلك بإقامة التحصينات القوية وإنشاء حاميات عسكرية خارج المدينة؛
- توسيع نفوذه وذلك بإخضاع القبائل إلى السلطة المركزية؛
- تقسيم الأراضي الموجودة تحت سيطرة الإخوة إلى مقاطعتين شرقية وغربية، فالغربية عاصمتها الجزائر وكان يديرها بنفسه ،وأما الشرقية التي كانت عاصمته مدينة، دلس فقد عيّن لإدارتها أخاه خير الدين [3].هذه السياسية الباربروسية إن صح التعبير،ما هي إلا محاولة منهم إتباع نمط إداري معين،فما طبيعة هذه السياسة؟وما هي مخرجاتها؟

تتجلى الطبيعة الإدارية العثمانية في جوهر العلاقة بين الإدارة المحلية[4] والسكان،القائمة على الطابع العسكري،الذي يعتمد على أسلوب تسيير إداري يستمد تنظيماته من التقاليد المتوارثة والتنظيمات العثمانية المحدثة[5].

أما عن مخرجاتها كانت كالآتي[6]:

---

[1] Diégo de Haedo: Op.cit,p14.

[2]أيضا هذه النية كانت عند أخوه من بعده خير الدين،الذي أخضع الجزائر لنفسه بادئ الأمر،ينظر:محمد أنيس:المرجع السابق ،ص83.

[3]حنيفي هلايلي : أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي...،مرجع سابق ،ص125.

[4] الإدارة المحلية المقصود بها هنا البايلك.

[5]ناصر الدين سعيدوني: منطلقات وآفاق...، مرجع سابق،ص173.

[6] ناصر الدين سعيدوني: منطلقات وآفاق...، مرجع سابق،ص173.

-إقرار الأمن والمحافظة على الهدوء والطاعة ولو باستعمال العنف والإكراه؛

- ضمان استخلاص الجباية بشتى الوسائل والطرق؛

-المحافظة على وضع اقتصادي وعلاقات اجتماعية تضمن امتيازات الجماعات الحاكمة ونفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان المؤلفة من الحضر والبرانية بالمدن والرعية بالريف؛

طبعا هذه الأهداف الإدارية العثمانية تعكس حقيقة الإمبراطورية العثمانية،حيث كانت دولة دواوينية؛ضمت أقطارا مختلفة ضمن إدارة واحدة ونظام ضريبي واحد[1]،لكن أهم ما يمكن ملاحظته عن هاته المؤسسة أنها لم تساير التطور آنذاك،ولم تبسّط من إجراءاتها ولم تحترم قوانينها[2].ومما يلاحظ هنا أيضا أن بعض الكتاب الغربيين قالوا بنجاح الأتراك العثمانيين في إيجاد حد أدنى من الهيكلة الإدارية للبلاد[3].

ولعل هذه الهيكلة حسب هؤلاء الكتاب،تأخذ شكل تنظيم إداري خاص بها،يقوم على وحدة إقليمية هي الوطن الذي يتولى شؤونه قائد،بينما تشكل القبيلة الوحدة الإدارية في باقي الأقاليم[4].

ووجب علينا توضيح شيء مهم جدا في هذا المبحث،وهو أن العمود الفقري للإدارة العثمانية بالجزائر هو البايلك[5].

هذه البايلك أسّست تباعا بدءا بمقاطعة دار السلطان، منذ تواجد عروج وخير الدين بمدينة الجزائر،تلاه تأسيس ولاية[1]؛ بايلك الجنوب؛أي التيطري أسّست سنة947هـ/1540م،بعده تأسس بايلك الغرب سنة970هـ/1563م.وعاصمته أولا مازونة، ثم معسكر،وأخيرا وهران.

---

[2]ألبرت حوراني:تاريخ الشعوب العربية،ط4،تر:كمال خولي،مرا:أنطوان نوفل،نوفل هاشيت أنطوان،بيروت 2012،ص258.

[2] ناصر الدين سعيدوني: منطلقات وأفاق...، مرجع سابق،ص175.

[3]Yacono Xavier :La Régence d'Alger en 1830 d'après l'enquête des commissions de 1833-1834, In ,R. 'O.M. M,(N°1),1966, pp 229-244.

[5]كزافييه دولابلانخول:المرجع السابق،ص193،أيضا من مكونات سلطة البايلك البعد الجغرافي الذي ينقسم إلى ثلاثة أقاليم؛البايلك الأوسط أو بايلك التيطري عاصمته المدية،بايلك الغرب عاصمته وهران منذ خروج الاسبان سنة1792،بايلك الشرق عاصمته قسنطينة،القبيلة التي تعتبر أساس الإداري للبايلك،ينظر:أحمد سيساوي:البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)، إشرا:كمال فيلالي،جامعة قسنطينة2،الجزائر2013-2014،ص ص14-16.

[6]كزافييه دولابلانخول:المرجع السابق،ص194.

وأخيرا بايلك الشرق الذي أسّس سنة974هـ/1567م[2].هذه الولايات بمفهومنا المعاصر، كانت تحت تصرف البايات مباشرة.فهذا التنظيم المحكم كان من بنيات أفكار[3]حسان باشا بن خير الدين[4].

فلهذا استحق الأتراك العثمانيون التمجيد لما كانوا بناة للحضارة، إذ يقول الأستاذ(برناند لويس) المؤرخ المختص في تاريخ تركيا في كتابه:(إسطنبول):"..ويعتبر بحق حكم سليمان 1520-1566م المعروف عند الأتراك (بالقانوني)، وعند الأوروبيين بالذروة في قوة العثمانيين ومجدهم ..."[5].

ينضاف إلى ما سبق خاصية وميزة ميزت الأتراك العثمانيين على مستوى أنظمة الحكم،والأجهزة الإدارية.ما ذكره الباحث(مصطفى حموش):"...أن المدن الإسلامية شهدت في بدايتها تمركز الوظائف العامة بين يدي الحاكم والقليل من أعوانه مثل القاضي والمحتسب،فقد شهدت في العهد العثماني توسّعا هائلا، بما استحدثت من مناصب ثانوية يختص كل منها بمهمة معينة في المدينة.وتفرد الإدارة العثمانية في أنها استطاعت أن تشتق من الحسبة وظائف أخرى تبين مدى اختصاص الإدارة العثمانية..."[6].

ويلاحظ الباحثون المتخصّصون أن الإدارة العثمانية تناغمت وتعانقت مع البنى والتقاليد السياسية والاجتماعية لمجتمع المنطقة المؤسسة على القبيلة،والرئاسة الهرمية الذي يبدأ بالعائلة،فالقبيلة،فالعرش[7].ومن

---

(1) هذا المصطلح يعتّد به محقق كتاب(التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،لمحمد بن ميمون الجزائري)،المرحوم(محمد بن عبد الكريم الجزائري).

(2)محمد بن ميمون الجزائري :التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تح:محمد بن عبد الكريم،ش.و.ن.ت،الجزائر1972،ص36.

(3)الأغا بن عودة المزاري :طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر:تح:يحي بوعزيز،د.غ.إ،بيروت1990،2ج،ج1،ص270.

(4)حكم حسن باشا ابن خير الدين الإيالة ثلاث مرات ،الأولى مابين (1522-1544م)،الثانية (1557-1562م)،الثالثة (1562-1567م)،حوله ينظر:

- Digo de Haedo, Op.cit,pp85-86-129-137-145-152.

(5)أبو الحسن علي الحسني الندّوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟،د.غ.ج ،مصر 2005،ص139.

(6)مصطفى بن حموش:المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"،م.م.ج.م.ث.ت،دبي2009،ص133.

(7) مصطفى بن حموش:المرجع السابق،ص134.

هنا يتضح أن سر نجاح العثمانيين في اختراق الأنسجة الاجتماعية للمجتمعات التابعة لها،كان ناجم عن تكيفها واحتوائها لبنى الاجتماعية التقليدية.فكان منها أن جعلته أصلا من أصول حكمها،لهذا عملت على تكريسه وتبنيه لباقي إدارتها[1].

ويعتبر الحدث الذي أرسى الوحدة السياسية والإدارية لإيالة الجزائر العثمانية هو استرجاع قلعة (البنيون)سنة 935هـ/1529م من يد الإسبان على يد خير الدين والنقطة الثانية المركزية في الصراع بين الدولتين العثمانية والإسبانية، ولهذا أصبح يطلق على إيالة الجزائر اسم " مسرح الحروب"، ونعتت بالقاعدة الخلفية في الجناح الغربي المتوسط للدولة العثمانية[2].

أما عن مرتكزات نظام حكم البايلك فكان يبنى على الجيش والمركزية والأعيان[3]،في حين يوسع آخر مرتكزاته إلى خمسة أسس[4]:الإدارة المركزية،تقسيم الإدارة،نظام الجيش،ميزانية الدولة،ومواردها،طائفة الرياس.

فهذه مظاهر تدل على أن الجزائر ظهرت كدولة منذ العشرينات من القرن السادس عشر ميلادي،فخلال هذا القرن تبلورت مؤسسات هذه الدولة، كما استكملت هيكلتها الإدارية ذات الطابع المركزي واللامركزي في نفس الوقت تشمل جميع مناطق البلاد[5].

---

[1] المرجع نفسه،ص134.

[2] جون وولف :الجزائر وأوروبا1500-1830،تر:أبو القاسم سعد الله، ع.م،الجزائر2009،ص60.

[3] أحمد سيساوي:المرجع السابق،ص21.

[4] محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق،ص33.

[5] جمال قنان:دراسات في المقاومة والاستعمار ،م.م.و.م،الجزائر 1996 ،ص 132.

وخلال نفس هذا القرن هناك بعض الدلائل تشير إلى كونها تمتعت بسيادة القرار،منذ وقت مبكر[1]بعد انضوائها طواعية تحت حماية الدولة العثمانية.

إن غرضنا من خلال هذا العرض السابق لمعالم التنظيم السياسي والإداري بإيالة الجزائر،كي يتسنى للباحث خاصة،والقراء عموما،أمران اثنان:

أولاهما:تبيان ما مدى انعكاسات هذان العاملان؟؛على الوضع الداخلي،المتمثل في الاستقرار من عدمه،وعلى الوضع الخارجي،المتمثل في الاعتداء الخارجي على الجزائر.

فأهمية التنظيم السياسي والإداري لإيالة الجزائر يلقيان بظلالهما على شتى الجوانب،إن على المستوى الداخلي،أو الخارجي.

ثانيهما:كان هدفي من وراء ذكر أعمال الإخوة بابروسة وتأسيسهم لإيالة الجزائر، معطى مهم جدا،هو أن كثيرا ما نقرأ في الكتابات غير الجزائرية،بأن ظهور الإحساس الوطني في الجزائر،إنما يعود نتيجة أخطاء الإدارة الاستعمارية في الجزائر، فهناك جملة من العوامل تفضح إدعاءات الغربيين منها:

أنه قد سجل وجود هذا الشعور؛أي الشعور بالانتماء للجماعة داخل ما يسمى آنذاك بالمغرب الأوسط،قبل أن تلتحق الدولة العثمانية رسميا سنة (925هـ/1519م) بالدولة العثمانية[2].ففي الرسالة

---

[1]من مظاهر هذا الاستقلال في عهد (خير الدين العظيم)،وعندما كان قابودان باشا ،أوقف بعض السفن البندقية وهي في طريقها إلى المشرق ،ولما احتجت هذه الدول كونها أنها كانت في حالة سلم مع الدولة العثمانية رد عليها بكونها لم تتعاقد مع الجزائر ،وكما شكلت قضية اعتماد القنصل الفرنسي في الجزائر في بداية الثمانينات من القرن 16م ،موضوعا آخر يؤكد حرية القرار الجزائري واستقلاليته في وقت مبكر. حول هذا الموضوع ،ينظر: رسالة (حسان فنزيانو) إلى السادة قناصلة وحكام مدينة مرسيليا بتاريخ 28آفريل 1579م.

-V:Eugène plantet:Correspondance des deys Alger avec la cour de France, (1579-1833), Paris1889,T2, T1, pp1-2.

[2]حول تأسيس إيالة الجزائر ،ينظر:عبد الجليل التميمي:أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م ،م.ت.م ،تونس جويلية 1976، ع6،ص ص 116-120.

-De Grammont: histoire d'Alger sous la domination turque,(1515-1830),paris 1887,pp20-29 =

التي بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول،جاء فيها ما يلي:"...بكونهم هم سكان منطقة بجاية والمناطق التي تقع شرقها، وكذلك سكان الغرب سيكونون ممنونين وسيدينون له بالولاء.."[1].

كما أن هناك رسائل الأسرى الجزائريين التي تمثل شهادات حية على وجود هذا الشعور لدى تلك الأجيال فرسالة الأسير(عصمان بن قاسم)إلى كاتب الدولة البحرية الفرنسي – علي عهد لويس الرابع عشر بوذشرتران – والتي عرض فيها حالته بكونه تمّ أسره من طرف سفينة فرنسية، ولم تكن بلاده في حالة حرب مع فرنسا: "... وقعت أسيرا في مركب سلا وكتبوني سلاوي،وأما أنا والله العظيم إلا جزائري من أبائي وأجدادي ..." [2].فظهور الأتراك بشمال إفريقيا قد أنقذ البلاد المغاربية من مصير كان يبدو حتميا [3].

فكان ظهورا محمودا،حمل في طياته إشكالية هي لسيت ببعيدة عنا اليوم.مسألة الآنا والآخر وسط تيارات معادية ومناوئة لبني الإنسان عامة،والمسلمين خاصة،فبلاد الشرق تمثل الآنا كانت ترد الهجمات بقوتين:قوتها السياسية أولا،ثم حضارتها الإنسانية ثانيا،وقد غلبت قوتها السياسية كثيرا،ولكن قوتها الإسلامية لم تنهزم أبدا[4].

فهل عرفت الحضارة الإنسانية في تاريخها الطويل ذوبان واندماج الآنا مع الآخر؟ بداهة من الوهلة الأولى أقول نعم،فهذه لم تحدث إلا في حضارة إنسانية ،اسمها الحضارة الإسلامية،فكم من آنا انصهرت في بوتقة الإسلام،ولا أدل على هذا من أنموذج رقراق أوحد،نراه مناسبا لتقديم تصورات ورؤى عن مبحثنا

= شارل أندري جوليان: المرجع السابق،ج2،ص ص321-350.

[1] حنيفي هلايلي:أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي...،مرجع سابق، ص 116.

[2]جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م،الجزائر 1987، ص ص 144-145.

[3] Ernest Mercier: op.cit,p11.

[4]حسين مؤنس:الشرق الإسلامي في العصر الحديث،ط2،م.ح،القاهرة1938،ص10.

هذا.فمماليك مصر والأتراك العثمانيون والسلاجقة،تسلّمهم الإسلام قبائل في الشرق،وقدمهم في الغرب دولا ذات حضارات،أو ملوكا ذوي سلطان،وتلك كانت مهمة الدولة والحضارة الإسلامية[1].

من هذا العرض الموجز عن المشهد السياسي والإداري الذي عرفته الجزائر في مستهل القرن السادس عشر ميلادي، يمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

- لم تكن هناك دولة مركزية موحّدة قوية ومعترف بها في بلاد المغارب،لأنه في الواقع لم تقع في المغرب الأوسط أي سلطة حكومية موحدة[2]،حيث أصبح شرقي المغرب وأوسطه بسبب هذه الفوضى المتفاقمة ضربا من الفسيفساء السياسية التي يستشف الملاحظ تنوعه العجيب من دون أن يقدر على التدقيق في شأنها[3]؛

- يبدو أن المشهد السياسي الموسوم بالفسيفساء السياسية ساعد الأتراك العثمانيين على البروز والظهور على مسرح الأحداث العالمية؛

- أرسى الوجود العثماني بالجزائر كيان إقليمي،يتوفر على مقومات الدولة؛

- إقليمية الدولة الجزائرية الحديثة كانت لها انعكاسات على طبيعة العلاقات الخارجية؛ومنها العلاقات البينية؛الجزائرية المغربية[4].

---

(1) حسين مؤنس:المرجع السابق،ص ص10-11.

(2)نيقولاي ايفانوف:الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574،ط1،تر:يوسف عطا لله،تع:مسعود عامر،د.ف ،بيروت1988،ص97.

(3)شارل أندري جوليان: المرجع السابق،ج2،ص321.

(4) سيأتي الحديث عن انعكاسات إقليمية الدولة الجزائرية،وانعكاساتها على صيرورة العلاقات البينية بين الجزائر والمغرب في الفصلين الثالث والرابع من الرسالة.

ثانيا:الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى

1-الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى (العهد السعدي)

أ-معالم التشكل السياسي للمغرب في العهد السعدي:

كانت بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بالنسبة للمغرب الأقصى،حبلى بالسقطات السياسية،وتكاثر وتلاحق الفترات[1]؛فالحالة السياسية فيه اتسمت بالصراع على الحكم بين الأمراء السعديين[2] فيما بينهم من جهة،وبين بعض المتطلعين إلى الحكم من المغاربة من جهة أخرى[3].هاته الوضعية السياسية المتهالكة لا تفهم حقيقة،إلا إذا قرأنا نوعية الخطاب التاريخي المغربي آنذاك، حيث أثرت في نوعية الخطاب التاريخي المغربي،سّيما الأدب المناقبي.

فنجد مثلا الهدف الأوحد،والغاية الأسمى،من تأليف صاحب مخطوطة(دوحة الناشر)،إذ يقول:"...وسميت هذه الفهرسة بدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،وإنما جعلته مختصا بمشايخ المغرب لكونه وطني ومغرس شبابي وعطني ومن ذا الذي لم تهزه عصبية وطنه..."[4].

---

[1]طبعت السقطات السياسية،وتكاثر وتلاحق الفترات؛الفتن والشدائد،وهي ما يعبر عنه معاصرة بالأزمة.تقريبا المدة التي ندرسها،ينظر:لطفي عيسى:بين الذاكرة والتاريخ في التأصيل وتحولات الهوية،أ.ش،الدار البيضاء2015،ص37.

[2]يعود أصل الأشراف السعديين إلى مدينة ينبع،قدموا إلى المغرب في وقت غير معروف ولا معلوم السبب.لكن فيه من يجعل من قدومهم هم وإخوانهم العلويين زمن المرينيين ،مستوطنين الواحات المغربية،يراجع في هذا عمل المستشرق هنري تيراس:

-H .Terrasse :Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947,2T.

وأما عن مسألة صحة شرفهم فهم شرفاء،ينظر فيما كتبه (الوفراني):"ولكن صرح غير واحد من فقهاء دولتهم بصراحة نسبهم وسلامة جرثومتهم من الطعن"ينظر: محمد الصغير الإفراني:نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تص:السيد هوداس،م.ب،أبجي1888،ص ص6-7.

[3]أحمد شوقي:العلاقات المغربية الإسبانية إثر اختطاف خزانة السعديين المراكشية،في مجلة،ك.آ.ع.إ،مراكش 1992، ع8،ص38،في هذه الفترة كان يتنافس على سلطة فاس الوطاسيون؛فرع المرينيين البرابرة المستعربين (1471-1554م)،مع الشرفاء السعديين(1510-1659م)، ينظر:يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري 629-1341هـ/1231-1922م،تر:عدنان محمود سليمان،مرا:محمود الأنصاري،د.ع.م،بيروت2010،4مج،مج1،ص240.

[4] محمد بن عسكر الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،مخ،رواق المغاربة،و:2.

ويضيف الباحث(محمد حجي) عن ملامح الوضع السياسي لصاحب الدوحة،فيقول:"...ولقد أدركه شؤم السياسة عند انقسام الأسرة السعدية على نفسها للمرة الثانية.."[1].

في مثل هذه الأوضاع،فقدت فاس مجدها الذي كانت عليه على عهد المرابطين،والموحدين[2]،والمرينيين الأوائل[3]،ليحل محل المجد الانشغال بالفوضى الداخلية ونزاع السلالات[4].فيظهر تاريخ المغرب وكأنه صراع دائم بين الجهاز المخزني بصفته مركزا والقوى المحلية بصفتها هوامش معارضة[5]،هاته الأزمة السياسية تسببت في خلخلة هياكل المغرب وبناه الأساسية وزعزعتها وضربت في العمق ذهنية سكانه[6].مع جبن الأمراء الحاكمين في البلاد[7].

أود قبل الحديث عن نتوءات المعالم السياسية والإدارية للمغرب الأقصى كما هو مبين أعلاه،أن أوطّن كتابتي من الآن تحت مسميات أراها لا مفر منها،إذ الباحث يدرك معنى المفاهيم والمصطلحات في فهم حركية التاريخ المتجددة،فالباحث في تاريخ المغرب الأقصى الحديث من زاوية الوثائق المغربية،عليه أن يدرك مدلولاتها التاريخية في تلك الفترة في لحظة تجرد المؤرخ المستنطق لها من الأفكار الموروثة،عندئذ يتفهم ألغاز الوثائق التاريخية ويدرك خصائصها[8].هذه المفاهيم هي مهمة جدا في فهم تاريخ المغرب الأقصى.

---

[1] محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب،د.غ.إ،بيروت1996،10ج،ج1،ص12.

[2] من أسباب المجد والقوة التي كانت عليها فاس، أنها كانت دائما من الجنوب وبشكل واسع نحو أفريقيا،وذلك عن طريق قيام دول كبرى مهابة،سواء على مستوى التاريخ والفكر والجغرافيا،على غرار المرابطين والموحدين مثلا في العصر الوسيط،وأما عن العصر الحديث نأخذ نموذج السعديين كمثال على ذلك.

[3] يلماز أوزتونا:المرجع السابق،ص240.

[4] المرجع نفسه،ص240.

[5] عبد المجيد القدوري:المغرب وأوروبا...،مرجع سابق،ص296.

[6] المرجع نفسه،ص272.

[7] دييكو دي طوريس:تاريخ الشرفاء،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،ج.م.ت.ت.ن،الدار البيضاء1988،ص14.

[8] عبد الله العروي:مفهوم التاريخ(الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)،ط4،م.ث.ع،الدار البيضاء،المغرب 2005،ص249،هامش رقم:(1).

نورد أمثلة عنها نظرا لاشتمال بحثنا على البعض منها،فالمخزن يفهم في ضوء الدولة المعاصرة،والعامة في محيطهم،والخاصة في ضوء النخبة والشرف في ضوء النبل، والحرفة في ضوء النقابة،والزاوية في ضوء الحزب السياسي[1].ربما لا أكون مغاليا في موقفي عن كل من يكتب في مثل الموضوعات التاريخية الديبلوماسية،إذ المؤرخ هو من يخصّص ثم يتخصّص؛في مادة تاريخية معينة للحدث الديبلوماسي الذي يبحث فيه،ثم يتخصّص في هاته العملية المزودوجة-تجريد المؤرخ وتعيين المفهوم الجامع-[2]،فهما مؤدى البحث والاستقصاء لكل الباحثين في موضوع العلائق أو التاريخ الديبلوماسي.ترى هل توجد هناك اتجاهات معيّنة في الكتابة عن التاريخ السعدي؟

يلفت انتباهنا الباحث (عبد المجيد قدوري)إلى مسألة مهمة في التعامل مع كتابة التاريخ السعدي،حيث يقول:"...إلا أن القارئ يستطيع استخراج بعض المراكز المهيمنة على هذه الأبحاث،لعل أهمها التركيز على الصراع الإسلامي المسيحي وتبني الأشراف السعديين لظاهرة الجهاد التي يعتبرها هؤلاء سر نجاح حركتهم،وقد ركزت أبحاث كثيرة على هذه النقطة..."[3]،وفي نفس الوقت لا يفوّت علينا نفس الباحث فرصة التقييم لهذه المركزية في التناول التاريخي للسعديين،فيقول أيضا:"...يبقى الطرح في نظرنا طرحا خارجيا،هذا يعني أن المعالجة تتم من الخارج ولا تنفذ إلى منطق وعمق الأحداث..."[4].

يبدو للبعض أن الانغماس في اتجاه هذه المركزية،تفسيره وتعليله يعتبر ربما في حالة تنافر الحدث الداخلي مع العوامل الخارجية؟[5].من هذا المنطلق حاول بعض من المؤرخين المغاربة ربط قضية الجهاد بالصراعات الداخلية المرتبطة بالسلطة[6]،فمكمن المعلمة السياسية للمغرب الأقصى في هاته

---

[1] عبد الله العروي:مفهوم التاريخ...،مرجع سابق،ص249.

[2] عبد الله العروي:المرجع السابق،ص249.

[3] عبد المجيد القدوري:مساهمة الجامعة المغربية في الإنتاج:التاريخي حول المغرب السعدي:قراءة وملاحظات أولية، ورقة علمية قدّمت إلى:أعمال ملتقى البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم،م.ك.آ.ع.إ،الدارالبيضاء1989،ص64.

[4] عبد المجيد القدوري: مساهمة...، مقال سابق،ص ص64-65.

[5] المقال نفسه،ص65.

[6] نفسه،ص65.

هاته الفترة يتوالد من ثنائية الصراع –الإسلامي المسيحي–ومن تحصيل حاصل للثنائية الأولى،نجد جهاد ومرابطة في شخوص السعديين السياسي الديني في نفس الوقت.

وفي هذا يقول صاحب كتاب (الدولة السعدية التكمدارتية)،ما نصه:"...كانوا في بداية أمرهم وظهور جهادهم من سوس..."[1].

إن مسألة الكتابة عن الوضع السياسي للمغرب،لابد أن تأخذ طابع التوصيف المعلمي،الذي ينحى منحى الطرح الإشكالي الذي لوحظ أنه غيّب تماما في أوساط الكتابات المغربية[2]،الطرح الإشكالي يعبر عن مدى تأثير الأوضاع الداخلية في الملمح الخارجي،إن على مستوى التأثر،أو على مستويات التأثير.وكأمثلة على ما نقول،نورد هنا نصا للمؤرخ (عبد الكريم كريم):"...احدث الاحتلال المسيحي للسواحل المغربية رد فعل قوي في الداخل،إذ ظهرت حركات تدعو إلى حمل السلاح والتقدم لتحرير الأراضي المغتصبة،وقد أصبح أمر السلطات القائمة بالبلاد يتوقف إلى حد كبير على مدى استجابتها لهذا النداء..."[3]،دون أن نبخس الحدث التاريخي حقه هنا،وهو أن هناك جزئية غفل عنها المؤرخون،ومن هؤلاء المؤرخون الحاذقون المغاربة،سواء المنتمين بالتخصص لهذا الدراسات،أو المغاربة مولدا وتخصصا!؟،فيلاحظ إلى جانب الطابع الديني للتحرك السعدي هناك الطابع الاقتصادي[4]،تلاقت فيه مصالح شيخ الطريقة الجازولية (أبي عبد الله محمد بن المبارك) في مدينة آقا،مع تأييد عرب معقل وبخاصة الشبانات وذوي منصور للسعديين،ومرابطي الطريقة الشاذلية لهم،جاء وفق دوافع اقتصادية بحتة،تجلت في التفافهم حولهم لمحاربة البرتغاليين الجاثمين على مراكز وموانئ التجارة الصحراوية؛آقا،سوس،درعة،تافلالت[5].

---

[1] مجهول:تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية،تح:عبدالرحيم بنحادة،د.ت.ط.ن،مراكش1994،ص8.

[2] عبد المجيد القدوري: مساهمة...، مقال سابق،ص65.

[3] عبدالكريم كريم:المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية،ط2،م.ج.م.م،الرباط2006،ص33.

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب ...،مرجع سابق،ص33.

[5] المرجع نفسه،ص ص33-34.

البحث أيضا عن توصيف آخر للمعلمة السياسية،يفضي بنا إلى طرح تساؤل آخر:ترى ما هو الخط الذي سارت عليه مشروعية سلطان دولة المغرب الأقصى في مستهل القرن السادس عشر؟،يذكر المؤرخ (محمد القبلي) في شأن هذا التوصيف مايلي:"...وأما بالنسبة لحكم السعديين،فالظاهر حسب البوادر كلّها قد بدأ بالارتكاز على التقاليد المهدوية المنبثة عبر الجنوب عند قيامه في مطلع القرن السادس عشر.إلا أن ما يلاحظ أن الدولة السعدية لم تلبث أن ولّت وجهها شطر مرجعية أخرى غير المرجعية الأولى،كما يشهد بذلك التطور الذي عرفته الألقاب الملوكية المعمول بها رسميا كما هو متوقّع بالطبع..."[1]،فهاته الألقاب الملوكية تعكس بأمانة توجه كل دولة كما عكست مرجعيتها الخاصة[2].

إذ أن الألقاب الملوكية تعني ممارسة الحكم عند السعديين بمختلف تمظهراته؛فمحمد الشيخ يعتبر أول من مارس الحكم حقيقة من بين سلاطين الدولة السعدية قد تبنى القاموس الشيعي صراحة وبدون تردد عنما خيّر لنفسه الجمع بين لقب الإمام ولقب المهدي[3].

كما شكلت الزكوات والأعشار المؤداة من طرف أهل درعة[4] للسعديين في بداياتهم،نواة فيما بعد لمركزية الدولة في منطقة تارودانت وتيدسي[5]،حيث بويع بها الشيخ الشريف أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله[6].فالبيعة هنا حسب رأيي تعتبر حجر الزاوية في النظام السياسي للسعديين،نظر لما لها من تجليات تمس حياة الناس.إذ استتب أمره بين الناس،لا من الناحية الدينية فحسب، بل وحتى من الناحية الدنيوية[7].

---

[1] محمد القبلي:الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل،د.ت.ن،الدار البيضاء1987،ص108.

[2] محمد القبلي:المرجع السابق،ص108.

[3] المرجع نفسه،ص108.

[4] مارمول كربخال:المصدر السابق،ج1،ص252.

[5] المصدر نفسه،ج1،ص253.

[6] نفسه،ج1،ص253،الإفراني:المصدر السابق،ص ص 10-11.

[7] الإفراني:المصدر سابق،ص253.

هناك خط آخر عمّل به لدى السعديين كقاعدة للملك وبناء دولتهم،تجلت في أن دم الأخوة السعديين مباح لتحقيق غرضهم السياسي،إذ نجد الباحث(عبد الله كنون)يقول:"...وهكذا كان دم الأخوة عند السعديين هدرا..."[1]. هذا ما مهد للمغرب فيما بعد مع مجيء المولى أحمد المنصور المعروف بالذهبي إلى الحكم بظهور ملامح الدولة الحديثة المستقرة[2]،وهو أمر جديد في مغرب القرن السادس عشر كل الجدة[3].

حيث أرسى المنصور نظاما عاما للمغرب قائم على مسألتا الخلافة والبيعة[4].

فهل وجدت هذه القضية حضورا في الخطاب الرسمي،وما أمثلة ذلك؟ مثّل هذا الحضور أحسن تمثيل في الأدبيات التاريخية[5] المغربية خلال القرن السادس عشر ميلادي،محاولة عرض و تقديم حضور الخطاب الرسمي للدولة السعدية[6]،أي أن السعديين أحق بالخلافة من الأتراك العثمانيين[7].

نقطة مهمة أذكرها هنا لتوضيح قضية مغرب القرن السادس عشر الجديد كل الجدة،فهو في رأيي يستمد جدّيته من ثلاثة أمور:

---

[1] عبد الله كنون:ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة،تقديم:محمد بن عزوز،م.ت.ث.م،المغرب2010،3ج،ج3،ص1509.

[2] محمد الغربي:بداية الحكم المغربي في السودان الغربي،إشرا:نقولا زيادة،م.ف.ط.ن،الكويت(د.ت)،2ج،ج1،ص75.

[3] محمد الغربي:المرجع السابق،ص75.

[4] المرجع نفسه،ص76.

[5] لمسنا هذا في كتب أدب الرحلات، كالرحلة التي قام بها(التمقروتي) في رحلته الموسومة ب"النفحة المسكية في السفارة التركية".

[6] محمد رزوق:العلاقات المغربية التركية من خلال أدب الرحلات كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية نموذجا،ورقة علمية قدمت إلى:أعمال ندوة أدب الرحلة في التواصل الحضاري، ك.آ.ع. إ.م،جامعة المولى إسماعيل بمكناس ،المغرب 1993،ص349.

[7] محمد رزوق:المقال السابق،ص349.

-الأمر الأول سياسي محض،برز في هيكلة الدولة المغربية،فانتقلت إلى قوة لم تعرفها من أمد بعيد[1]،على إثر معركة واد المخازن[2].

والتي كانت على حد قول الباحث (شوقي أبو خليل):"...كانت تصفية لحساب،وردّا لاعتبار،وتصحيحا لأوضاع.."[3].

-الأمر الثاني اقتصادي؛يكمن في أهمية الذهب السوداني الذي فتح باب التفوق أمام المغرب،خاصة فيما تعلق بجوانب مسّت سياسة المغرب داخليا وخارجيا.وكتوضيح لما سبق،فقد ورد في تقرير أرسل به السفير الانجليزي"لورانس مادوك"إلى حكومته في سبتمبر1003هـ/1594م أثبت فيه:"..أن السلطان (يقصد المنصور) أصبح أغنى حاكم في الكون..."[4].ولم يكن ذهب السودان ممولا للمغرب لوحدها،بل كان أيضا أساس رخاء إفريقيا الشمالية واسبانيا الإسلامية[5]،انعكس بالإيجاب على هاته المنطقة كلها،فبنّت لنفسها حضارة أندلسية مغربية عظيمة وأصيلة[6]،وأصبح ذهب بانكوك محور الدوران العام للبحر المتوسط،منذ القرن الرابع والخامس عشر،فأضحت إفريقيا الشمالية الممون بالمعدن الأصفر ومحرك المتوسط كله[7].

---

(1) يفهم نقيض الحالة المثبتة أعلاه،من خلال ما بيّنه (الفشتالي)،إذ يقول:"...وأعضل الخطب وكاد سلك الدولة يتنسر وذيلها يتقلص ثم جبر الله الصدع بأمير المؤمنين ايده الله فشمر لابتداء الأمر من أوله وتشييد الملك من أساسه.وافتتح المغرب فتحا ثانيا..."،ينظر:عبد العزيز الفشتالي:مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا،تح:عبد الكريم كريم،م.و.أ.ش.إ.ث،الرباط1972،ص ص39-40.

(2)المصدر نفسه،ص75،وقعت يوم الاثنين 30جمادى986هـ/04أغسطس1587م،تسمى كذلك معركة الملوك الثلاثة؛ملك البرتغال (سبستيان)،الملك السعدي المتوكل الملقب بالمسلوخ،وعبد الملك السعدي،لكننا عثرنا على وثيقة عثمانية تسمّي الحادثة بمعركة "وادي السبيل"،ينظر حول خلفيات التسمية والمساهمة في قراءتها وتفكيكها:

-Abderrahim BEN HADDA:Un document Ottoman Sur La bataille de Wad As-Sabil(4Août1578) ,in(H.T),Université Mohammed V, RABAT1993, (Vol. XXXI) , P P23-33.

وأما بخصوص الوثيقة بلغتها الأصلية مع ترجمتها،ينظر:الملحق رقم(2).

(3)شوقي أبو خليل:وادي المخازن، معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير،د. ف،دمشق1988،ص45.

(4) Henry de Castries: S.I.H.M,Ang,t2,P86.

(5)Fernand BBAUDEL, La Méditerranée ..., T2, Op.cit, p 365.

(6)Ibid, p 365.

(7) **id** idem.

الأمر الثالث عسكري،والذي يعتبر من إفرازات الرفاهية الاقتصادية،فيمّم المنصور رأيه نحو مشاريع كبرى كان من أهمها اعتناؤه بأسطوله وتقويته[1].ولكن من باب عدم تناول الجزئيات دون الكليات؛الأمر الذي يحدث في مثل هذه الدراسة صداع الفجوات الفكرية.نقتبس نصا للأفراني يعالج المرحلية لهاته الدولة،فيقول:"...فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في حق الله حق جهاده حتى استخلصوا من أيدي الله رقاب عباد الله وحصون بلادهم وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا..."[2].

وكختام لهذه الجزئية،ارتأيت أن أعرج عن سياسة السياسات السعدية؛فالسعديون خلال الثلاثة أرباع القرن تقريبا بذلوا أقصى الجهود لتقوية دولتهم سياسيا وعسكريا وتطويرها اقتصاديا[3].

إن هاته القراءة لمعالم التشكيلة السياسية للمغرب الأقصى،تختلف عن المقاربات التاريخية التي أثقلت متون وحواشي الكتب على مختلف مستوياتها[4].فجاءت تبحث عن التشكيلة،وعن التمظهرات،بل وربطها بإشكالات تجمع بين الزمان والمكان،ولا تلغي الظاهرة النموذجية.ويجب أن لّا نغفل عن مسألة التشابه بين البلدين،خاصة في تطابق الملامح السياسية؛ظاهرة رد الفعل على الغزو الأجنبي[5]؛ظاهرة رد الفعل في المغرب تمثلت في بروز نهوض ديني وطني[6]،تمثّل أولا في الأسرة الأسرة السعدية؛

---

[1] Henry de Castries: S.I.H.M,Ang,t2,P86.

[2] محمد الصغير الأفراني:المصدر السابق،ص66.

[3] عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص227.

[4] لعل أحسن مثال على هذا النوع من الكتابات المسّهبة في وصف الوضع والمآل السياسي للمغرب،ما كتبه الحسن الوزان في كتابه" وصف أفريقيا" هذا عن طبيعة طرح الوزان للوضع آنذاك؛سلطة مركزية ممزقة ومتقلصة،توطّد سلطات إقليمية،صورة مغرب مدمر بفعل الحروب والفتن الداخلية والغزو الخارجي.أما عن موارد هذا الطرح فهي متنوعة؛ من مشاهدة،وسماع ومقابلة لبعض الشخصيات الصانعة للحدث.ولكن من حيث الإيديولوجية الفكرية وحتى المشرب العقدي كان مغايرا لعقلية وذهنية المغاربة،ضف إلى ذلك فهو يمثل رافد من روافد الكتابة التاريخية من صنو أجنبي.

[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق،ص8.

[6] يمكن تفسير النهضة الدينية بما شهده المغرب في نهاية القرن الخامس عشر،أي قبل قيام السعديين بقرن وعقد من الزمن تقريبا، بموضة العصر في المغرب كله؛الآلة الصوفية وما أحدثته من تغيير للمجال والدولة آنذاك،فالنهضة الدينية لا تفهم إلا في رباط التصوف=

ثم مع الأشراف العلويين[1].أما في الجزائر مثّل بالاستعانة بالدولة العثمانية[2].

ب–معالم التشكل الإداري للمغرب في العهد السعدي:

نستهل حديثنا بطرح سؤال يعتبر من الأهمية بمكان في مثل هذه المقامات الفكرية،والقضايا التاريخية،سيما ذات الطرح المقارباتي،فهل شهد المغرب ظهور فكرة أمّة،وما العناصر المكونة لها إن وجدت؟.

هذا التساؤل في نظرنا له إفرازات تمس معالم التشكل الإداري في هذه الفترة بالذات،أورد في هذا الشأن المؤرخ (محمد حجي)وجهة نظرٍ،يثبت فيها وجود شعور قومي مغربي وفكرة أمّة مغربية في هذه الفترة[3]،نفس وجهة النظر يؤكدها المؤرخ (محمد المنوني)،حيث ذكر أن عناصر تشّكل الشعور القومي بالمغرب في العصرين المريني والوطاسي كانت متوفرة آنذاك[4].حيث عرّف عن السعديين، منذ تواجدهم في وادي درعة في بداية القرن الرابع عشر،أنهم استقروا في تاكمدارت،وتعتبر هذه الأخيرة من أغنى مناطق درعة بالسكان.وظلوا حتى مطلع القرن السادس عشر يعيشون حياة بسيطة كعلماء[5].

كان للسعديين قاعدة أساسية في التنظيم الإداري؛تمثلت في تشّكل في القبائل.فكانت هذه القبائل قاعدة الدولة السعدية مثلما كانت الطريقة الجازولية–الشاذلية آداتها الإيديولوجية[6]،كما أن

=الزوايا؛القادرية والشاذلية مثلا،أما من حيث الوطنية فالمقصودة هنا هي استحواذ الزوايا والطرق على النواحي السياسية الإقليمية،فتحركت الآلة الصوفية بشكل سياسي مستقل عن الدولة،بفعل عامل الدين،وكذا ما عرف بالغزو الخارجي للمغرب.

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق،ص8.

[2] المرجع نفسه،ص ص8-9.

[3]V:Mohammed Hajji: L'idée de nation au Maroc aux XVIe_e et XVII$_e$ siècles ,in(H.T),Université Mohammed V, RABAT1968, X (Vol. IX).

[4]Mohammed ELMENOUNI: Apparition à l'époque mérinide et ouat–taside des éléments constitutifs du sentiment national marocain ,in(H.T),Université Mohammed V, RABAT1968, (Vol. IX),pp209-227.

[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق،ص29.

[6]دلندة الأرقش وعبد الحميد الأرقش وجمال بن طاهر:المغرب العربي الحديث من خلال المصادر،م.ن.ج،تونس2003،ص18.

التنظيم الإداري للسعديين يعتبر قمة التطور السياسي- في المغرب،وضربا من الوعي بأهمية التخطيط له،والسهر على متابعة انجازه،مما يعتبر أهم وأول نظام إداري،بل وأول نظام إداري خليق،وحامل معه توجهات جديدة سابقة عن أنظمة الدول السابقة لهم.

مادام أننا توصلنا إلى هذا الاستنتاج الذي يبدو صعب التدليل عليه في وقتنا هذا،فهو ربما يحتاج لدراسات أكاديمية في المستقبل لإماطة اللثام على مثل هكذا استشكالات، لأن هذا الطرح يفضي بنا إلى معرفة ماهية أدواتهم في بناء هذا النظام الأول من نوعه،وما مكمن الجدّة فيه؟

ناقش مجموعة من الباحثين هذا الطرح،فيذهبون إلى ما نصه:"...إن متطلبات المرحلة وطموحات السعديين كانت أوسع من أن تحصر في الحيّز العصبوي الضيق وفي العقيدة الطرقية المكبّلة.فارتكاز سلطة الأشراف السعديين على قبائل السوس لا يعني ضرورة انحصارها في العصبية السوسية.

ولعل التجاء صلحاء جازولة إلى الشرفاء لتسليمهم قيادة الحركة وتكليفهم ببناء سلطة جديدة دون غيرهم من رموز المنطقة كان يمثل ضربا من الوعي بأهمية مشروعية الشرف الواسعة في إنجاح المشروع..."[1]،ومن هنا نلاحظ أن السعديين من حيث جدّة تنظيمهم السياسي والإداري،قد انحصر في الاعتماد على السند القبلي،والمرجعية الطرقية،لكن مافعله السعديون يعتبر نبوغ في فهم متطلبات العمل السياسي المؤسساتي،والبناء الإداري المنظم،مع إيجاد الحيلولة بين اجتماع وتغول هذين السندين،الأمر الذي أدى بهم إلى إزاحة هذين السندين عن المشهد السياسي.

أيضا أضاف،بعض الباحثون في هذه الجزئية:"...بهذه التوجهات الجديدة تميّزت السلطة الشريفة عن سابقاتها من السلّط.فمن منطلق الهيمنة السياسية-الدينية واحتكار السلطة،كان لابد على السعديين من إخضاع جميع القبائل،بما في ذلك قبائل السوس،إلى سيادتهم الجبائية مناهضين العصبية القبلية رغم

---

[1] دلندة الأرقش وعبد الحميد الأرقش وجمال بن طاهر:المرجع السابق،ص18.

ارتكازهم على قاعدة قبلية،وكان لابد عليهم أيضا من إخضاع الفقيه والمتصوف واستعمالهما كأدوات تبرير ومباركة..."[1].

ويستشف من هذه الدراسات بأن الأدوات والوسائل السعدية التي ساهمت في تأسيس نظامهم الإداري،انبنت على أرضية متعددة الميكانزمات،متباينة التوجهات،متشابهة الكيان ؛القبيلة،الفقيه،المتصوف.

نخلص من هذه المعلمة الإدارية إلى مخرجات ودلالات هذا النظام الإداري بالنسبة للمغرب في العصر الحديث،الذي كرّس هذا الخليق الإداري المتمّيز والمستحدث؛تكرّيس ميلاد دولة المخزن على أنقاض دولة القبيلة[2].

غير أن هذا النظام لم يعرف نفس الوتيرة،بل شهدا تطورا وتباينا داخل منظومة حكم السلاطين السعديين.فهل يمكننا حقا أن نقول أن هذا الأخير شهد تطور،وما هي أبرز مراحله؟.ولبحث هذه المسألة،نورد نصّا للمؤرخ (عبد العزيز الفشتالي)،الذي حاول التأريخ لهذا الأمر،إلا أنه يعالجه ضمن المظاهر الحضارية الخاصة بالدولة السعدية،حيث يقول:"...كانت سيرة الخلفاء رضوان الله عليهم من أول الدولة إلى أيام المتوكل عفا الله عنه،سيرة مطلقة لم تحفظها قوانين ولا قيدتها ضوابط،بل كانت الأمور مسترسلة وجارية على مقتضيات الحال بما كانت الدولة عربية ساذجة غير مرتاضة للقوانين التي تملك زمامها وتمسك عن الاسترسال عنانها..."[3].

ويستشف من هذا النص أن المرحلة الأولى كانت مرحلة تتسم بالسذاجة في جميع النواحي،وكانت لا تحتكم إلى قانون، ولا إلى تجربة من التجارب التي مرّ بها المغرب.مما يجعلنا نؤكد على أنها كانت مرحلة خارج فلك النظم الإدارية،غير عابئة بمعاني الحضارة،ارتكست فقط على لسان حال الواقع؛ألا وهو السكون إلى الأذقان في عالم البدواة.

---

[1] دلندة الأرقش وعبد الحميد الأرقش وجمال بن طاهر:المرجع السابق،ص18.

[2] المرجع نفسه،ص18.

[3] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص200.

ولنترك المجال لمؤرخنا (الفشتالي)،لينقلنا إلى المرحلة الثانية،قائلا:"...إلى أن صار الملك والخلافة للمولى عبد الملك أمير المؤمنين المعتصم رحمه الله فجنح بالدولة إلى السيرة العجمية بما كان تقريرها رحمه الله على السيرة العربية وحمل الناس عليها حملا عنيفا...ثم جد الله من مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله بالطبيب الماهر والحكيم المدبر الباهر الذي يحيل الصبغة ويولف الطباع الشاذة فلم الشعث وجبر الصدع وسكن الهيعة ورتب الألقاب...وجعل بين العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة..."[1].

من خلال النص يتبين لنا،أن المرحلة الثانية شهدت تطورا،وهو التأثر بالأنظمة العجمية[2]،واستقرارها في أمصار الدولة،حاضرة وبادية.

ومن أهم الضوابط التي استحدثها المنصور إداريا[3]؛أيام الديوان،القاضي،المفتي،العامل،صاحب الشرطة،شيخ القبيلة،مسدد الناحية،أمناء الحرف،مقدمي الحارات[4].بالإضافة إلى اختراعه خط على شكل عدد حروف المعجم[5]،وهو ما عرف بالشيفرة التي كان يكتب بها ما لا يريد أن يطلع عليه غيره في مراسلاته،إلى عماله،وقادة حملاته،وأبنائه[6].

---

[1] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص201.

[2] المقصود بها نقل تجارب الأتراك العثمانيين بالجزائر للمغرب،وكذلك نقل السعديون عن المرينيين أمر الدواوين.فمنذ الأيام الأولى من دخول (محمد الشيخ) فاس قام الوزير (قاسم الزرهوني)،وهو من وزراء بني مرين بإعطاء المظهر المملوكي للدولة السعدية بفاس."..فأطلعهم على جبايات المغرب ،ودواوين القبائل وما يأتي من جباية زكواتهم وأعشارهم،وما عليها من الوظائف و رواتب الجيوش.."،ينظر:مجهول:المصدر السابق،ص ص28-29.

[3] هي أيام يجلس فيها المنصور للجمهور والوفود وأحكام الجند ومناولة أمور المملكة بالنقض والإبرام، وخص بذلك يوم السبت ويوم الاثنين ويوم الأربعاء،ينظر:عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص205،عمار بن خروف:العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،د.أ.ط.ن.ت،الجزائر2006،2ج،ج1،ص126.

[4] عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص ص231-236.

[5] الإفراني:المصدر السابق،ص119.

[6] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص ص208-209 ،عمار بن خروف:المرجع السابق،ج1،ص126.

وتميزت هذه الضوابط بإسلامية الطابع،ففي هذا الشأن أورد (الفشتالي) ما نصه:"...ما في الأرض اليوم مملكة جاءت على حكم طريق العدل وقوانين الشرع ومناهج السنة أحسن من مملكته..."[1].ولأهمية هذا الجهاز،نجد أن المولى أحمد المنصور أمر بتدوين ديوان قبائل سوس[2]؛تضمن معلومات فريدة عن سكان الجهات الغربية في العهد السعدي،وهي منطقة سوس،حيث تتبّع أسماء القبائل بنوع من الاستقصاء يمكن للباحث أن يتبن معه-إلى حد ما-الخط الذي يرسم حدود منطقة سوس من الناحية الإدارية[3].

2-الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى (العهد العلوي)

أ-معالم التشكل السياسي للمغرب في العهد العلوي:

يرجع نسب العلويين إلى جدهم الأعلى الحسن بن قاسم،الذي وفد إلى المغرب سنة664هـ/1265م من ينبوع النخيل ببلد الحجاز في أوائل عهد الدولة المرينية،أين استقر بسجلماسة[4]،اشتهروا قبل تمكينهم للدولة[5]وبعد أن صارت دولة.وسبب اشتهارهم هو امتهانهم

---

(1) عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص197.

(2)إبراهيم بن علي الحساني:ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد منصور الذهبي،تح:عمر آفا،ن.ج،الدار البيضاء1988 .

(3) إبراهيم بن علي الحساني:المصدر السابق،ص2.

(4)أحمد بن عبد العزيز العلوي:الأنوار الحسينية 1101هـ/1689م،تح:عبدالكريم الفيلالي،ن.و.آ،المغرب(د.ت)،ص12.

(5)بعد نجاح "مولاي محمد" بإنقاذ والده المولى الشريف من قبضة أبي حسون،الأمر الذي أدى بالشريف بالتنازل لابنه على الإمارة حيث نصب خلفا له سنة1050هـ/1640م،كان إيذانا ببدء دولة العلويين الشرفاء،ينظر:بن قايد عمر:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) من 1069-1139هـ/1659-1727م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث(غ.م)،إشراف:عمار بن خروف،المركز الجامعي بغرداية،الجزائر2010-2011،ص30،نقلا عن تاريخ الضعيف،لكن حينما رجعنا إليه وجدناه يؤرخ لنشأة دولة العلويين ب1051هـ/1641م،ينظر: محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعدية1165-1233هـ)،ط1،تح:أحمد العماري،ن.د.م،الرباط1986،ص15.ودفعا للبس وغموض تحديد تاريخ بداية الدولة العلوية،نقول أن تاريخ المغرب بدءا من القرن السادس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر،فأن ما يلاحظ عن معالمه الكرونولوجية المؤطرة للمرحلة كلها أنها تضل بعيدة عن الدقة المفروضة فلم يكن لها أن تحظى أبدا بإجماع المؤرخين،حول=

واحترافهم لمهنة التعليم[1].وهم أشراف حجازيون من مدشر يعرف ببني إبراهيم[2]،غير أنه ونحن في هذا الصدد يجدر بنا أن ننوّه بمصدر[3] يعتبر أول وثيقة وأهمها في تاريخ العلويين ونسبهم وفرقهم وأماكنهم والشخصيات التي عاصرت صاحب المؤلّف[4].

ومن واجب الأمانة العلمية القول بأن جل المؤرخين المغاربة الذين تنالوا تاريخ العلويين نهلوا منه، بل وحرّفوا من حقائقه وتكتّموا عزوا الحقائق له،أمثال (الوفراني) في كتابه روضة التعريف[5]، الذي يعتبر ملخص عن كتاب الأنوار هذا[6]،وصاحب تاريخ الضعيف[7]،كما لاحظت أيضا عدم اعتماد المؤرخين المعاصرين على هذا المؤلّف في دراساتهم وبحوثهم العلمية،حسب ما وقع تحت يديّ من أعمال أكاديمية؟!

إن أهم معلمة سياسية لهذه الفترة،هي أنها أخذت تتميز بانسجامها الذاتي المرتكز أساسا على الوحدة المجالية التي أخذت في الاستقلال تتبلور عن بقية بلاد المغارب، سواء على المستوى السياسي أو من الناحية الاقتصادية والثقافية[8].

=هذا الانطباع المؤسس،ينظر:محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين وتركيب،م.م.ب.ت.م،الرباط2011،ص ص371-372،أما الباحث "إبراهيم حركات"يرى أن دولتهم تأسست سنة1059هـ/1649م،ينظر: إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ،ط2،د.ر.ح،المغرب1994،3ج،ج3،ص17.

(1) أحمد بن عبد العزيز العلوي:المصدر السابق،ص12.

(2) المصدر نفسه،ص ص19-29.

(3) هو نفسه كتاب الأنوار الحسينية،وهو غير العنوان الذي أراده المؤلف أحمد بن عبد العزيز العلوي"الأنوار الحسينية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية"،ينظر: المصدر نفسه،ص20.

(4) نفسه،ص9.

(5)محمد الصغير الإفراني:روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف،ط2،تح:عبد الوهاب بنمنصور،م.م،الرباط1995.

(6) أحمد بن عبد العزيز العلوي:المصدر السابق،ص.9

(7) مثلا نجده يسلخ نسب العلويين نسخا عن صاحب كتاب الأنوار الحسينية دون التطرق لذكره،مع محاولة إثبات سند مروياته في باقي الكتاب،ينظر:محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق ،ص5.

(8)محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص371.

ويرى الباحث (محمد القبلي)أن هذه الفترة لازمت وتشبثت بمعلمة سياسية،آلت في تشبثها بإقامة مجال ترابي مغربي[1].فإلى أيّ تركيبة اعتمد المجال الترابي المغربي،أوماعرف في أدبيات المغاربة بالمخزن[2]؟.

يرى الباحث (محمد المنصور)أن المخزن المغربي،يعتمد في تركيبته وأسسه الإيديولوجية على النظام الإسلامي التقليدي كما حدّدته نصوص الشرع والممارسة السياسية عبر قرون[3].

ومن عوامل تطور رقعة نظام المخزن،التفاعل المستمر بين المجتمع والمؤسسات المخزنية ثم بين هذين العنصرين والتدخلات الأجنبية[4]،خاصة إذا علمنا أن الأشراف العلويين برزوا كقوة إقليمية،بدأت نضالها نضالها ضد القوى الصوفية المحيطة بها؛كأبي حسون السملالي من الغرب والزاوية الدلائية من الشمال[5].

الشمال[5].

على أن ما ذهب إليه(محمد القبلي)في توصيفه للمعالم السياسية بالمغرب؛المجال الترابي،له ما يفنّده ويبسط رأيه للنقاش،ففي هذا يتبيّن لنا رأي بعض الباحثين في أن السيادة المغربية لا تقوم دائما على أساس المفهوم الترابي الذي يحدّد السيادة،بحسب الرقعة التي تستطيع الدولة مراقبتها عسكريا وإداريا، إذ أن السيادة المغربية في الإطار الإسلامي، هي سيادة دينية وسياسية في آن واحد[6].

---

(1) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص372.

(2) يحيل المخزن مفهوميا على كثير من الوظائف،لكنه يظل أكثر اتصالا بحقل السلطة بكل مانعنيه من قوة قهرية إلزامية تفترض الطاعة والإذعان.فكلمة المخزن هي موضع الخزن،ومنه مخزن البضاعة عند التجار،ويعود الاستعمال الرسمي لكلمة المخزن لإبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيا،وهو صندوق من حديد تحصل فيه الأموال من الضرائب قصد إرسالها إلى الخليفة العباسي ببغداد،وهي عموما تحيل على الدولة،إذ المخزن انطلق ماليا وانتهى سلطويا،ينظر:عبد الرحيم العطري:تحولات المغرب القروي أسئلة التنمية المؤجلة،م.ط.ب،الرباط2009،ص ص36-37،أما (عبد الله العروي) فيرى أنه النظام الذي كان في القرن التاسع عشر والذي تعامل معه نواب الأجناس في طنجة،وهو وليد القرن الثامن عشر،وإن شاركته الاسم أنظمة سابقة،ينظر:عبد الله العروي:من ديوان السياسة،م.ث.ع،المغرب(د.ت) ،ص109.

(3) محمد المنصور:المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين1792-1822،تر:محمد حبيدة،م.ث.ع،المغرب2006،ص46.

(4) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص373.

(5) محمد خير فارس: تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص77.

(6) محمد المنصور:المرجع السابق،ص47.

كما أن جوهر المسألة يكمن لدى الباحث الحصيف في أهمية قضية البيعة والمبايعة وهي في نظري من أهم المعلمات السياسية في تاريخ الأشراف؛السعديين والعلويين.وبواسطة البيعة سجل المخزن في المغرب حضورا قويا من خلال تقاطعاته وترابطاته القسرية والعفوية،والتي تجتاح جميع تضاريس المجتمع[1].

إن مشمولات المخزن الجغرافية تحيلنا إلى عدم قبول النظرة الاستعمارية التي تقر بالثنائية المفترضة؛بلاد المخزن وبلاد السيبة[2]،إذ الدراسات المونوغرافية العديدة التي أنجزت خلال العقود الأربعة الأخيرة حول مغرب القرن التاسع عشر، تدعو إلى إعادة النظر في إجرائية هذه الثنائية وملائمتها لتبيان تاريخ المغرب الحديث،أو على الأقل،الحذر في التعامل معها والتحفظ في قطعيتها واستعمالها[3].لا لشيء سوى لتقنين مبرراتهم الاستعمارية[4]،غير مدركين لخصوصيات مغاربة وثقافاتهم[5]ذلك أن للمخزن قاعدة إنتاجية،يبحث فيها الاقتصاديون،تتداخل فيها عوامل عتيقة وأخرى مستجدة،وللمخزن هيكل اجتماعي،يبحث فيه علماء الأجناس،يعتمد على هيئتن(الزاوية والقبيلة)لكل منهما أشكال متنوعة ووظائف كثيرة[6].فما هي طبيعته؟

---

(1) عبد الرحيم العطري:المرجع السابق،ص35.

(2)ذهب بعض المؤرخين المغاربة كالإفراني في النزهة والزياني في الترجمان إلى شبه إجماع أن بلاد السيبة اختفت في عهد مولاي إسماعيل(1672-1727)،أو انكمشت وانحصرت،حيث لم يعد أحد من الرعايا المغاربة يخطر بباله هذه الثنائية.فيورد الزياني في هذا الشأن نصا،يقول فيه:"..والبلاد في أمن وعافية يخرج الذمّيّ والمرأة من وجدة إلى واد نون ولا يجدان من يسألهما من أين وإلى أين.."،ينظر:الزياني: الترجمان المعرب عن ملوك دول المشرق والمغرب،مخ،الخزانة العامة ،الرباط،د659،و:28.والناصري أيضا سجل حقيقة ماذهبنا إليه،فيقول:"...كانت أيام أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله على ما ذكرنا من الأمن والعافية وتمام الضبط حتى لم يبقى لأهل الذعارة [الدعارة]والفساد محل يأوون إليه ويعتصمون به ولم تقلهم أرض ولا أظلتهم سماء سائر أيامه..."،ينظر:أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج7،ص99.

(3)محمد المنصور:مرجع سابق،ص47.

(4) المرجع نفسه،ص47.

(5)نفسه،ص47.

(6) عبد الله العروي:من ديوان...، مرجع سابق،ص109.

كتب الباحث (عبد الله العروي)،في شأن هذا الملمح السياسي،قائلا:"...هذا المخزن يتولى القيادة القبلية وسياستها القمعية،كما يتولى الزوايا وسياستها التأليفية،كما يستمد شرعيته من وظيفة الإمامة.يتجسد المخزن في فرد هو المولى/السلطان/الشريف/الإمام..."[1].ثم يضيف قائلا عن محددات هذا الملمح:"..هو إذن رمز لوظيف..بواسطة آليات تتدرج من المرافق التدبيرية(جيش،وزارة،كتابة،عمالة،شرطة،بريد،قضاء،إفتاء،حسبة،إلخ)،إلى الهيئات الاجتماعية(أشراف،علماء،تجار،صنّاع،شيوخ،الخ) لتنتهي إلى الأصل والأساس(قبيلة،عشيرة،أسرة)."[2].

إن البيعة تشكل الرابط الأساسي بين هذه الجماعات،واللفظ العام الذي يصف علاقة الفرد الحاكم بكل هذه التشكيلات،على اختلاف مستوياتها[3].

فالبيعة توحي بالتعاقد الحاصل بين السلطان والرعية كتابة وتجسد التلاحم الحاصل بين الطرفين،بين القمة والقاعدة،وتهم جميع مكونات المجتمع المغربي غنيه وفقيره عالمه وأميه[4].

وقد خلص أحد الباحثين إلى نتيجة مفادها أن الدولة المغربية في هذه الفترة لم تعرف بالولاء لمجال ترابي ذي حدود واضحة ومعلمة،وإنما بالولاء للسلطان؛نتيجة تواصل ممارسة البيعة بطقوسها المعهودة[5]،الأمر الذي جعل هاته المؤسسة تكتسي صبغة خاصة في المغرب العلوي السليماني وعادت لا لا تكاد تنفصل عن مفهوم السلطان[6].

---

[1] عبد الله العروي:من ديوان...، مرجع سابق،ص110.

[2] المرجع نفسه،ص ص110-111.

[3] نفسه،ص111.

[4] عبد المجيد القدوري:البحر في المتخيل العربي،م.ع،المغرب1998،ص21.

[5] عبد الحميد هنية:بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها في الفترة الحديثة،ورقة علمية قدّمت في ندوة:جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، م.ع.أ.د.س ،بيروت2014،ص174.

[6] عبد الله العروي:من ديوان...، مرجع سابق،ص111.

إن طابع مؤسسة البيعة في المغرب يبيّن لنا نمط الحكم في المخزن المغربي،فتبعا لها كان النظام يمارس سلطته وسيادته على جمع من الجموع[1]،فهل استطاع المخزن المغربي بمعالمه السياسية المذكورة آنفا أن يوجد له تموضعا داخل التضاريس البشرية للمغرب؟.وقد أجاب عن هذا التساؤل الباحث(عبد الحميد هنية) بعد دراسة مقارنة بين المجال الترابي في كل من تونس والمغرب،بقوله:"...لم يتحقق للدولة إمكانية اختراق الكتل الجماعية كي تستطيع النفاذ إلى الأفراد داخلها وتقيم معهم علاقات مباشرة..."[2].

ب–معالم التشكل الإداري للمغرب في العهد العلوي:

يبدو أن الجهاز المخزني اكتمل في عهد العلويين،وهنا لابد لنا من إقرار حقيقة أن هذا الجهاز كما ورد على لسان من عاصروا وكتبوا عن هذا القالب الإداري،يشمل عدّة مؤسسات متكاملة ومتعددة؛فهو حاضر في مؤسسة الجيش،عن بيت المال وعن ضرب السكة[3].

ويعتبر العمال والقواد نواة النظام الإداري للعلويين[4]،حيث كان بيدهم جباية الزكوات والأعشار وتجميع الجيش[5].كما تعتبر المهام التي ذكرناه في حق هؤلاء من المستلزمات الوظيفية،والمسؤوليات الإدارية[6]،فلا نعجب من قول الريفي، حينما تطالعنا نصوصه عن المخزن العلوي؛أن للمولى إسماعيل

---

[1]أما في تونس عكس ذلك تماما،فالدولة تمارس سلطتها على جمع من الجموع إلى دولة تمارس سيادتها على جمع من الأفراد،ينظر:عبد الحميد هنية:المقال السابق،ص ص173-174.

[2] المقال نفسه،ص174.

[3]عبدالكريم بن موسى الريفي:زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل،تح:آسية بنعدادة،م.م.ج،الرباط1992،ص41.

[4]لحسن اليوبي:الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية،دراسة وتحليل،و.أ.ش.إ،المغرب1998،ص32.

[5] لحسن اليوبي:المرجع السابق،ص32.

[6] المرجع نفسه،ص32.

العلوي(1082-1139هـ/1672-1727م) مالا يحصى من العمال والقواد في كل موضع ومكان،وإن تتبعنا ذكرهم لايحصيهم ديوان[1].

واستكمالا لتتبع معالم التشكل الإداري في العهد العلوي، نكتفي بذكر بقية أجهزته[2] ولو تلميحا،نذكرمنها:القاضي،الوزير،الكتاب،الحاجب،صاحب الشرطة،بيت مال،مونة الدار،الأمراء.

ترى هل كان لهذا التشكل الإداري تلافي الثورات والانتفاضات داخل المخزن العلوي؟.

يبدوا للقارئ العادي، وحتى المتتبع للأنظمة الإدارية داخل منظومة الحكم في أيّ مصر كان،وفي أي عصر كان،أنه يعد دعامة وركيزة للاستمداد السلطوي،والتتابع المؤسساتي،غير أن هذا لم يحدث للأسف في المخيال الدولاتي العلوي،ولا في أذهان المرافق التدبيرية، كما سمّاها المؤرخ (عبد الله العروي)؟!.يعجب كل من يدرك كنه وسببية اشتعال الثورات التي كثيرا ما عصفت بدولة العلويين.

وقد أشرنا سابقا بأن تشكل النظم الإدارية لديهم،اعتمد أساسا على العمال والقواد،فكانوا في حقيقة الأمر معول هدم كلما استشعروا هشاشة وهزالية الحكم في المخزن العلوي.إذ أن جل الانتفاضات والتمردات في هذا العصر تعود بالأساس إلى تمرد العمال والقواد وتعسفهم[3]؛وذلك نتيجة محورية نفوذهم داخل المنظومة الإدارية عند القوم.

ونحن في صدد معالجة هاته الإشكالية ندعو إلى أن تكون هناك أبحاث في المستقبل تبحث عن وشائج التلاقي أو التباعد،بين من كان الأرضية في قيام دولة العلويين بالأمس،وبين من فعل فعلة المناوئين والمتهالكين الخارجين عنهم في الملة،والجغرافيا؟!

---

[1] عبدالكريم بن موسى الريفي:المصدر السابق،ص ص147-152.

[2] المصدر نفسه،ص ص147-152.

[3] لحسن اليوبي:المرجع السابق،ص32.

وفي ختام هذا المبحث نوجز جملة من النقاط كاستنتاجات لما ورد آنفا:

– من خلال تبعنا للوضع السياسي في المغرب الأقصى السعدي والعلوي ظهر وكأنه صراع دائم بين الجهاز المخزني بصفته مركزا والقوى المحلية[1] بصفتها هوامش معارضة؛

– تتراوح المعلمة السياسية للمغرب الأقصى في هاته الفترة بين ثنائية الصراع –الإسلامي المسيحي–،ومن تحصيل حاصل للثنائية الأولى،نجد أن الجهاد والمرابطة، ساهم في شخوص السعديين السياسي الديني في نفس الوقت؛

– تعتبر مؤسسة البيعة حجر الزاوية في النظام السياسي للسعديين والعلويين؛

–إن التنظيم الإداري عند السعديين لم يخرج عن قاعدتين:القبائل حيث شكلت هذه الأخيرة قاعدة للدولة السعدية، قاعدة الطريقة الجازولية–الشاذلية كأداة إيديولوجية للدولة السعدية؛

–إن أهم معلمة سياسية في العهد العلوي ،تميزت بانسجامها الذاتي المرتكز أساسا على الوحدة المجالية التي أخذت في استقلال تتبلور عن بقية بلاد المغارب سواء على المستوى السياسي أو من الناحية الاقتصادية والثقافية؛

---

[1] مالاحظناه عن العهد السعدي أنه حورب من طرف قوى مركزية،الفلول الوطاسية.ذلك أن أهل فاس رفضوا مبايعتهم،وتشبثوا دائما ببيعة العاهل الوطاسي الأسبق،ذلك العمل فسره السعديون على أنه عقبة كأداء في وجه مشروعهم السلطوي.بادروا ببناء قلعتان بمثابة باستيون؛باب الفتوح،وباستيون باب الجيسة.ربما يتساءل المرء عن سبب قيام السعديين ببناء هاتين القلعتين.رغبة في المحافظة على المدينة من شن الغارات الأجنبية أم أنهم قاموا بذلك استعداد لغارات أهل فاس أنفسهم؟وأن المتتبع لتاريخ المغرب على هاتيك العصور لايسعه إلا أن يطمئن إلى الفكرة الثانية،ينظر:عبد الهادي التازي:الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل،في مجلة دعوة الحق،مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط،المغرب1959، ع9،ص31،وأما عن العهد العلوي نلاحظ أنه حورب من طرف قوى مركزية(سيما العهد الإسماعيلي)،في هذا الشأن،يقول العلامة المغربي محمد السايح:"...ذلك الهمام المحنك الذي مكن للدولة في أحشاء القبائل وشناخيب الجبال التي كانت تعتبر بحق منابع الفتنة ومنافذ براكين الثورة..."،ينظر:محمد السايح:"المولى إسماعيل العلوي"، في مجلة دعوة الحق،مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط،المغرب1959، ع2،ص28.

-اعتمد النظام السياسي المغربي في العهد العلوي ،على أسس وإيديولوجيات مستمدة من النظام الإسلامي التقليدي كما حددته نصوص الشرع والممارسة السياسية عبر قرون؛

-أساس قيام النظام الإداري عند العلويين،العمال والقواد في فترة من الفترات،لكن لاحظنا عكس ذلك في فترات طويلة إذ تحول إلى عامل هدم،فكانت جل الثورات الشعبية في هذا العصر تعود إلى تمرد العمال والقواد وتعسفهم نتيجة محورية نفوذهم داخل المنظومة الإدارية عند العلويين.

ثالثا:البنية الداخلية في البلدين وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية

1-أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين محليا

1-1في الجزائر:

بقيام الأتراك العثمانيين بالجزائر سنة925هـ/1520م،قطعوا حبل الاحتلال الإسباني،حيث أن الظروف كانت توحي بأن بلاد المغرب الأوسط ستخضع لحكم إسباني مباشرة دون عناء كبير[1]،فما إن تمكّن الأخوين باربروسة من الالتحاق بالسواحل المغربية،نظموا المقاومة ضد الإسبان والمتعاملين[2]معهم ووضعوا أسس ولايات المغرب العثمانية[3].وكان من أهم التأثيرات المحلية الناجمة عن تشكيل سلطة الأتراك العثمانيين،التقاء واستقطاب الصلحاء والمرابطين عليهم وعلى رأسهم أحمد بن القاضي الزواوي[4].

ولعلّ مشروع الأتراك العثمانيين هو بلا شك توحيد البلاد؛بإخضاع كل المشيخات والإمارات المحلية،دينية كانت أو قبلية المنشأ،وهو الذي جرّ البلاد إلى إحداث تصادم من البدء بجميع من استفاد من التفتت والانحلال[5].

---

[1]محمد بوشنافي:"مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512-1518)"،في مجلة مصادر وتراجم،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي،جامعة وهران،الجزائر2003-2004، ع4و5،ص277.

[2]يبدو أحيانا للدارس أن المناوشات بين المسلمين طاغية على مقاومة الغزاة في هذه الفترة،ينظر:عبدالله العروي:مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص460.

[3]ناصر الدين سعيدوني:تاريخ الجزائر في العهد العثماني،الجزائر2014،ص17.

[4]محمد بن عسكر الشفشاوني:المصدر السابق،ج2،ص ص837-838.

[5] عبد الله العروي :مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص460.

إن الأمصار–مراكش وفاس،الجزائر وتلمسان وتونس–التي استقلت بشؤونها منذ أواسط القرن التاسع الهجري/الرابع عشر الميلادي،كانت تعارض بشتى الوسائل الحكم الجديد[1]،هذا التصادم لم يأخذ نفس النمط،بل كانت تستنجد ثم تفاوض ثم تثور ثم تناور[2].ربما في نظرنا هذا لا يجب أن يقرأ ويفهم على أساس هدم المؤسسات الدولاتية،فهو يعود إلى خيار كل جماعة في إعادة بناء المجتمع المفكك حسب نمطها التأسيسي[3].

عندنا في الجزائر أدعياء[4] كثر تداعوا على الأتراك العثمانيين،لكن دعواهم آلت كلها إلى مصير الفشل،وكان حكمهم وهمي ليس له من الحقيقة سوى الاسم[5].ولعل تخوف الأتراك العثمانيين من هؤلاء هؤلاء الأدعياء والضرب على أيديهم،ساهم في انتعاش آمالهم وبلورة مشروعهم السياسي بالجزائر[6].وهو ماجعلهم يسعون إلى جعل الجزائر إيالة عثمانية كصمام أمان في وجه أي حركة تمرد أو غدر ،يمكن أن يقوموا به أثناء انشغاله بأعداء الخارج[7].أيضا كانت هناك آثار سياسية وعسكرية أهمها توسيع ممتلكات الدولة العثمانية ،دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام[8].
والشام[8].

يعتبر أهم أثر محلي بالنسبة للجزائر برز مع الأتراك العثمانيين،في نظر الباحث (محمد دراج)،قائلا:"...ولا خلاف في أن انضمام الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية يمثل مرحلة جديدة في

---

(1) عبد الله العروي :مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص460.

(2) المرجع نفسه،ص460.

(3) نفسه،ص460.

(4) منهم العلماء والزعماء المحليين؛أحمد بن القاضي،سالم التومي،يحي بن سالم التومي،أحميدة العبد،عبد العزيز،ملوك الدولة الزيانية:محمد دراج: الدخول العثماني ...،مرجع سابق،ص ص295-305.

(5) المرجع نفسه،ص298.

(6) محمد دراج:"تأسيس إيالة الجزائر"، في مجلة مصادر وتراجم،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي،جامعة وهران،الجزائر2010-2011، ع16و17،ص28.

(7) محمد دراج: تأسيس إيالة...،مقال سابق،ص29.

(8) المقال نفسه،ص29.

تاريخ الجزائر الحديث.فهو سوف يشهد ميلاد دولة جزائرية جديدة على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن.

كما سوف تشهد هذه المرحلة بروز الشخصية السياسية المتميزة للجزائر نتيجة لطبيعة الموقع الجغرافي،والدور السياسي والعسكري الذي لعبته منذ تاريخ هذا الانضمام..."[1].وهو ما يؤكد للباحث بأن هذه الشخصية السياسية والعسكرية أكسبتها هيبة بالنسبة للإسبان،فقد لاحظنا أن انكفئوا على أنفسهم واحسروا بسواحل المغرب دون غيرها،فلم يعد بعد ذلك وجودهم بوهران والمرسى الكبير الذي استمر إلى سنة 1206هـ/1792م يشكل خطرا على إيالات المغرب العثمانية[2].

يجب أن نؤكد على أن هذه التأثيرات المحلية للأتراك العثمانيين لا تعزل عن السياسة،فتأثيرهم لم يأت بمعزل عن الظرفية الداخلية للبلاد والظرفية الخارجية.فالمتتبع لسياسة الأتراك العثمانيين وما تركوه من بصمات،يجدها أنها لا تعدوا عن بصمتيين أولهما:- ترسيخ صورة المدينة الدولة[3]،من تأسيس الإيالة إلى إلى غاية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي؛

وثانيهما:-إقرار كيان ولاية مستقلة تتوفر على مقومات الدولة،منذ مطلع القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث عشر الهجري/الثامن ونهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[4]؛

2-2في المغرب الأقصى:

أ-في عهد الدولة السعدية:

تعتبر سنة 916هـ/1510م؛ذات مغزى كبير في تاريخ المغرب الأقصى كله،ذلك أنه في تلك السنة عندما تسنّم جد الملوك السعديين؛(محمد القائم بأمر الله) الملك،أمكن معها تدشين لذلك التصدر الذي سوف تعرفه حركة الزاويا بالتحام مع ظاهرة الشرف بالنسبة لمشروعية الحكم[5].

وأعتقد أنه أثر محلي مسّ الجوانب السياسية،وغيّر من فلسفة الحكم عند المغاربة.

---

(1) محمد دراج: تأسيس إيالة...،مقال سابق ،ص30.

(2)ناصر الدين سعيدوني:تاريخ الجزائر...، مرجع سابق،ص18.

(3)المدينة الدولة هي ذات الحكم الذاتي المتطلع إلى الخارج والمعتمد على النشاط البحري،أو ما يعرف بمركزة الحكم.

(4)ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر...، مرجع سابق،ص22.

(5)محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص372.

لأن بروز الزوايا على المستوى السياسي،أزاح وأعلن عن إشعار بتراجع العصبية القبلية كمحرك؛ فاعل على كل من الصعيدين السياسي والاجتماعي بالمغرب[1].

وقد أرسى التشكل السياسي السعدي معادلة صعبة؛تجاوزت التمسك بالمشروعية الوطاسية إلى التعبير عن موقف اجتماعي[2].وأيضا ترجم في إضفاء علائق تنافر وتبرم؛بين المدينة والبادية،و ازدراء ورفض أهل الحضر للأعراب[3]،ليمتد إلى صراع بين الشمال والجنوب[4].

إن أهم تغيير محلي في عهد السعديين تجسد على يد محمد الشيخ(946-964هـ/1539-1557م)، فما هي مظاهره،وما أسسه؟

حاول الباحث(محمد القبلي)،تقديم وجهة نظر حول أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في المغرب محليا، الأمر الذي جعلني أميل إليه وأستأنس به في هذا الجزئية.يقول في هذا الشأن:".. لقد كان اغتيال محمد الشيخ 964هـ/1557م بمثابة اغتيال لمشروع سعدي يسعى إلى توسيع المجال المغربي،ويرمي إلى الخروج عن الطابع المحلي للدولة وتجاوز التقسيم السياسي الذي برزت معالمه في المغارب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع والخامس عشر الميلاديين..."[5].

وقد كشفت لنا بعض التقارير عن كيفية تطبيقه لمشروعه؛فخروجه عن الطابع المحلي لدولته،معناه أنه انتقل إلى الطابع الإقليمي،ولتجاوزه التقسيم السياسي للمغرب فرض عليه إقامة مشروع تعاوني مع الأتراك العثمانيين[6]،لأجل تجاوز معالم المغارب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع والخامس عشر

---

(1) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق، ص372.

(2) المرجع نفسه،ص377.

(3)تجسد الرفض والازدراء في خطبة العالم (علي حزوز)،الذي قتله محمد الشيخ،ومما جاء في خطبته:"..القوم الذين يلبسون الأردية والأكسيا،ويركبون الأناجيا،ويبدأون في جوابهم بويلهم ميا،فسوف يلقون غيا،ولا أذكرهم في منبري مادمت حيا.."،ينظر:مجهول:المصدر السابق،ص28.

(4)محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص377.

(5)المرجع نفسه،ص379.

(6)V: Henry de Castries: S.I.H.M, L'esp ,t1,PP244-246.

الميلاديين؛المتمثلة في الاحتلال البرتغالي والإسباني للمغارب.وأما عن أسس هذا المشروع،فتعود إلى أواخر سنة956هـ/1549م عندما دخل محمد الشيخ المهدي مدينة فاس[1].

هذا الدخول لم يكن حدثا عابرا[2]،بل كانت له إفرازات محلية ودولية.

فعلى المستوى المحلي سارع أمراء الجهاد إلى إعلان انضوائهم للدولة الناشئة،حيث أفرز الدخول إلى فاس إعلان تبعية الحكام المنفصلين بالشمال، مثل الحسن المنظري بتطوان،ومحمد بن راشد بشفشاون[3].وما كان لهم هذا التأثير المحلي في المغرب لولا اعتمادهم على السند والدعم الصوفي[4] في بناء الأفاهيم السياسية ذات الأرومة الشريفية،والواقعية التوحيدية،والآمال السلطانية[5].

ولدراسة أي أثر لنمطية التشكل السياسي والإداري في المغرب،يؤدي بنا إلى طرح تساؤل:ما هي طبيعة التشكيلات السياسية بالمغرب خلال الفترة الحديثة؟

يذهب الباحث(عبد الكريم غلاب) هو أيضا متسائلا،وفي نفس الوقت يقدم انطباعه حول كيفية تشكل الدول المغربية؛خلال عهد السعديين،ومن بعدهم العلويين،ومدى ارتباط عملية التأسيس للدولتين بالمناخ السياسي الملازم لهما؛أثرا وتأثرا.يقول في هذا الشأن:"...من الملاحظات الأساسية في تاريخ المغرب السياسي،أن الفراغ لم يكن ليقضي على وجود الدولة،فما من دولة بدأت تنتهي سلطتها ويغرب نفوذها،

---

(3) حنكته وخبرته السياسية تولدت من كونه عالما فذا، فلقب بأمغار؛بمعنى الشيخ،وكان يحفظ القرآن وديوان المتنبي عن ظهر قلب،وكان فهمه له جيدا،وكان حافظا لصحيح البخاري،ويقول في فتح الباري لابن حجر:"ما صنف في الإسلام مثله"،وكان عارفا بالتفسير،والفقه،ينظر: أحمد بن القاضي:المنتقى المقصور...،مصدر سابق،2ج،ج1، ص289، إبراهيم حركات:المرجع السابق، ج2،ص ص246-247.

(2) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص377.

(3) المرجع نفسه،ص377.

(4) محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب...، مرجع سابق ص77.

(7)تجلت هذه الأفاهيم السياسية،والتأثيرات المحلية في سياسية السعديين،من خلال الخطابات الرسمية،حول هذا ينظر:أحمد بن القاضي:المنتقى المقصور...،مصدر سابق،2ج،ج1،ص ص166-238.

إلا وتبتدئ دولة جديدة في الظهور في ظروف غامضة لم تكن تنبئ عن مصير جديد للسلطة على يد دولة تهيئها الأقدار والظروف..."[1].

ب–في عهد الدولة العلوية:

تميزت التشكيلات السياسية المغربية عند نشأتها محليا،بميزة الصراع العائلي الدامي في كثير من أيام تاريخ تلك التشكيلات،فمثلا نجد مع بدايات تأسيس العلويين لحكمهم،بزوغ صراع بين الأخ والأخ.فهذا محمد بن الشريف(1050-1069هـ/1640-1658م)،يدخل في صراع مع أخيه سنة1075هـ/1665م،لينتهي به الحال مقتولا من طرف أخيه المولى الرشيد(1075-1082هـ/1665-1672م).الصراع بين الأخوين أو بين الآباء والأبناء ظاهرة عامة في الدول المغربية،وخاصة عند النشأة[2].

يلاحظ أن التداعيات السياسية لقيام العلويين،انجر عنها أثر سياسي خطير على المستوى المحلي،حيث كانت له آثار بعيدة المدى في التاريخ السياسي للمغرب.حيث يعتبر قضاء المولى الرشيد على الزاوية الدلائية،حدث ينم عن علاقة تنافر وتباعد،عن التشكل السياسي للمغرب السعدي،وكان قضاؤه عليها،تمّ بتجريد الدلائيين من تاريخهم العلمي،والصوفي،والأخطر من هذا السياسي[3].وبذلك انتهت الدعوة الدلائية ،وهي إحدى القوتين اللتين كان لهما نفوذ في عهد السعديين[4]،فكأن العلويين رفضوا التأثير المحلي، الذي أحدثه السعديون،خاصة إذا علمنا أن العلويين برزوا كقوة إقليمية بدأت نضالها ضد القوى الصوفية[5].

---

[1]عبد الكريم غلاب:قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،عصر الإمبراطورية،العهد التركي في تونس الجزائر،د. غ.إ،بيروت2005،3ج،ج3،ص5.

[2] عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ص7.

[3]اعترف الدلائيون بسلطة السعديين ،حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم،وبدا عجزهم وقلة كفايتهم،وأخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1040-1045هـ/1631-1636م)،ينظر:محمد حجي:الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،ط2،م.أ،المغرب1988،ص141.

[4]عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ص ص7-8.

[5] محمد خير فارس: تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص77.

2- أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين إقليميا ودوليا

2-1في الجزائر:

أدرك الأتراك العثمانيون أن النجاح الإقليمي والدولي للجزائر،لن يتأتى إلا عن طريق الأهمية السياسية للجزائر.هذه الأهمية التي فقدتها،منذ سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م،مما استوجب عليهم تحويل الجزائر من رقعة كانت بحوزة بني زيان،الذين أقصى ما فعلوه أنهم تحولوا إلى لاعب وسط الميدان غاية مايأملونه هو المحافظة على التوازن بين القوتين المتنافستين[1]!!

يشهد التاريخ أن (خضر رايس)[2](925-941هـ/1519-1534م)أنه هو من صنع البعد الإقليمي للجزائر،وأكسبها صفة الدولة المتميزة عن جارتيها[3]،بعد أن تمّت حمايته وإدراجه في قائمة المخلصين الأمناء للدولة العثمانية[4].ومن النتائج الإقليمية ،تخبط الإمبراطورية الأسبانية؛بين استمرارها في تثبيت وجودها في أوروبا،وتصديها لحروب البروتستانت وفرنسا،وبين التفرغ الكامل للمسألة الجزائرية التي أرقت الأسبانيين[5].

إن الجزائر أصبحت فعلا معادلة صعبة جدا في الحوض الغربي للمتوسط طيلة العهد العثماني،وبذلك أضحت الجزائر ولاية ذات وضع خاص؛تشكلت كقاعدة الوجود العثماني في غرب البحر المتوسط[6].وقد

---

[1] محمد دراج:الدخول العثماني...،مرجع سابق،ص291.

[2] لقب كذلك عند الجزائريين بخير الدين،أما عند الأوروبيين لقبوه بباربروسة(اللحية الحمراء).

[3] محمد دراج:الدخول العثماني...،مرجع سابق،ص291.

[4] Sander Rang et Denis: La fondation de la régence de la Ville d'Alger ,éd Tunis1937,p134.

[5] تخوفهم أي الاسبانيين نتج عن المهمة التي أوكلت بها الدولة العثمانية الجزائر،أي إلهاء الإسبان عن المشاركة في حروب أوروبا ضد الدولة العثمانية في المجر والنمسا،ينظر: محمد دراج:تأسيس إيالة...،مقال سابق،ص30.

المتوسط[1].وقد تقلّدت مسؤولية إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب[2]،ويعود لها الفضل في الانحصار النهائي للأسبان عن تونس982هـ/1574م[3].

هذا عن ما شهدته المنطقة الشرقية،فما هي طبيعة التأثيرات الإقليمية من الناحية الغربية؟،يرى أحد الباحثين أن الأتراك العثمانيين جسّدوا تأثيراتهم الإقليمية بمحاولتهم أيضا توسيع رقعة الفتوحات العثمانية لتشمل كل من الجزائر ولما لا المغرب ككل[4].

2-2في المغرب:

أ-في عهد الدولة السعدية:

في إطار بحثنا عن ما أحدثه السعديون من تأثيرات إقليمية ودولية،نجد أنفسنا أمام ذكر حقيقة تاريخية،تتعلق بأن معظم الدول المغربية ابتدأت جميعها من الجنوب وتصاعدت نحو الوسط والشمال،فلا نكاد نجد دولة قوية نشأت في الشمال وامتد سلطانها إلى الوسط والجنوب[5].فالتأثيرات الإقليمية والدولية والدولية للسعديين،وحتى العلويين فيما بعد،إنما انطلقت من جغرافية النشأة،فنجد مثلا أن الجنوب أغنى من الشمال،وبالتالي كانت هناك تجمعات سكانية يسودها فكر ديني وتعليمي عموما[6].

---

(1) محمد دراج:تأسيس إيالة...،مقال سابق، ص29.

(2) محمد دراج:الدخول العثماني...،مرجع سابق ،ص29 .

(3) ناصر الدين سعيدوني:تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص18 .

(3) نجيب دوكاني:الاحتلال الأسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي16م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحدث والمعاصر(غ.م)،إشرا:ناصر الدين سعيدوني،قسم التاريخ،الجزائر2001-2002،ص63.

(5) عبد الكريم غلاب:قراءة ...،مرجع سابق،ج2،ص294.

(5) المرجع نفسه،ج2،ص294.

ومن الديني إلى السياسي كما هو الحال مع الأشراف السعديين،إن مزاوجة العمل الديني مع السياسي،يدخل في ضمن مشاريعهم؛بالضبط في إطار السياسة الإقليمية.وكأحد أوجهها مطاردةالزحف الصليبي(الأسباني والبرتغالي)،فنجد حقيقة هذا في بعض التقارير التي كتبها حاكم وهران الكونت دالكوديت(comte d`Alcaudete)إلى حكومته،ينص فيه على قيام عمليات مشتركة بين السعديين وممثل الأتراك العثمانيين في الجزائر،لفتح وهران والمرسى الكبير[1]،ونجد أيضا أن التقرير يشير إلى وصول هدايا من محمد الشيخ السعدي إلى (درغوث باشا)،والإشارة عليه في الدخول معا في حرب ضد الإسبان[2].

كما تجلّت التأثيرات التي أحدثها السعديون إقليميا ودوليا في عدّة أوجه،فعلى مستوى جغرافية المغرب الشرقي بين الوافدين؛الأتراك العثمانيون والسعديون،تراوحت التأثيرات بينهم من محاولات المعاونة،إلى الخروج بقاعدة أملتها نفوذية كل منهما في مجالات طمح الكل إلى تحقيقها.الأمر الذي دفع الأتراك العثمانيين إلى ضرورة وضع حد للمشكل المغربي.[3]وما أحدثه من تجذبات وانكماشات إقليمية.

-تأثير التنافس السعدي-العثماني على شمال إفريقيا،أوجد في عمومه تقاربا سعديا واسبانيا وبرتغاليا،على الرغم من احتلالهما لبعض الأجزاء المغربية،بداية من سنة 961هـ/1554م[4].

- السياسة الدولية للسعديين كما رأينا سابقا،أفضت إلى افراز تأثير محلي،تمثل في نجاح السعديين في القضاء على الوطاسيين سنة961هـ/1554م[5].

---

[1] Henry de Castries: S.I.H.M , L'esp,t1, p246.

[2] Ibid, p246.

[3] بالنسبة للتأثيرات السياسية للعثمانيين والسعديين،تعتبر كذلك وجها للعلاقات البينية بينهما،لمزيد من التفاصيل في هذا،ينظر:الفصل الثالث والرابع من متن الرسالة.

[4] عبدالكريم كريم:المرجع السابق،ص83.

[5] عبد الكريم غلاب:قراءة ...،مرجع سابق،ج2،ص298.

ب–في عهد الدولة العلوية:

ظّل الأشراف السعديون،منذ مبايعة أهل تافيلالت المولى علي بن الشريف السجلماسي(1041-1045هـ/1631-1635م)،منحصري النفوذ المحلي،ناحية تافيلالت،وسبب ذلك أنهم إلى حدود تاريخ1045هـ/1635م اعتمدوا فقط في زعامتهم على نفوذهم الديني والروحي، أكثر من اعتمادهم على القوة السياسية والعسكرية[1].

ومع وصول المولى محمد بن الشريف سدة الحكم(1045-1075هـ/1635-1664م) تفطن إلى ضرورة عدم تأسيس أي بناء مستقر بتافلالت، مع إدراكه حقيقة الامتداد الإقليمي،من هنا لم يكن أمامه سوى مجال نفوذ بعيد عن مناوئيه المحليين؛الدلائيين والسملاليين.

ولاشك أن هذا المجال الجديد نقله عن عدم دراية من المحلية إلى الإقليمية،فيمّم وجهه نحو المغرب الشرقي ،وما جاوره من تراب المنطقة الوهرانية[2].

يسجل بعض الباحثين عن التأثيرات الإقليمية التي قام بها المولى محمد بن الشريف، أنها كانت مادية مباشرة،دون أن يحاول استغلالها سياسيا.

وبالتالي كانت مجرد تأثيرات عابرة[3].وما اكتسبه إقليميا على حساب الأتراك العثمانيين لم يكن مكتمل التنظيم[4]،حيث امتدت تأثيرات العلويين الدولية إلى تأسيس علاقات مع الأوروبيين،نجد أن الفرنسيين حاولوا جاهدين التوصل إلى اتفاق دولي مع المولى الرشيد بن علي(1075-

---

(1) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص400.

(2) المرجع نفسه،ص400.

(3) نفسه،ص400.

(4) نفسه،ص401.

1082هـ/1664-1672م)،لكن هذا لم يجن منه الفرنسيون فائدة،وهذا يستشف من خلال الوثائق المتيسّرة التي عاد إليها الباحث محمد قبلي،ومستنتجا في نفس الوقت كيفية تقييم المولى الرشيد للتأثير الدولي بالنسبة لدولته،فكان محكوم بالانعزال من جراء الحذر الذي كان يطبعه تجاه القارة الأوروبية[1]،مع تورعه عن التعامل معهم خشية الإساءة إلى سمعته بالتعاقد مع المسيحيين،وهذا كي لا يتورط تورط السعديين[2]،إن هذه السياسية الدولية التي انتهجها الرشيد ،انعكست بالإيجاب على سلطة العلويين،كيف ذلك؟

يقدم لنا الباحث(عبد الله العروي) إجابة عن ذلك،فيقول:"...يمكن القول في هذا السياق إن تراجع التأثير الأجنبي عن طريق التجارة،وما يواكبها من تدفق الأسلحة ومن إغراء بالمال،هو الذي ساعد الأشراف العلويين على توحيد البلاد..."[3].

أما مع المولى إسماعيل(1082-1139هـ/1672-1727م)،فإن التأثيرات التي أحدثتها سياسيته الداخلية والخارجية،جعلت منه في نظر الإخباريين،الإسم البارز في النهاية كواحد من جملة الفاعلين الأساسيين بغرب المتوسط [4]،نجده يرمي بكل ثقله الدولي على الساحة الأوروبية،محاولا استثمار ذلك في استرجاع الثغور المغربية المحتلة من قبل الإسبان والبرتغال.وكذا استرجاع المعمورة سنة1092هـ/1681م،والعرائش سنة1100هـ/1689م وأصيلا سنة1102هـ/1690م من يد الإسبان،وطنجة سنة1095هـ/1684م من يد الإنجليز[5].

هذه العمليات التحريرية للثغور المغربية،نجحت انطلاقا من متانة ومركزّة وإقليمية الدولة الإسماعلية،فمما لوحظ أن معظم هذه العمليات ،كانت تحدث في ذلك الوقت في ظل نظام إقطاعي

---

(1) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص404.

(2) المرجع نفسه،ص404.

(3) عبد الله العروي:مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص496.

(4) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص406.

(5) المرجع نفسه،ص410.

واضح،يشتمل على قيادات متحافلة[1]،وفي ظل توكيلات في الغالب أوكلها المولى إسماعيل إلى بعض مجاهدي القبائل والمدن المجاورة[2].

كما جرّب المولى إسماعيل في محاولته الفاشلة في تحرير سبتة[3]،سياسة تعيين الحصص لقبائل الجبال ورماة فاس للمرابطة عليها ودعمهم بعسكر من العبيد.وتذكر المصادر أن حصارها دام أزيد من ثلاثين سنة[4].ولتأكيد البعد الدولي في السياسة العلوية،اهتم سلاطين المغرب بعد المولى الرشيد،بضبط العلاقات التجارية مع الخارج كخطوة أساسية لضمان وحدة البلاد الترابية[5].

وفي ختام هذا المبحث نوجز جملة من النقاط كاستنتاجات لما ورد آنفا:

-كان من أهم التأثيرات المحلية الناجمة عن تشكيل سلطة الأتراك العثمانيين في الجزائر،التقاء واستقطاب الصلحاء والمرابطين عليهم وعلى رأسهم أحمد بن القاضي الزواوي؛

---

[1] جلال يحي:"المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب"،في مجلة المؤرخ العربي،مجلة تصدرها:أ.ع.إ.م.ع،بغداد(د.ت)،ع3،ص13.

[2] محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص410.

[3] أسباب الفشل نوردها بالاعتماد على روايتين؛الرواية العربية نستلهما من الزياني، إذ يقول:"...حتى اتهم القواد(المولى إسماعيل)الذين على حصارها أنهم لم ينصحوا في فتحها ليلا يتوجهوا لحصار البريجة، ويبعدوا عن بلادهم وأولادهم،لما سئموه من السفر ومشقة الحركة..."،ينظر: أبو القاسم الزياني:البستان الظريف،في دولة أولاد مولاي الشريف،القسم الأول(من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)،تح:رشيد الزاوية،م.م.ج،الرباط1992،ص177،وأما عن الرواية الأجنبية،فتوعز ذلك إلى:الحذر الذي طبع التحالف بين إسماعيل وعلماء فاس،ينظر:مجموعة الوثائق المنشورة في مجلة هيسبريس:

- in Hespéris Tamuda : Université Mohammed V, RABAT1962, (Vol. I I I,FASC.1),pp144-146.

[4] محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص410.

[5] عبد الله العروي:مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص496.

-بروز الشخصية السياسية المتميزة للجزائر في العهد العثماني كنتيجة لطبيعة الموقع الجغرافي،والدور السياسي والعسكري الذي لعبته منذ تاريخ هذا الانضمام،يعتبر من أهم التأثيرات المحلية والإقليمية والدولية؛

-يعتبر تأسيس السعديين لدولتهم بداية لتدشين ذلك التصدر الذي سوف تعرفه حركة الزاويا بالتحام مع ظاهرة الشرف بالنسبة لمشروعية الحكم،من أجلى تأثيراتهم المحلية في تاريخ المغرب السياسي؛

-يعتبر قضاء المولى الرشيد على الزاوية الدلائية كأثر محلي،حدث ينم عن علاقة تنافر وتباعد،بين مكتسبات السعديين في إقرارهم لنفوذ حركة الزوايا سياسيا،وموقف العلويين القاضي بإتباع فكرة لعن الموتى في تعاملهم مع طمس مستثمرات مكتسبات السعديين؛

- جسد الأتراك العثمانيين تأثيراتهم الإقليمية والدولية بمحاولتهم توسيع رقعة الفتوحات العثمانية لتشمل كل المغرب الأوسط وحتى المغرب؛

-تجلّت التأثيرات التي أحدثها السعديون إقليميا ودوليا في عدة مستويات؛على مستوى جغرافية المغرب الشرقي بين الوافدين؛الأتراك العثمانيون والسعديون،انجر عنه مستوى ثان تمثل في التقارب السعدي والإسباني والبرتغالي.

-كانت تأثيرات العلويين إقليميا تتمثل في مكتسبات ولدت غير مكتملة ومنظمة،وأما عن تأثيراتهم الدولية كانت تجارية بالأساس محافظة على مجالهم الترابي؛

ويمكن القول في ختام هذا الفصل أن الأوضاع السياسية في البلدين قبل القرن الثامن عشر الميلادي،كانت متشابهة عموما،التشابه في الظرفية التاريخية، التطابق في المآلات،حيث كانت جنسا واحدا؛تسنّم الحكم وافد خارجي عن البلدين.

إن معالم أنظمة الحكم في البلدين؛السياسية والإدارية،أوجدت فارقا على مستوى الآليات والوسائل.ففي الجزائر نجد منشأه القوة المادية المستمدة من عظمة الإيالة العثمانية،وأما عن المغرب السعدي والعلوي فقد اعتمد على القوة المعنوية المرتبطة بالنسب الشريف.

تشابه التأثيرات المحلية في البلدين،الجزائر والمغرب السعدي،كانت شبيهة، فسياستهم انبنت على استقطاب المرابطين والصلحاء؛في الجزائر أحمد بن القاضي كنموذج.في المغرب السعدي استقطابهم لشيوخ ومرابطي الزاوية الدلائية.

ساهم الوجود العثماني بالجزائر في إبراز شخصيتها السياسية والعسكرية،وجعلها قاعدة خلفية ومتقدمة للدولة العثمانية،بينما مساهمات المغرب السعدي والعلوي انحصرت في مكتسبات،سياسية ضحلة،وتجارية متأزمة،غرضها ومبتغاها الأساسي الحفاظ على المجال الترابي المغربي.

التوصيفات السياسية في الجزائر العثمانية والمغرب العلوي،أفضت إلى ولادة علائق سياسية بينهما.فما هي العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين؟

الفصل الثاني:

العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين

أولا: العوامل الرتيبة المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين

ثانيا: العوامل الظرفية المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين

هناك جملة من العوامل التي تحكمت في صياغة العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال العصر الحديث.فهناك عوامل رتيبة[1]،تمثلت في عوامل طبيعية وأخرى تاريخية.وهناك عوامل ظرفية،زمنية تتعلق بطبيعة الحكم في البلدين كمؤشر داخلي وروافد خارجية تمثلت في التغلغل الأوروبي.وكذا الجغرافيا البشرية لا تؤمن بالحدود،ونوازع روحية دينية ولدت من رحم الطرق الصوفية في كل من الجزائر والمغرب.

[1] مشتقة من مفرد رتيب،وهو صفة مشبّهة تدل على الثبوت من رتب.رتب يرتب،ورتابة ورتبا،فهو راتب ورتيب،والمفعول مرتوب به،رتب الأمر أو الشيء:ثبت واستقر ولم يتحرك"رتب على الصلاة".رتب الشخص بالبلد:أقام به،ينظر: أحمد مختار عمر:معجم اللغة العربية المعاصرة،ط1، ع.ك،القاهرة2008،4مج،مج1،ص ص853-854.

أولا:العوامل الرتيبة المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين:

1-العوامل الطبيعية:

أوجدت الجغرافية الطبيعية المتشابهة للبلدين،رتيبة لا تحيا ولا تعيش إلا في اتجاهها التاريخي[1]، كما كانت لها تأثيرات على العلاقات السياسية على ممر العصور.وبالرغم من وجود تقسيمات سياسية غير منفصلة،كان يطلق اسم المغرب الأقصى ويقصدون به حينها مراكش،وأما المغرب الأوسط فيقصدون به الجزائر،ويسمون القسم الشرقي منه بتونس أو إفريقية[2].

حيث نجد من يعقد فصلا كاملا باسم المناطق الطبيعية للشمال الإفريقي[3].ولا يكتفي بهذا ،بل يؤكد على أن جغرافيتها أثّرت بالإيجاب على وحدة البلاد[4].وفي معرض حديثه عن الحدود،يقول:"...هذه المنطقة التي نشرع في دراسة تاريخها القديم لغاية العربي،تمتد شمالا من مضيق جبل طارق إلى أقصى الشمال الشرقي لتونس، كما تمتد جنوبا من الأطلس الصغير إلى خليج قابس،وسنطلق عليها الاسم الاعتيادي وهو شمال إفريقيا،وإن كانت قد سميت أيضا بأرض البربر،وإفريقيا الصغرى.وسنضيف لها-على وجه الإلحاق-ساحل سدرة،لأن هذه الحاشية الصحراوية كانت في عهود التاريخ القديم مرتبطة بالدولة القرطاجية ثم بإفريقيا الرومانية..."[5].

---

(1) ناجي علوش:الوطن العربي:الجغرافيا الطبيعية و البشرية،م.د.و.ع،بيروت1986،ص8.

(2) تقع هذه التقسيمات الجغرافية في بلاد نوميديا عند اللاتينيين ،ويسميها العرب بلاد الجريد،وهذا القسم هو من المشتملات الأربع المكونة لأقسام إفريقيا؛بلاد البربر،وليبيا،وأرض السودان.وأما عن حدود بلاد الجريد فتبتدئ شرقا بالواحات،وهي مدينة تقع على بعد نحو مائة ميل من بلاد مصر،ويمتد غربا إلى نون على ساحل المحيط ،ويصل شمالا إلى سفح الأطلس الجنوبي،ثم يتاخم رمال الصحراء جنوبا،ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق،ج1،ص ص28-29.

(3) Stéphane Gsell:Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord ,Librairie Hachette79, Boulevard Saint -Germain, 79,Paris1927.T VI.

(4) Stéphane Gsell :op.cit,T I,p4.

(5) Ibid,TI, p3.

والملاحظ هنا أن هذه الأسماء من الناحية الجغرافية لم تتحد بالضبط فلماذا؟

ذلك أنه لا توجد حواجز طبيعية تميّز بين حدود كل من تونس والجزائر والمغرب بل على العكس نلاحظ أن التقسيمات الجغرافية لشمال إفريقيا تتخلل الأقطار الثلاثة عرضا وتمتد بمحاذاة البحر[1]،لتستمر وحدة التقسيمات الجغرافية نجدها ماثلة في الشمال بإقليم ساحلي خصب تشقه أنهار قصيرة تستمد مياهها من منطقة التل وتنزل منحدرة نحو البحر.تتواصل بعد هذا الإقليم جنوبا منطقة الأطلس الصغير أو التل،ثم منطقة الهضاب العليا.

وتقع الصحراء الكبرى وراء هذه الأقسام الثلاثة[2].لاشك أن الجزائر والمغرب يشكلان وحدة جغرافية من الوطن العربي.أطلق العرب على شمال إفريقيا اسم جزيرة المغرب الجزيرة المعزولة،وهذه العزلة هي التي كونت وحدة البلاد وإن كانت مع ذلك متكونة من عدة مناطق مختلفة[3]،ومن ثم فقد برزت سمات جغرافية عامة للوطن العربي؛ومن خلاله الجزائر والمغرب.ففيما تتجلى وحدة الجغرافيا الطبيعية في البلدين؟

أ-الموقع الجغرافي:

من خلال مطالعاتنا للخرائط الجغرافية التي تحوي موقع البلدين نستنتج أن الجزائر والمغرب بلدان متجاوران لا تحد بينهما حدود طبيعية ومن الثابت أيضا أنهما يقعان في شمال إفريقيا[4].ويشرفان من الشمال على البحر المتوسط.ويمتد نفوذهما في الجنوب برمال الصحراء الإفريقية الكبرى.إلا أن المغرب يطل بواجهة واسعة على المحيط الأطلسي من الغرب.

---

[1] صلاح العقاد:المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر،تونس،المغرب الأقصى،ط6،م.آ.م،مصر1993،ص9.

[2] صلاح العقاد:المرجع السابق،ص9.

[3] Stéphane Gsell: op.cit,TI, p4.

[4] لمزيد من التفاصيل حول جغرافية البلدين،ينظر:عبد القادر حليمي:جغرافية الجزائر،عبد الرحمن حميدة:المملكة المغربية دراسة في الجغرافيا البشرية،القاهرة1972.

ب–على مستوى التكوين الجيولوجي:

يجمع الجغرافيون أن الوطن العربي كان جزءا من قارة جندوانا[1]،أعطت للعالم العربي اليوم ملامحه الجغرافية التالية:

أ–وجود كتلة صخرية قديمة:تضم في وقتنا مرتفعات البحر الأحمر وجنوب شبه جزيرة سيناء،ومنطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو وجبال النوبة.وتمتد إلى مرتفعات تبستي في ليبيا،وأحجار في الجزائر،وهضبة الميزيتا في المغرب،كما كانت تضم شبه جزيرة العرب وجنوب الأردن وفلسطين[2].

ب–التشابه الصخري للبلدين:نجد في الزمن الجيولوجي الثاني،تكوينات الكرتياسي،وهي عبارة عن صخور رملية وحصوية،فتمتد من حدود المغرب حتى بوسعادة[3].

ج–على مستوى الهضاب:

تتمثل في وجود هضاب صخرية عارية وصلبة مثل مرتفعات الحمادة الحمراء جنوب طرابلس،ويبلغ اتساعها مائة ألف ميل،وحمادة مرزق في فزان،وهضبة تادمايت،ودرعة بالجزائر[4].

---

(1) هي كتلة قارية صلبة ،تشمل كل من الجزء الجنوبي من يابس الكرة الأرضية ،تتألف من صخور نارية قديمة متبلورة وقاسية؛كالجرانيت والكوارتزيت والنيس والشت،وبها صخور متحولة سواها الإلتكال الطويل الأمد،وجعل منها هضبة مديدة،وجزأتها التصدعات إلى أقسام منعزلة،تفصل بينها خلجان بحرية،إلا أن جبالها قاومت الإلتكال،وظل اتجاهها ظاهرا إلى اليوم،وقد تبقى منها:هضبة الصحراء الكبرى،هضبة بلاد العرب،ينظر:محمد خميس الزوكة:جغرافية العالم العربي،د.م.ج،الإسكندرية2000،ص ص38-39، .ناجي علوش:المرجع السابق،ص12.

(2)المرجع نفسه،ص13.

(3)محمد الهادي لعروق:أطلس الجزائر والعالم،تصميم الخرائط:سمير بوريمة،د.هـ،الجزائر(د.ت)،ص15.

(4)ناجي علوش:المرجع السابق،ص15.

د–على مستوى المناخ:

تتميز إفريقيا من الناحية المناخية بخلوها من المناطق المعتدلة الباردة والباردة وتدخل في نطاق الأقاليم الحارة والمعتدلة الدافئة[1]،فهو متوسطي في شمال ووسط البلدين،وصحراوي في جنوبهما[2].

هـ–على مستوى انتماء الكتل الأرضية:

تنتمي الأراضي المرتفعة إلى مجال السلاسل المتوسطية الحديثة التي تعود إلى الزمنين الثاني والثالث والتي تستند إلى البناء البنيوي الإفريقي القديم[3].

المظاهر الطبيعية المتشابهة السائدة في جغرافية البلدين،من موقع، تكوين جيولوجي،وتضاريس،ومناخ،تركت بصمات مؤثرة وفاعلة،صاغت أشكالا من التواصل ،فحدث أن أصبح البلدان منطقة عبور بين أواسط إفريقيا الغربية والبحر المتوسط،لزم هذا التأثير أن كانت لهما علاقات؛خاصة التجارية والسياسية مع بلاد السودان والأوروبيين على حد سواء[4].

إن الجغرافية الطبيعية،أسهمت في توجيه سكان البلدين نحو الشرق.ترى كيف كانت طبيعة ذلك؟

وفي هذا الصدد ،يقدم لنا أحد الباحثين انطباعا،حيث يقول:"...ومثلما وجه الموقع الجغرافي سكان البلدين نحو الجنوب والشمال،فإنه كان من الطبيعي أن يوجههما نحو الشرق أيضا.وفي هذا الاتجاه كانت الجزائر هي التي تملك البعد الأعمق،لأنها هي التي تلامس المغرب الشرقي مباشرة،ومنه إلى المشرق،فاتصال المغرب بهذا البعد كان لا يمكن أن يتم،ووسائل الانتقال البحرية والبرية على ما كانت عليه آنذاك،إلا عن

---

(1)علي موسى ومحمد الحمادي:جغرافية القارات،ط5،د.ف ،دمشق2001،ص391.

(2) المرجع نفسه،ص391.

(3)جان فرانسوا تروان:المغرب العربي الإنسان والمجال،تر:علي التومي وكارم كايسي وعبدالكريم سالم،د.غ.إ،بيروت(د.ت)،ص45.

(4)الوزان:المصدر السابق،ج1،ص.م،بشاري لطيفة:التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13-16)،رسالة ماجستير(غ.م)،إشرا:موسى لقبال،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1986-1987.

طريق الجزائر.كما أن اتصال الجزائر بالواجهة الأطلسية كان لا يمكن مبدئيا أن يجري إلا عبر المغرب..."[1].

وهكذا كانت ارتسامات الجغرافية الطبيعية تتشابه وتترابط،بل تتواصل وتتداخل.وباقية ومستمرة في هذه المرحلة من التاريخ[2]،كما كانت عليه في المراحل السابقة.

نؤكد في الختام على أهمية تأثير العامل الجغرافي في صنع التاريخ وإلا لماذا يمثل الجنوب دائما منطلقا للأسر التي تعاقبت على حكم المغرب.بينما يشكل الشمال منفذ التأثيرات الخارجية[3].

هذا بالنسبة للمغرب،أما في الجزائر لعب العامل الجغرافي نفس الأثر في صناعة تاريخها،مع الاختلاف في طبيعة ومسلك ونسبة الأثر.

2-العوامل التاريخية:

أ-وحدة أرومة الجنس(العرق) في البلدين عبر العصور:

لاشك أن للعامل التاريخي دور بالغ الأهمية فالتاريخ علم صيرورة الإنسان[4]،بل هو الرافد الذي تنمو فيه العلاقات بمختلف تضاعيفها وبه ومنه وإليه تتشكل ملامح الإنسانية عبر العصور والأزمنة.يكفينا في هذا المقام أن نجلّي عن وشيجة التاريخ في رسم الإنسان الكامل ومن ثم قولبته في إطار الجماعة وصولا به إلى تشكيل نظمه الإدارية والسياسية وفق منظومة الدولة،الأمة،الإمبراطورية.ومادمنا نركز في مقاماتنا العلمية الآنية بسط البيان عن علاقة الإنسان بالتاريخ في الفضاء الكوني،لا بأس أن نعرج عن الحضور الإنساني بصفة عامة،والإنسان المغاربي بصفة خاصة في منظومة العثمانيين.

---

[1] عمر بن خروف:العلاقات السياسية بين الجزائر ...،مرجع سابق،ج2،ص8.

[2] المرجع نفسه،ج2،ص8.

[3] عبد المحسن شداد:تحقيب تاريخ المغرب:الإشكالية والدلالات،ورقة علمية قدمت:إلى أشغال: المغرب والأندلس دراسات وترجمات،تق:مصطفى بنسباع،م.ك.آ.ع.إ.ج.ع.س،المغرب2010،ص141.

[4] علي شريعتي:الإنسان والتاريخ،ط2،تر:خليل علي،تح:محمد حسين بزي،س.آ.ك،-18-،د.أ،بيروت2007،ص17.

وسّم أحد الباحثين الدولة العثمانية في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين/السابع والثامن عشر الميلاديين أنها كانت وطنية أكثر منها متعددة القوميات[1].ويكمن مغزى الوطنية في تقديرنا إلى أن أرومة الجنس في جسم الدولة العثمانية غير الحاكمة،ومنها الإنسان العربي أثبت هو الآخر تفاعله،وترسيخ وشائجه داخل نسقه الخاص.لذلك نجد أن الذين لا يجيدون اللغة العثمانية، لم يمنعهم ذلك من تحديد هوية جماعتهم المحلية من مزارعين وبدو وسكان مدن أو الإسلام كرابطة أخوية كبرى من المؤمنين[2].

شكّل كل من البلدين الجزائر والمغرب شعبا واحد وأمة واحدة[3]، حيث تجلى ذلك عن طريق الاستقرار في بقعة معينة ولمدة طويلة، يضاف إلى ذلك تعزيز الروابط والصلات بين الأفراد،يتبعه تبادل المنافع وتفاعل المشاعر والأحاسيس واحتكاك الآراء والأفكار وتبادل وجهات النظر بشأن المشكلات التي تعترضهم،ومن ثمة تؤسس الرابطة القومية بينهم[4].

فما هي النتيجة لو تحالفت الجغرافيا مع التاريخ في حالة المغرب؟

في هذا الصدد يذكر الباحث (محمد التومي):"...كما أن المعالم الطبيعية قد اقترنت في ذاكرة تاريخ المنطقة حيث أنها ساهمت بمساعدة المقاومة الثقافية للسكان الأصليين في عزل التواجد القرطاجي

---

[1] فيليب كورتن:العالم والغرب التحدي الأوروبي والاستجابة فيما وراء البحار في عصور الإمبراطوريات،تر:رضوان السيد،م.ع،الرياض2007،ص273.

[2] فيليب كورتن:المرجع السابق،ص273.

[3] يرى الخبراء أن الوحدة الجغرافية للمغرب كانت لبنة ومفتاحا لانصهار البلدين والشعبين في إطار الأمة.وكمثال على ذلك نرى في انعدام هاته الوحدة لم تتحقق الدولة الواحدة والأمة الواحدة بالنسبة للشعب الأمريكي والشعب البريطاني رغم توفر عامل اللغة والدين،في حين نلاحظ العكس عند السويسريين الذي يشكل دولة واحدة وشعبا واحدا رغم اختلافه في اللغة لكنه يمتلك وحدة الإقليم،لكن الذي نميل إليه أن الغرب وإن توافرت فيه كل المقومات؛المزج البشري والغوي،فهو لا يقوم بالضرورة على وجود أمة واحدة ابتداء،ينظر:عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة،د.غ.إ،بيروت 4،2007ج،ج3،ص290.

[4] ساطع الحصري:ماهي القومية؟،م.د.و.ع،بيروت1985،ص31.

والروماني والوندالي في بعض المناطق الساحلية مما جعل هذا التواجد أجنبيا بالنسبة لباقي المنطقة كما ساهمت كذلك في تشكيل أرضية مناسبة للحملات الإسلامية..."[1].

هذا الانصهار لا يتأتى إلا عن طريق الوعي بالتاريخ،فهو يعتبر عامل أساسي يساهم في خلق وعي تاريخي جماعي يعبر عن الانتماء لشعب أو أمة واحدة لها قواسم مشتركة عديدة(الوطن،اللغة،الدين،العرق).

ب–وحدة اللغة العربية،و تماثل التاريخ وتطابق التراث والحضارة في البلدين عبر العصور:

إن من المسلّم به يقينا أن الأقطار العربية لها قواسم مشتركة، كاللغة العربية والتاريخ والتراث والحضارة،فضلا عن المحن والتحديات والمخاطر،إضافة إلى تجاورها الجغرافي وتواصلها الاجتماعي وتكاملها الاقتصادي[2].ليس هناك جناح على من يرى أن الوحدة التاريخية،نمت وأخذت أشكالها الثلاث وسط تنفيذ الإسلام لنقلات أو تحولات أساسية شكلت المناخ الملائم للفعل الحضاري[3]:

–النقلة التصورية الاعتقادية؛

–النقلة المعرفية؛

–النقلة المنهجية؛

هاته النقط الثلاث كانت مشتركة في كل من الجزائر والمغرب عبر العصور،حيث ألقت بضلالها على البعد التاريخي للبلدين،من خلال التمثلات الشخصية والفكرية والحضارية.والواقع أن التحرك في التاريخ العربي كان في إطار الإسلام والعربية[4].

---

[1] محمد التومي:المغرب العربي،في المجلة الجزائرية للعلاقات الدولية،د.م.ج،الجزائر1982،ص82 .

[2] أحمد طرابين:التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟،م.د.و.ع،بيروت1987،ص8.

[3] عماد الدين خليل:مدخل إلى الحضارة الإسلامية ،م.ث.ع،المغرب 2005،ص ص14–21.

[4] عبد العزيز الدوري:المرجع السابق، ج3،ص291.

ج–تقاطع الأنظمة السياسية للبلدين من خلال مؤسسة الخلافة:

العقد الذي انتظمت فيه الوحدة التاريخية للمغرب الإسلامي هو نظام الخلافة الذي ساد الدولة العربية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فنظم للجماعة الإسلامية أمور دينها ودنياها.ولذا حظي بالولاء العميق من المسلمين في الجزيرة العربية وفي الأقاليم التي امتد إليها سلطانهم في الوطن العربي و ما وراءه [1].

وفي المغرب تواصلت مع المرابطين والموحدين[2]،حرصا منها على حماية الوحدة السياسية للأمة العربية،هذا الحرص كان الدعامة وأحد الأسباب التي حفظت للوطن العربي وحدته السياسية طوال العصر الوسيط وحتى العصر الحديث[3].

ومع العصر الحديث رام الأتراك العثمانيون في إيالة الجزائر أحقّية حماية عقد الخلافة العثمانية،التي صانوها حتى ظهور المطامع الاستعمارية الأوروبية في مطلع الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي هذا الصدد، لابأس أن نستأنس برسالة طويلة،بعث بها الداي حاجي شعبان خوجة(1100-1107هـ/1688-1695م)تؤكد المعنى الذي أحققناه في هذا الباب.بعث بها إلى لويس الرابع عشر الفرنسي(1141-1195هـ/1661-1715م)،يقول له فيها:"..نعلم عظمتكم أن مملكة الجزائر تعد بمثابة قرش أبيض لأيام الإمبراطوريات العثمانية السوداء،فهي كمفتاح احتياطي وبلد منتصر باستمرار وأن مسائل مثل قادرة على تقليص عدد الجيش وتدمير البلد ويجدها قادة القبائل العربية وكل أعداء العثمانيين

---

[1] أحمد طرابين:المرجع السابق،ص9.

[3] شهد المغرب في عهد الموحدين التمكين للوحدة،بعد أن كانت حلما،حيث صارت واقعا ملموسا،وبهذا تكون الفكرة قد زودت شعوب المغرب العربي بذاكرة جماعية ولكن بفكرة متعددة الأبعاد والتي لاتنكر الاختلافات ولكن تثريها،ينظر:مومن العمري:شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)،إشرا:عبد الكريم بوصفصاف،قسم التاريخ،جامعة منتوري بقسنطينة،الجزائر2009-2010،ص80،هـا رقم:(2).

[3] مومن العمري:المرجع السابق ،ص9.

شديدة القوة خارج طاعة السيد الأعظم...بتعريض حياتنا للخطر وذلك في سبيل الحفاظ على الجزائر التي تعد بمثابة المفتاح الاحتياطي لحاكمنا السامي."[1].

نتج عن عقد نظام الخلافة إفرازات نحن في أمس الحاجة إليها الآن،لعل من أهمها،إذ يعتبر حديث الساعة الآن سواء في العوالم المتقدمة أو العوالم المتخلفة؛حق المواطنة هو الذي يجعل من الشخص يستفيد من حقوقه وواجباته أينما حلّ وارتحل؛مشرقا ومغربا.

د–تقاطع البلدين في الاختيارات والمآلات الاجتماعية من خلال مؤسسة ركب الحجيج:

كانت هجرة وتنقلات المغاربة في أرجاء المغرب الإسلامي،ومن المغرب الإسلامي إلى المشرق هي الأخرى تشكل رافدا من روافد الوحدة التاريخية بين المسلمين؛مغاربة ومشارقة.

وفي الواقع هناك عوامل ساهمت في الهجرة تتمثل في سهولة اندماج المغربي في المجتمع المشرقي،فما بالك بالمغاربة داخل وحدتهم الجغرافية المغاربية،خصوصا عامل الحج،حيث يعتبر مظهرا من مظاهر الوحدة التاريخية في شقيها؛الزماني والمكاني.

ويبرز هذا جليا في اتخاذ زمن محدد للحجاج المغاربة يتخذونه مواقيتا لركب الحج[2]،وفي اتخاذ معالم جغرافية بدءا من حاحة بالمغرب الأقصى،إلى سوس بالجنوب الشرقي للمغرب،وصولا إلى تلمسان فبجاية[3].

---

[1] Eugène plantet:Op.cit, T2, pp430-444.

[2] من المؤكد أنها قديمة قدم الإسلام،لكن انتظامها في مؤسسة يعود إلى جهود الإمام أبي محمد صالح دفين أسفي عام 631/م،دعواه كانت تأسيس ركب حجيج دعي في البداية الركب الصالحي،و مع بني مرين شهدت مؤسسة ركب الحجيج هيكلة وتطورا كبيرا،وأنشأ لذلك منصب رئاسة ركب الحجيج،ينظر:محمد المنوني:"الركب الفاسي للحجيج المغربي"،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب1985،،8مج،مج3،ص40.

[3] محمد المنوني:المقال السابق،ص ص40-41.

ومن الملاحظ أن هذه المؤسسة جعل لها رباطات في بعض الأقطار العربية،على غرار رباط بجاية تحت وصاية محمد بن أبي القاسم السجلماسي،ورباط الإسكندرية[1].لاشك أن لمثل هذه المؤسسة عدة جوانب وحدوية بالنسبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

يذكر في هذا الشأن الباحث (الشيباني بنبلغيث):"...وكان لهذه الرحلات أهمية في التاريخ الإسلامي،وتطوره الحضارة الإسلامية على مر الزمن.ولا تكمن هذه الأهمية في أداء شعائر الحج لذاتها،بل إن القيام بفريضة الحج يمثل رابطة قوية من روابط الوحدة بين أجزاء العالم الإسلامي،فهي حقل معرفي يضم أصنافا متعددة من المعارف،تعكس بأمانة حركية المجتمع العربي،ونمط تفكيره وأسلوب حياته وعلاقته المتنوعة،وعناصر التطور واللقاء..."[2]،هذه الرحلات أوقدت أيضا لواعج الشوق عند الحجاج ليس للكعبة وفقط،بل أيضا كانت في كل عام مثابة منبه عن وحدتهم التاريخية عبر العصور.

وكانت قوافل الحجاج من المغرب إلى المشرق طوال شهور السفر تحطم الحدود والسدود السياسية والاجتماعية،وتؤكد وحدة الهوية بالمجال ووحدة الدائرة الثقافية الإسلامية[3].

رسخت مؤسسة ركب الحجيج طريقا تاريخيا ترفده عدة طرق من الشمال والجنوب،يسمى بالمحجة الكبرى؛الطريق الصحراوي الممتد من سجلماسة بأرض المغرب لتصل إلى القاهرة،مرورا بكل من الجزائر وتونس وطرابلس،قبل أن تأخذ وجهتها المحددة وهدفها المقدس؛مكة المكرمة والمدينة المنورة،موئل الشريعة والحقيقة،ومهوى قلوب المسلمين وأفئدتهم،وموطن الرجال والأفكار،ورمز الخلاص الديني

---

[1] محمد المنوني:الركب الفاسي...،مقال سابق،ص41.

[2] الشيباني بنبلغيث:أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر،م.ع.د،صفاقس2008،ص103.

[3] الشيباني بنبلغيث:المرجع السابق،ص104.

والدنيوي[1].شكلت منذ الأزل وإلى الآن هاته المؤسسة الدينية رمزا من الرموز الوحدة والتجمع الديني والدنيوي.فمعها تنمحي الحدود والجنسيات أمام ذلك السيل المتدفق بانتظام ذهابا وإيابا[2].

هـ–مسألة الحدود في البلدين بين إفرازات الإستعمار ومعاينة التاريخ والجغرافيا:

يتبادر إلى أذهان المهتمين بالجغرافيا السياسية سواء في العالم أو في الوطن العربي ممن فضلوا السير وراء منظّري الفكر الاستعماري أن قضية رسم الحدود العربية،كانت بإيعاز من العثمانيين[3]،وهو لا عمري تجنّي صارخ على العوامل الجامعة لأبناء العالم الإسلامي طيلة عهده بالإسلام العوامل الطبيعية ،والعوامل التاريخية.لو كان هذا فقط لهونا من أمره ولكن هذا لا يقبل إلا في ضوء فهم ظاهرة الحدود في غمرة ارتفاع حمى الاستدمار الأجنبي على جنبات وحياض الإسلام بدءا من الحملات الصليبية ومرورا بمخلفات حروب الاسترداد داخل الأندلس ومنها إلى الضفة المقابلة على شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي الغزو الأيبيري.وترسيخا لها مع المنافسة الأوروبية في القرن التاسع عشر على امتلاك المستعمرات في أوروبا وإفريقيا.

العجب كل العجب من يقول برأي، مفاده أن قضية رسم الحدود،خاصة بعد الخلاف العثماني والمغربي،أدى إلى وضع حدود تعتبر الأولى من نوعها[4]!،يضيف قائلا:"...ليس فقط في تاريخ العلاقات بين الجزائر والمغرب،وإنما أيضا،في العالم العربي بصورة عامة،وبإفريقيا كذلك..."[5]،حقيقة لا نؤاخذه في

---

[1] عبدالله بن محمد العياشي:الرحلة العياشية 1661-1663م،تح:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،د.س.ن.ت،الإمارات العربية المتحدة2006،3ج،ج1،ص12.

[2] الشيباني بنبلغيث:المرجع السابق،ص104.

[3] في هذا الشأن يقول عبد الله إبراهيم :"...إن كلمة الحدود بمعناها الدولي الراهن،كانت هدية الأتراك العثمانيين إلى شعوب الشمال الإفريقي..."،ينظر: :محمد رضوان:منازعات الحدود في العالم العربي مقاربة سوسيوتاريخية لمسألة الحدود العربية،أفريقيا الشرق،الدار البيضاء 1999،ص74،هـا رقم:(2)،نقلا عن عبد الله إبراهيم:صمود وسط الإعصار:محاولة لتفسير تاريخ المغرب الكبير،ط2،م.ن.ج،الدار البيضاء1976،ص36،وأما عن إرهاصاتها و تطوراتها ونتائجها،ينظر الملحق رقم:(3).

[4] محمد رضوان:المرجع السابق،ص74.

[5] المرجع نفسه،ص74.

رأيه،لكن إطلاق الكلام على عواهنه ليس من الموضوعية في شيء.فنراه لا يقدم ولا دليل على ما ذهب إليه،اللهم إلا إذا كانت له خلفيات ورواسب فكرية مسبقة لم يعلن عنها!.

نرى أن حقيقة الحدود تفهم إلا في إطار دولي،وليس إقليمي كما فهمه كل من (عبد الله إبراهيم) و(محمد رضوان) ومن ساروا على شاكلتهم كدليل على ما ذهبنا إليه،نورد نصا للباحث (أحمد طرابين)،جاء فيه مايلي:"...إن الوطن العربي قبل العصر الحديث لم يعرف(التجزئة)بمفهومها الاصطلاحي الشائع القاضي بتحديد الجنسية والعملة والنشيد والجوازات والحدود الفاصلة والحواجز الجمركية القائمة..إلا نتيجة الاتفاقات والمعاهدات التي عقدتها الدول الاستعمارية الأوروبية حين تقاسمت الأقطار العربية وسيطرت عليها.وإن جميع الاختلافات في النظم الإدارية والتشريعية والاقتصادية والسياسية..هي من مواريث الاحتلال الأجنبي،فهي إذا حديثة وعارضة.والعامل المهم الذي كان له أثر حاسم في التجزئة العربية،هو عامل الاستعمار الأوروبي..."[1].

ويرى آخر أنه لم توجد حواجز طبيعية تميز حدود كل من المغرب والجزائر وتونس بل إن بعض القبائل كانت تعيش على جانبي خطوط الحدود المفتعلة بين هذه الدول كنتيجة من نتائج الحقبة الاستعمارية[2].

يفهم من هذا النص أن قضية الحدود لا دخل للعثمانيين فيها،ولم تكن أبدا من بنيات أفكارهم.إنما ولدت في رحم التنافس المحموم الأوروبي على العالم الإسلامي يومئذ.ثم لنرى إلى ما ورد في النص من الموروثات الاستعمارية من نظم وقيم في العالم الإسلامي.أكيد أنها أجنبية عنه وهي أيضا مازالت ماثلة أمام أعيننا اليوم.

ولكي نؤكد على عدم صحة أن العثمانيين هم الذين قدموا هدية الحدود للعالم الإسلامي عامة،ومنطقة المغرب الإسلامي خاصة.نورد نصان يؤكدان على صحة هذا مع أننا لسنا مع صاحب النص الأول في كل ما ذهب إليه ،حيث جاء في النص الأول ما يلي:"...وقد بدأت سمات الانقسام بين

---

[1] أحمد طرابين:المرجع السابق،ص10.

[2] بحث مقدم من طرف:مركز زايد للتنسيق والمتابعة:إتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية،الإمارات العربية المتحدة2001،ص15.

أجزاء المغرب الثلاث(المغرب-الجزائر-تونس) تظهر في القرن الثالث عشر،حينما اضمحلت دولة الموحدين،وحلت محلها بالتدريج دول ثلاث:دولة الحفصيين في تونس وبنو عبدالواد[1] في المغرب الأوسط(الجزائر) وبنو مرين في المغرب الأقصى(مراكش)[2]ولكن هذا الانقسام لم يتضح إلا مع نهاية القرن السادس عشر،فإن كلا من دولة الحفصيين وبني مرين حاولت أن تبسط نفوذها على المغرب العربي كله وتؤسس دولة كبرى على نموط دولة الموحدين تحكم كل مناطق المغرب العربي،ولكن لم تنجح مساعي الدولتين،وعادت دولا إقليمية محدودة..."[3].

وأما عن النص الثاني،يقول فيه صاحبه:"...الذي أعرفه أن جميع دولنا على الإطلاق إنما قامت بأمر استعماري،بتسوية بين الطامعين الأجانب.فنحن تمثل توازن التجزئات الاستعمارية التي دمرتنا في القرن التاسع عشر.كانوا يقررون ولا يطلبون حتى بصماتنا!ما من حدود في الحدود العربية على الإطلاق،سواء بين بعضها بعضا أو بينها وبين الدول الأخرى المجاورة وضعها عربي أو اشترك في وضعها.كل التواقيع على وثائق الحدود التي نتمترس وراءها،وندافع بشراسة عنها،وضعها المستعمرون،خاصة الانكليز والفرنسيون والطليان والإسبان،خطان فقط نجيا،في سنة 1932م وضع العرب خطا بين اليمن والسعودية.وفي أعقاب مشكلة البوريمي كانوا موجودين لوضع الخط الآخر.."[4].

إن وحدة الجغرافيا والتاريخ في المغرب الإسلامي،كانت عبارة عن خطوة لتدعيم وحدة سياسية؛علائقية،دعمّت في أحضان وشائجية وأواصر دولاتية جمع بينها التاريخ واللغة والمعاهدات

---

[1]انتهت دولة بني زيان بعد أن حكمت مدة ثلاثمائة سنة وعامين؛منها 104أعوام باسم دولة بني عبد الواد،198عاما باسم دولة بني زيان،ينظر:أحمد توفيف المدني:كتاب الجزائر،م.ع،الجزائر1350هـ،ص34.

[2]بالنسبة لمقر وعاصمة المرينيين كانت فاس وليست مراكش،ينظر: محمد المنوني:"حضارة بني مرين من خلال منشآتهم المعمارية"،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب1985،8مج،مج3،ص18.

[3] إتحاد المغرب العربي:مرجع سابق،ص17.

[4]شاكر مصطفى:حوار حول التاريخ القطري،في مجلة العربي،مجلة ثقافية مصورة تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت،الكويت1989،السنة الثانية والثلاثون، ع369،ص23.

والاندماجات[1] والوجدانيات المشتركة طيلة التاريخ.ومما تشتمل عليه العوامل التاريخية بين البلدين؛ الأمة،حيث يعتبر وعاء الأمة الوعاء الجامع للعرب،فهي قاعدة الوعي عند العرب[2].إن أي تحليل وتفسير للحاضر والمستقبل،يدور مبتدأه ومنتهاه،في العودة إلى التاريخ لقراءة ظواهر الحاضر؛ومنها ظاهرة مساقات ومسارات التجارب التاريخية؛التعددية،الوحدة،التجزئة،الدولة السلطانية،الدولة القومية أو الإسلامية[3].حتما هذه العودة لا تقبل إلا عبر زاوية ذات أهمية منهجية ونقدية[4].

ننهي حديثنا لهذه الجزئية بالتأكيد على حقيقة تاريخية تبين مدى التلاقي والتواصل والتناغم بين البلدين في مسألة الوعي بعامل التاريخ ودوره في إحياء الوعي أمام التحديات الخارجية عبر العصور لا أجد بدا من الاستشهاد،بما كتبه الباحث عبد العزيز الدوري،تأكيدا على المعنى الذي أشرنا إليه في الفقرات السابقة.وكان مما قاله:"...إن ظهور الوعي والحيوية عند العرب في أية فترة كان في نطاق الإسلام/العروبة،وهذا اعتمد تاريخيا على طبيعة التحديات التي واجهتهم.فحين يكون التحدي الأكبر خارجيا يبرز الوعي والمقاومة في إطار الإسلام،كما حصل في مواجهة غزو الإفرنج،وفي مواجهة المغول،وكما حصل في مواجهة الغزو الغربي الحديث في القرن السادس عشر:الحملات الإسبانية البرتغالية

---

[1] في السابع عشر من فبراير1989م،وفي مدينة مراكش المغربية وفي القصر الملكي،وقف الرئيس بن علي والعقيد القذافي رحمه الله والملك الحسن الثاني رحمه الله والرئيس بن جديد رحمه الله والرئيس ولد الطايع متشابكي الأيدي،معلنين عن قيام اتحاد وجداني؛اتحاد المغرب العربي،ترجموا لهذا الوجدان بإنشاء وثيقة،فحواها:إقامة اتحاد على أساس وحدة الدين واللغة والتاريخ ووحدة الأماني والتطلعات والمصير.

[2] عبد العزيز الدوري:المرجع السابق،ج3،ص290.

[3] وجيه الكوثراني:"صورة الدولة السلطانية في الوعي التاريخي العربي:جدلية الوحدة والتعدد"،في مجلة الاجتهاد،مجلة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي،بيروت1994،السنة السادسة،ع23،ص194.

[4] وجيه الكوثراني:المقال السابق،ص194.

على شمالي إفريقية[1]والغزو البرتغالي للخليج العربي وسواحل الجزيرة،وجاء الرد عادة في الدعوة للجهاد ضد الغزو الخارجي..."[2].وفي ختام هذا المبحث نوجز جملة من النقاط كاستنتاجات لما ورد آنفا:

-تجلت أهمية تأثير العامل الجغرافي الرتيب في صنع التاريخ،فقد رأينا كيف يمثل الجنوب دائما منطلقا للأسر التي تعاقبت على حكم المغرب.بينما يشكل الشمال منفذ التأثيرات الخارجية،هذا بالنسبة للمغرب.

أما في الجزائر فقد لعب العامل الجغرافي نفس الأثر في صناعة تاريخها،مع الاختلاف في طبيعة ومسلك ونسبة الأثر.وعلى ضفاف الجغرافيا نسجت علاقات بين البلدين؛طبعا تختلف كما قلت من حيث الرؤى،التطبيقات والمآل.

- تجلت أهمية العامل التاريخي الرتيب،في التأكيد على حقيقة علمية وموضوعية، تبين مدى التلاقي والتواصل والتناغم بين البلدين في مسألة الوعي بعامل التاريخ ودوره في إحياء الوعي وإرشاد الضمير أمام التحديات الخارجية عبر العصور وفي نفس الوقت يحمل معها التاريخ صورا من العلاقات السياسية،بمختلف طبيعاتها؛التوافق،التصادم.لكن حضور الثانية كان دائما ماثلا في مثل هذه التحديات،ليرسخ في الذاكرة الجماعية معنى الوحدة التاريخية بين البلدين.

- أحدث تعانق وحدة الجغرافيا والتاريخ في المغرب الإسلامي شخوص علائق سياسية ترجمت وفق إرادات سياسية في أنظمة البلدين،دعمت في أحضان وشائجية وأواصر دولاتية جمع بينها التاريخ واللغة والمعاهدات والاندماجات.

---

[1]الكاتب يقصد شمال إفريقيا؛تونس،المغرب الأقصى،الجزائر.وليس تونس فقط؛لأن مدلول كتابة إفريقية عند العرب الجغرافيين القدامى وحتى المحدثين تعني تونس الحالية.

[2] عبد العزيز الدوري:المرجع السابق،ج3،ص308.

ثانيا:العوامل الظرفية المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين:

بعد أن رأينا ما للعوامل القارة في تحريك وصياغة العلاقات السياسية بين البلدين.وما كان لها من مسحة تفكيكية وصورة تبدوا في جميع مراحلها متناغمة،وتحمل في طياتها إرهاصات قابلة للانصهار في بوتقة أبعاد الزمان والمكان.تاركة المجال لعوامل ظرفية؛متغيرة بلازمة طيفية في أدلجة العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في العصر الحديث.فما هي مظاهر تلك العوامل،وما مدى تأثيرها على العلاقات السياسية آنذاك؟

1-الصناعة العلائقية[1]بين فلسفة نظام الحكم[2] في البلدين والتغلغل الأوروبي

أ-فلسفة نظام الحكم في البلدين رافد من روافد الصناعة العلائقية:

إن استئناسنا استعمال مفردة الصناعة العلائقية في هذه الجزئية لم يرد اعتباطا ولا تجردا من دليل،بل كان لهدف وغاية علمية وموضوعية.الصناعة العلائقية خطط لها في أذهان صانعي الحكم في البلدين طيلة العصر الحديث،ووجدت فكرة وتطورت معطى وجسدت مشروعا لدى الطرفين.الموضوعية والعلمية في موضوع العلائق وبلورتها كنتاج صناعي بأتم معنى الكلمة جاء عن طريق رؤية وموقف كل من الأتراك

---

[1]أصل اشتقاق كلمة العلاقات؛فهي مشتقة من:علاقة،علاقة(مفرد)،جمعها علاقات وعلائق:رابطة تربط بين شخصين أو شيئين؛علاقة عاطفية-ليس بين هذين الموضوعين أية علاقة-كان على علاقة طيبة معه-ربطتني بأستاذي علاقة مودة،السلطة ذات العلاقة:السلطة المختصة الصالحة للنظر في الأمور-العلاقات الثقافية أو التجارية بين البلدين:وجود تبادل ثقافي أو تجاري بينهما-العلاقات الدبلوماسية أو السياسية بين البلدين:وجود سفارة أو قنصلية لكل منهما في الأخرى.وهي أيضا:صلة ورابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي،وقد تكون المشابهة،قد تكون غير المشابهة،ينظر:أحمد مختار عمر:المرجع السابق،4مج،مج1،ص1538.

[2]بالنسبة لفلسفة نظام الحكم في الوطن العربي،يختلف من نظام إلى نظام،ويؤسس له وفق انتماءات،فنجد الانتماء المذهبي أو القبلي أو العرقي.فنقول:الدولة العربية،الدولة الفاطمية،دولة الخوارج،دولة الملثمين.وأما على مستوى التجريد فإننا نرى أن الشكل العام لتنظيم السلطة العليا في جميع الدول المذكورة.تنتفي الصفات العرضية،المذهبية والقبلية والجنسية،باستثناء صفة واحدة هي الصفة الإسلامية ،ينظر:عبد الله العروي:مفهوم الدولة،ط9،م.ث.ع،الدار البيضاء2011،ص119.

العثمانيين والسعديين والعلويين من بعدهم للعلاقات.الجانب العثماني كانت صناعته لها تتجلى في تعامله على أساس ديني عقدي على صفة الالتزام بالإسلام ،والعيش للخلافة[1].

وفي ظلها وتحت رايتها.أنقل قصيدة شعرية ألفها الأحمدي عام1400م مؤرخا فيها رؤية العثمانيين لمسألة الخلافة،والعمل على التقلد بها،ووضعها موضع الأمانة،يقول في كتابه(اسكندر نامة):

سلطاننا،وكيف نريده أن يكون..؟

إن سلطاننا هو خادم دين الله.

انه الرجل الذي يسعى لإخراج الناس من الشرك.

وينقلهم إلى رحمة الإسلام.

إن سلطاننا هو سيف الله.

انه حامي المؤمنين،وملاذ المسلمين.

وحين يقتل سلطاننا في سبيل الله.

فلا تظنوا أنه مات .

لان الشهيد لا يموت.

بل ينتقل إلى جوار الله.

---

[1]هي أول المصطلحات من حيث الظهور في واقع التجربة السياسية بدولة المدينة،هو مصطلح "الخلافة"،حيث أنها وظيفة سياسية محددة لصاحب السلطة ورئيس الدولة الذي اختاره المسلمون يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم،وأسسوا باختياره نظام حكمهم هذا.أشير في هذا الصدد إلى قضية مهمة،لقد اجتمع المسلمون رغم تعدد اجتهاداتهم في الإلهيات والتصور للكون والاختلاف في بعض الأصول وكثير من الفروع،ولكنهم انقسموا واقتتلوا على الخلافة ونظام الحكم وما ارتبط به من العقائد والممارسات،حول هذا ينظر:محمد عمارة:نظرية الخلافة،السلفية،الثورة،الفرق الإسلامية،ورقة علمية قدمت في:أعمال موسوعة الحضارة العربية الإسلامية،م.ع.د.ن ،بيروت1995،3مج،مج2،ص ص184-186.

ليعيش في جنات النعيم[1].

في هذا الشأن نقرأ للمؤرخين العثمانيين الأوائل ما ينم عن تأصل هذا المعنى الرقراق في جبلة العثمانيين،ورد هذا في ذيل الشقائق النعمانية،إذ يقول صاحبه:"...لم يزل (أي السلطان العثماني)لمنار الشريعة رافعا،ولمن نابذها وعاندها قارعا ورادعا؛فلذا أتاه مطاوعا من كان له مضارعا،ارتفع عن الفين والمين،ووصل من الأثر إلى العين؛بأنه مهد السلطنة،وأحسن أساسها،وأحسن سياسة ناسها.به ارتفع لواء الآلاء،وانتكس علم اللأواء،قراب سيفه رقاب المشركين...فلازال يزداد به الشرع الشريف شرفا وعظما،ومابرح يزداد به الدين الحنيف كرامة وعزا،ومافتئ أمر الخلافة متمنعا بطول بقائه،ومازال سرير السلطنة متمتعا بطول لقائه..."[2].

أوليس أبلغ من هذه القصيدة!!وصية عثمان لابنه أورخان:"...يا بني! لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد،فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت،وهذا يا ولدي ما أنت أهل له..."[3].

في حقيقة الأمر إنني أجد نفسي في هذه السطور،ملزم بأن أتنصل من نوازع نفسي،وهفوات أحكامي وهمزات فكري،حينما كنت غرا،فلكم حاججت عن عدم دراية وسوء فهم!! بأن العثمانيين لم تكن لهم خلافة،ولم تقم لهم وصاية على العرب في أحقية الخلافة ومستلزماتها،ربما تأثرا بأولئك الذين لم يعملوا الموضوعية،وفي ظل تناسيهم قضية الأخوة الإسلامية[4] بيننا وبين العثمانيين.ولا أدل على ما أدين الله به في هذه المسألة،من إيراد فقرة للمؤرخ(محمد حرب)،يقول فيها:"...معاداة العثمانيين قضية يحمل لواءها

---

[1] زياد أبو غنيمة:جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك،د.ف.ن.ت،عمان 1983،ص ص30-31.

[2] عاشق جلبي:ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية،تح:عبد الرزاق بركات،د.هـ.ط.ن.ت،القاهرة2007،ص ص39-40.

[3] محمد حرب:العثمانيون في التاريخ والحضارة،سلسلة دراسات عثمانية(1)،م.م.د.ع.ب.ع.ت،القاهرة1994،ص12. هذه الخلفية أفضت على المتصدين لهذه الأدوار لونا من الشرعية العامة التي تصل أحيانا إلى حد امتلاكها مسحة من القداسة،حول هاته العلاقة،ينظر:حسن الضيقة:الدولة العثمانية الثقافة،المجتمع والسلطة،د.م.ع.د.ن.ت، بيروت1997،ص57.

[4] ذلك لأن تاريخهم موصول بعهد طويل من تاريخ الشرق العربي.

في البلدان العربية وغير العربية أصحاب المذاهب المعادية للإسلام،والسبب:إسلامية الدولة العثمانية،لذلك لا يناصر تاريخ العثمانيين وحضاراتهم إلا هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام تاريخا وحضارة..."[1].

ولم يتركنا المؤرخ محمد حرب دون نصيحة تعتبر بارقة أمل وفي نفس الوقت رفع كيل التهم والتجني على العثمانيين.أنهى كلامه بتقديم نصائح للفريقين يقول فيها:"...هؤلاء وأولئك يحتاجون إلى معرفة تاريخ العثمانيين وحضارتهم معرفة صحيحة..."[2].السؤال الذي لا يجد تفسيرا لحد الآن!،يقول الباحث (نهاد جتين)[3]:"...إذا كانت أوروبا وإيران وروسيا والدول الاشتراكية تعادي العثمانيين لأنهم عملوا على إعلاء كلمة الله ونشر الحضارة الإسلامية،فالمثير للعجب أن تعادي بعض البلاد الإسلامية،العثمانيين..."[4].

إنني أميل إلى أن الخلافة أخذها العثمانيون عن جدارة واستحقاق هذا الجزم نابع عن مسؤولية تاريخية ومن أرضية إسلامية ومقاربة تقييمية لدول الإسلام،وعلى الذين يجدون حرجا في دعواهم،ونجد نحن منهم شططا في أحكامهم إعادة قراءة أعمال ومنجزات العثمانيين في ضوء الدين الإسلامي فقط.ولن يكون هذا إلا بالابتعاد عن انقسامية الخطاب العربي المنفعل الذي تحكم في تشكيله إنشاء التعبئة الإيديولوجية والصياغات السياسية والظرفية والعابرة وحده[5]،ومن آثاره أنه افتعل قطيعة كاملة بين التواريخ أو افتعل وحدة دمجية بين أزمنتها[6].

من الدلائل على ما قدمت له سابقا أجد نفسي أجتزئ نصا لإيضاح الإشكال،ومما جاء فيه:"...ولعل خير مثال للترابط الديني بين سكان الولايات العربية إبان الحكم العثماني ما حدث في

---

[1] محمد حرب:المرجع السابق،ص4.

[2] المرجع نفسه،ص4.

[3] نهاد جتين:هو مدير معهد الدراسات الشرقية ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة اسطنبول.

[4] محمد حرب:المرجع السابق،ص4.

[5] وجيه كوثراني:التحديات والبزوغ ..محاضات الإسلام السياسي في تركيا،ورقة علمية قدمت في:أعمال عودة العثمانيين الإسلامية التركية،ط4، م.م.د.ب ،الإمارات العربية المتحدة2012،ص36.

[6] وجيه كوثراني:التحديات ...،المقال السابق،ص36.

مصر عندما نزلت الحملة الفرنسية أرض مصر عام 1213هـ/1798م بقيادة نابليون بونابرت وكانت هذه الحملة هي أول غزو عسكري مسيحي أوروبي لولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في الشرق الإسلامي في التاريخ الحديث.وقد أعلن السلطان(1204-1224هـ/1789-1807م) الجهاد الديني ضد الفرنسيين.واستجاب لدعوة الجهاد عرب الحجاز والشام وشمالي إفريقيا...وهكذا فإن سكان الولايات العربية لم ينظروا إلى السلطان العثماني على أنه سلطان المسلمين فحسب،بل نظروا إليه أيضا على أنه خليفة المسلمين يستظلون بظل خلافته..."[1].

وهذا ما أشار إليه المؤرخ (عبد الرحمان الجبرتي) في معرض حديثه عن طلب الإنكليز من السيد محمد كريّم رئيس ثغر الإسكندرية المحافظة على الثغر من مداهمات الفرنسيين.عندئذ أجاب أهلها كلهم:"...هذه بلاد السلطان،وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل،فاذهبوا عنا..."[2].هذه الهبّة بين الإمام والرعية ترجمت في إيجاد وحدة طبيعية بين الولايات العربية[3]،إنها وبلا ريب ما ينقص العالم الإسلامي اليوم.

خاض عدد من المؤرخين مسألة ذات علاقة بإشكاليتنا السابقة،فحواها أن ما قام به العثمانيون في البلاد العربية يعد من قبيل التوسع والضم[4]،ولكن المصادر حينما عدنا إليها وجدناها تشير إلى مصطلح مصطلح في غاية الأهمية والدلالة،فتصفه بالفتح.

يورد لنا صاحب التحفة،يقول:"...ثم سافر في شعبان(أي السلطان سليم الأول) من السنة إلى بلاد الروم فتلقاه في الطريق الشريف بركات الحسيني شريف مكة وولده الشريف أبو نمى محمد فاجتمعا

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي:الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،م.ع،الرياض1995،ص240.

[2] عبد الرحمان بن حسن الجبرتي:عجائب الآثار في التراجم والأخبار،تح:عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم،د.ك.م،القاهرة1998،4ج،ج3،ص1.

[3] إسماعيل أحمد ياغي:المرجع السابق،ص238.

[4] أحمد زكريا شلق:العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة1516-1916،م.ع.ن.ت ،القاهرة2002،ص24.

بالسلطان وهنئاه بالفتح(فتح مصر والشام)فشكر له السلطان ذلك وخلع عليه وعلى ولده وقلد إمارة مكة لولده الشريف أبو نمى برضاء والده..."[1].

كتب كثير من الباحثين في شأن إشكالية تحقيب التاريخ المغاربي أنه لم يعرف كلمة الحداثة إلا في إطار المعاصرة الزمنية وتبني الاصطلاح الأوروبي في أوروبا تعني الحداثة مجمل التغييرات الواسعة،والثورية في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.وقد تجلّت في الدول القومية والتجارة الدولية والحركة الإنسانية، والطبقة البورجوازية[2]،بينما في المغرب ظلت القوى الدينية والإقطاعية والقبلية تلعب الدور القائد الذي كانت تلعبه من قبل[3].

ربما هذا الطرح يقبل في جزئيات ولكن في البعض الأخر له ما يفنده فكل من يقرأ التاريخ الأوروبي لا يقر بحقيقة ما أورده محمد خير فارس من أن التغيير كان على نسق واحد؛زمانا،ومكانا،ومضمونا.

فمثلا القرن السادس عشر بأوروبا قاطبة كان من أشد القرون اضطرابا،ومن حيث المضمون شهدت أوروبا استخفافا بالآداب العامة،وانحلال الروابط الدينية،اتسامه بالفردية[4].أما من حيث المكان ما أشار إليه الباحث محمد خير فارس من إفرازات الحداثة؛يقصد ايجابياتها،في حقيقة الأمر مست تقريبا المجتمع الإيطالي فقط[5].

لعل الغرض من إثارة هذه الإشكالية هو أن ما أحدثته الحداثة في أوروبا أنها أدخلتها التاريخ الحديث من أوسع أبوابه بعد نجاح مشروع الوحدة السياسية في أوروبا.هو شبيه ومطابق لحالة العرب آنذاك.فكيف تتحقق التشابه والتطابق الحداثي؟

---

[1] يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل:تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تح:محمد الششتاوي،د.أ.ع ،القاهرة1999،ص85.

[2] محمد خير فارس: تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص11.

[3] المرجع نفسه،ص11.

[4] ميلاد المقرحي:تاريخ أوروبا الحديث1453-1848،م.ج.ق، بنغازي1996،ص401.

[5] ميلاد المقرحي:المرجع السابق،ص410.

بالنسبة للوحدة السياسية للعالم الإسلامي تحققت على أيدي العثمانيين لأول مرة بعد سقوط الخلافة العباسية658هـ/1258م،ولذلك يرى عدد من المؤرخين والباحثين أن الوحدة التي تمت على أيدي العثمانيين تعتبر بداية التاريخ الحديث للعرب[1].

وأما عن تراكمات النهضة في موضوع الحداثة بالنسبة لأوروبا كان في طابعه العام دنيوي،وليس ديني،ولا أدل على ذلك من حركة الإصلاح الديني،إذ كانت من أهم الحركات الدينية في أوروبا،وحسبنا الإشارة إلى أنها هي من مزقت الوحدة الدينية في أوروبا[2].الأمر بالنسبة للدولة العثمانية كان يختلف،لأنها لم تعرف التفرقة بين العلم والدين[3].

وفي ختام هذه الجزئية حسبنا ما أقره الوازع الديني في نفوس العثمانيين،ومن ثم نفوس الرعية،إذ كانت الخلافة هي من يقرر القرار السياسي،والوجهة العسكرية والحربية للمسلمين في المشمولات الجغرافية العثمانية،فكان الدين يعمل في تلك العصور في تقرير الأوضاع السياسية والحربية لشعوب الولايات العربية[4].

في هذا الإطار كتب أحد الباحثين أن الغرض من توسع العثمانيين في الشرق،يصب كله في استئناف الصراع مع أوروبا من جديد[5].

وأما من جهة المغاربة كانوا هم الآخر يدندنون حول مسألة أحقية الخلافة[6].تجلى في تمسك السعديين بأحقيتهم في الخلافة من الأتراك العثمانيين،فقد وجدنا خطابا رسميا في مدونة (التمجروتي)،يؤكد على شرعيتهم بالخلافة،فيمتثل بالقول:"...والعثمانيون في جملة المماليك والموالي الذين

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي:المرجع السابق،ص239.

(2) ميلاد المقرحي:المرجع السابق،ص402.

(3)الصفصافي أحمد المرسي:استانبول عبق التاريخ.روعة الحضارة،د.أ.ع،القاهرة1999،ص150.

(4) إسماعيل أحمد ياغي:المرجع السابق،ص240.

(5)أحمد زكريا شلق:المرجع السابق،ص24.

(6)تلاقي وتناغم وجهات النظر بالنسبة للعثمانيين والمغاربة حول قضية الخلافة،تعتبر في نظري حجر الزاوية في دراسة موضوع العلاقات السياسية بين البلدين.

دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للإسلام وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدق القول عليهم قوله صلى الله عليه وسلم يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر،إن كانوا إنما حملوا الإمارة وقلدوا الأمر في الحقيقة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها هم موالي وسادة الشرفاء ملوك بلاد المغرب..."[1].

نفس الخطاب يؤكده (أحمد بن القاضي) في معرض حديثه عن شخصية أحمد المنصور،فيقول:"...لما طنّت في آفاق العالم حصاته،وتعبت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته،فكادت قلوب الناس أن تتفطّر إليه شوقا وودا،أن يكونوا تحت رايته،ومن الذين دخلوا في سلك بيعته..."[2].

السؤال المطروح هنا:لماذا كل هذا التشبث بالأحقية في الخلافة،وما خلفية ذلك؟

يذهب الباحث (محمد حجي)،إلى القول بأن:"...هناك حقيقة تاريخية خفيت على حكام القسطنطينية فسببت لهم وللمغرب المتاعب...فبلاد الشام ومصر أخذت من يد المماليك الجراكسة الذين لا يربطهم نسب ولا حسب بالشاميين والمصريين،ولبيبا وتونس والجزائر أخذت من يد الحفصيين والزيانيين عمال ملوك مراكش ..."[3].

ويفهم من هذا أن إطار التشبّث بالخلافة لدى المغاربة يدور في فلك النسب والشرف[4]،الذي تميّز به به هم دون نظرائهم في المشرق والمغرب!!.

---

[1]علي بن محمد التمجروتي:المصدر السابق،ص147.

[2]أحمد بن القاضي:المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور،تح: محمد رزوق،م.م.ن.ت ،الرباط1986،2ج،ج2،ص846 .

[3]محمد حجي:التهديد العثماني وتأسيس الدولة السعدية،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب1985،8مج،مج3،ص142.

[4]بالنسبة للشرف أرى أنه لا يكفي أيضا لتبرير أحقية المغاربة بالخلافة لهم دون غيرهم من ساكني إفريقيا،خاصة إذا علمناأن الخريطة البشرية للسادة الشرفاء في إفريقيا ممتدة خارج المغرب.في هذا الشأن يورد صاحب الأنوار الحسينية مايلي:"...وأما إدريس وسليمان ففرا إلى المغرب فنزلا بتلمسان ولحق بهما ابن عمهما داود بن قاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب ثم رجع الى المشرق وترك بعض ذريته بالمغرب وهم به الآن...وأما ادريس فقد دخل المغرب الأقصى(وليلي)... وأما سليمان فقد استوطن=

يجيبنا نفس الباحث عن خلفية ذلك،قائلا:"...بينما الدولة المغربية-بخلاف ذلك -دولة عريقة مستمرة منذ أن قامت أسسها القبائل المغربية الأصيلة الملتفة حول إدريس بن عبد الله حفيد علي وفاطمة،واستمرت الدولة طوال القرون الإسلامية مع المرابطين والموحدين والمرينيين ...وذلك ما حدث بالفعل عند ظهور الأتراك بشمال إفريقيا..."[1].وكأن تكوين الدولة ومعالمها الإدارية والسياسية[2] ظهر فقط في المغرب،دون غيره من الأقطار الإسلامية مشرقا ومغربا؟!.أولم تكن الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط أعظم دولة وطنية تأسست بأرض الجزائر،وكانت نهضتها العلمية والصناعية والتجارية من أكبر النهضات التي عرفتها هذه البلاد[3]؟.

اجتهاد آخر قدمه الباحث(عبد الهادي التازي)،وهذا الرأي حسبا اطلاعنا انفرد به صاحبه،دون ذكر لمصادره! ينسحب هذا الرأي على خلفية أسباب الرفض المغربي لخلافة العثمانيين،فيقول:"...إن من عداد الأسباب التي جعلت المغاربة يقاومون المد التركي العثماني نحو بلادهم،علمهم بأن هؤلاء الأتراك يعتنقون مذهبا غير المذهب المالكي الذي ورثوه عن أجدادهم وأسلافهم..."[4].

وأما عن قضية أخذ العثمانيين مصر والشام بلا رابطة ولا نسب،هو رأي تفنده المصادر التاريخية المستجدة،والتي والحمد لله أماطت اللثام عن طبيعة العلاقات العثمانية المملوكية.وإن طاوعنا مؤلفنا محمد حجي واتفقنا في كلمة أخذ،رغم أنها غير صحيحة فهي لم تكن أخذ ولاشيء من هذا القبيل،بل كانت استنجادا واستغاثة على النحو ما حصل في مصر:

=تلمسان وله بها الآن أولاد حسان،وبعضهم بسوس الأقصى وبلاد الحبشة وأرض السودان."،ينظر: أحمد بن عبدالعزيز العلوي:المصدر السابق،ص ص24-25.

[1]محمد حجي: التهديد العثماني...، مقال سابق،ص142.

[2]ماذهب إليه الباحث المرحوم محمد حجي يتنافى والموضوعية العلمية،والحركة التاريخية لتاريخ دول الإسلام على مر العصور،وأما عن الفترة الحديثة فقد وجدت معالم إدارية وسياسية دولاتية في الجوار،أقصد الجزائر،حول هذا ينظر: المبحث الأول من الفصل الأول من متن الرسالة.

[3]أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر...،مرجع سابق،ص34.

[4]عبد الهادي التازي:"وثائق لم تنشر عن الصحراء الغربية"،في مجلة المناهل،مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية،ع، خاص بالصحراء المغربية:فكر وإبداع، ،المغرب(د.ت)،ص22.

ولحسن الحظ عثر على مخطوط بمكتبة بايزيد في استانبول،يتناول لأول مرة طبيعة العلائق بين المصريين و الأتراك العثمانيين[1].جاء فيه:"...إن علماء مصر(وهم نبض الشعب المصري وممثلوه)يلتقون سرا بكل سفير عثماني يأتي إلى مصر،ويقصون عليه(شكواهم من جور الغوري)ويقولون له بأن الغوري(يخالف الشرع الشريف) و(سيستنهضون عدالة السلطان العثماني) لكي(يأتي ويأخذ مصر).."[2].

ب–التغلغل الأوروبي في البلدين رافد من روافد الصناعة العلائقية:

تحكم في صياغة العلاقات السياسية بين البلدين أيضا رافد آخر،ألقى بضلاله على صناعتها، و يعد من أجلّ العوامل التي كان لها أثر في قولبة نمطية العلاقات بين البلدين.يمكن أن نعتبر أحداث التاريخ الأوروبي ونتائجه كنقطة بداية لتوجيه العلاقات السياسية بين البلدين،حيث نجد مع نهاية العصر الوسيط وبدايات العصر الحديث بالنسبة للمسلمين،أنه تشكل نوع من المعرفة بالآخر بالنسبة للطرفين،ومد جسور المودة والملاطفة في العلاقات المغربية العثمانية لأول مرة على المستوى الدولي؛تمثل في فتح العثمانيين للقسطنطينية على يد محمد الفاتح عام857هـ/1453م.وبالموازاة مع ذلك الحدث أوفد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الثاني آخر ملوك الدولة المرينية بعثة تهنئة للفاتح ،شأن حكام الأقطار الإسلامية الذين أوفدوا بعثاتهم احتفاء بالفتح المبين[3].

هاته السفارة لها دلالات غير التهاني فقط؟فما هي يا ترى؟ تتمثل هذه الدلالة في التأسيس للعلاقات السياسية والدبلوماسية؛ إذ يعتبر السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الثاني بهذه السفارة الودية،هو فاتح علاقات المغرب مع الدولة التركية العثمانية[4].

وفي أعقاب دخول عروج لتلمسان في حدود923هـ/1517م بعد تلقيه دعوة من بعض أعيانها،يرجونه الخلاص من الملك أبي حمو الثالث(922-934هـ/1516-1528م)،وإحلال مكانه

---

(1) وهو تحت رقم 4971 وضعه عبدالله بن رضوان تحت اسم"تاريخ مصر".

(2) محمد حرب:المرجع السابق،ص139.

(3)محمد المنوني:ورقات عن حضارة المرينيين،ط3،م.ك.آ.ع.إ.ر،الدار البيضاء2000،ص ص226-227

(4)محمد المنوني:المرجع السابق،ص227.

أبي زيان. وقد نجح عروج باربروسا في هزيمة أبي حمو الثالث في معركة سهل أغبال في نفس السنة[1]، لم يجد أبي حمو بدا من اللجوء عند السلطان الوطاسي محمد البرتغالي(910-932هـ/1504-1526م)،ومنها يمّم وجهه نحو الإسبان.وفي غضون فراره من تلمسان أعلن عروج عن مشروع تحالف مع نظيره محمد البرتغالي[2] ،يتضمن خطة دفاعية وهجومية ضد عدوهم المشترك؛النصارى،والمناوئين للسطان الوطاسي بالمغرب[3].

غير أنه وجد من شكك في هذا قيام هذا التحالف دون أن ينفي إن كان مشروع الحلف لم يجسد مرجعا سبب ذلك إلى الخطر العثماني على حدود المغرب هو في ذاته يعد أكبر خطرا من وجود الإسبان القاصرين عن أي تهديد للمغرب[4].

وتعتبر الجهة الغربية من الجزائر مع بدايات الفترة الحديثة،منطقة استيراتيجية بامتياز ومركز ثقل الصراع الدولي؛ حيث غدت تلمسان منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وتحديدا في سنة 1485م ضعيفة ومتهالكة حتى أصبحت لقمة سائغة للأسبان والعثمانيين والمغاربة،فدخلت مملكة تلمسان في دوامة الصراع بين هذه الأطراف الثلاثة حتى قضى الأتراك العثمانيين عام 1554م[5].

من جهة أخرى نجد أن المغرب يختار التأسيس للعلاقات بينه وبين الجزائر من خلال الحضور الأوروبي في المنطقة؛على سبيل المثال،نورد مثلين:

---

(1) Digo de Haedo: Op,Cit, p p25-27.

(2) كان من نتائج هذا على عروج ،أن اتفق عليه أهل تلمسان وجيشوا عليه، واتبعوه حتى بني مسي من جبل بني يزناسن وقاتلوه فقتلوه هناك،ينظر:أحمد بن القاضي:لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد،تح:محمد حجي،د.غ.إ،بيروت1996،ص836.

(3) Digo de Haedo: Op,Cit, p30.

(4) De Crammont :histoire d'Alger sous...,op.cit,p25.

(5) محمد دادة:"تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الأسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن16م"،في مجلة عصور جديدة،مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر،جامعة وهران،الجزائر2011، ع2،ص194.

لقد نجم عن تأثير التنافس السعدي-العثماني على شمال إفريقيا، في عمومه تقاربا سعديا واسبانيا وبرتغاليا،على الرغم من احتلالهما لبعض الأجزاء المغربية،بداية من سنة 961هـ/1554م[1].

المثال الثاني ما فعله عبد الله الغالب السعدي حينما تحالف مع الأوروبيين (الإسبان والفرنسيين على الخصوص)،كمحاولة منه عن التعبير عن رؤيته للعلاقات المغربية العثمانية[2] كمجابهة للخطر التركي[3].

ولهذا فإن المنظور الأوروبي للعلاقات بين البلدين كان دائما حاضرا ومهندسا لها خاصة من لدن المخزن المغربي[4].ما يمكن ملاحظته هنا أن هذا الحضور تمايز في المغرب؛من تغلغل أودى بالسعديين إلى حد التورط إلى محاولة العلويين الحذرة مع الأوائل، إلى استثماره في صالح دولتهم مع المولى إسماعيل العلوي،لتتوج المسيرة مع السلطان الشاب سيدي محمد بن عبد الله[5].

من خلال الوثائق التي عاد إليها بعض الباحثين المغاربة في هذا الشأن،استشفوا أن السلاطين العلويين الأوائل تميز عملهم بالانعزال جراء الحذر الذي كان يطبعه تجاه القارة الأوروبية[6]،مع تورعهم

---

[1] عبدالكريم كريم:المرجع السابق،ص83.

[2] يرى الباحث عمار بن خروف أنه بعد امتداد النفوذ العثماني إلى شمال إفريقيا،وقيام حكومة في الجزائر تابعة للدولة العثمانية،فهنا لا يمكن إغفال عامل المكان في تلك العلاقات البينية،فالدولة العثمانية غدت على تخوم المغرب بعد أن كانت بعيدة عنها.ومن ثم فإن العلاقات العثمانية المغربية تحولت في الجزء الأكبر منها إلى علاقات مغربية-جزائرية،ينظر:عمار بن خروف:العلاقات السياسية ...،مرجع سابق،ج1،ص81.

[3] محمد رزوق:دراسات في تاريخ المغرب،أ.ش،المغرب1991،ص129.

[4] حول هاته القضية ينظر المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[5] عرف عن هذا السلطان انتهاج نهج مغاير لأسلافه،وحتى خلفه.مما ترتب عنه انفتاح شامل للمغرب؛على أن أهم ميزة له؛التسامح الديني،فهو لم يرث صلابة أجداده،فكان يملك خصالا طبيعية تتنافى والأساليب الوحشية للقرصنة.لقد كانت آراؤه الدينية في الجهاد الذي يدعو إليه الإسلام لا تتوافق مع ماكان يعتقد به غالبية المسلمين في وقته:

- Voir: Louis Chénier: Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc ,Paris 1787,3T ,T3 ,p240.

[6] محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص404.

عن التعامل معهم خشية الإساءة إلى سمعتهم بالتعاقد مع المسيحيين،تفاديا التشنيع بهم والتورط، كما حصل لسابيقهم[1].

أما في الفترة اللاحقة تغيّر الوضع والمآل.يقول أحدهم في هذا الشأن:"...يمكن القول في هذا السياق إن تراجع التأثير الأجنبي عن طريق التجارة،وما يواكبها من تدفق الأسلحة ومن إغراء بالمال،هو الذي ساعد الأشراف العلويين على توحيد البلاد..."[2].

إضافة إلى ما سبق،إن البحث في جزئية مدى التعانق العلائقي بين فلسفة الحكم في البلدين والتغلغل الأوروبي لم يكن صدفة،بل كان معطى تاريخي وحقيقي أثّر في عملية نسيج العلاقات السياسية بينهما.هذا المعطى أدركنا أهميته في توجيهها،مع إغفاله في الطروحات التاريخية،ينوه به الباحث (محمد المنصور)،بقوله:"...إن الجانب الذي ظل مجهولا لحد الساعة هو مدى الترابط الموجود مابين الصراع العثماني-المغربي والجهود المغربية لطرد المحتلين الأوروبيين..."[3]،وحول قضية هاجس المغاربة في إجلاء الأوروبيين كتب القنصل الفرنسي لويس شنيي(Louis Chénier) عن الحضور التحريري للثغور المحتلة في سياسة السلطان محمد بن عبد الله العلوي:"... أنه لم يفكر إلا في الوسيلة التي سيصل بها إلى تنمية مداخليه وجلب الأسلحة للوقوف في وجه الأوروبيين..."[4].

على هذا الأساس تفهم طبيعة الحضور الأوروبي ومدى الترابط الوثيق بين سياسات الحكم في البلدين؛على مستوى إثبات حكميهما،العثمانيون كانوا يلوحون بخطر التهديد الأوروبي على الثغور المغربية،لإبعاد كل سياسة مغربية من شأنها التأثير عن ما اكتسبه الأتراك العثمانيون بالجزائر وكان العمل

---

(1) محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين...،مرجع سابق،ص404.

(2) عبد الله العروي:مجمل تاريخ...،مرجع سابق،ص496.

(3) محمد المنصور:"الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة"،في مجلة دار النيابة،مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب،طنجة1985،السنة الثانية، ع5،ص27.

(4) Louis Chénier :Op.cit,T3, p244.

بضرورة إشعار المغاربة بجهاد الكفار الذي ظلّوا يردّدونه منذ خطابهم للمولى محمد بن الشريف1654م "...إذا كان غرضكم في الجهاد فرابطوا على الكفار الذين هم معكم في وسط البلاد..."[1].

هذه الوشيجة بين النظامين في البلدين تمثلت في الضغط العثماني على المغاربة في توجيههم إلى الثغور.وفي هذا الشأن كتب أحد الباحثين المغاربة:"...إن الكتابة التاريخية التقليدية غالبا ما كانت تفسر الجهاد الذي خاضه المولى إسماعيل ضد النصارى بدوافع روحية أو برغبة في كسب دعم القوى الدينية لتعزيز مكانته داخليا وعزل منافسيه على السلطة.أما البعد الخارجي والمتمثل في ضغوط الباب العالي في اتجاه تصعيد الجهاد ضد النصارى فقد ظل غائبا،ولاشك أن الفراغ الذي يعاني منه البحث التاريخي في بلادنا في مجال الوثائق العثمانية يفسر إلى حد كبير غياب هذا البعد عن أعين الدارسين لتاريخ الدولة العلوية..."[2].

إن الرجوع إلى الوثائق العثمانية كما مرّ بنا مع الباحث محمد المنصور،تفضي بنا إلى استقصاء ذاك التقاطع العثماني –المغربي في مسألة تحرير ثغوره،وما لهذا من أثر في توجيه سياسة المخزن الداخلية والخارجية من طرف الأتراك العثمانيين.وهذه المسألة لم تكن لتذكر ولا لتفسر ذاك الإقبال المخزني على تحرير ثغوره، إلا عن طريق الكتابة الحديثة التي تضع في حسبانها مسألة الوثائق العثمانية،واستثمارها في خدمة المعرفة التاريخية،التي تؤمن بتعدد مصادرها ومضانها.

2– الصناعة العلائقية بين وحدة العنصر البشري وتماثل منابع الفكر الصوفي في البلدين

أ–العنصر البشري في البلدين ودوره في الصناعة العلائقية:

اعتمادنا على إثبات الصناعة العلائقية في هذه الجزئية وفقا لوحدة العنصر البشري بالنسبة للبلدين يعود لما أثبته النسّابة والمؤرخون.حيث لا يقتصر العلم الحديث على إقرارها فقط،بل يعطي حقيقة تكاد تكون غائبة اليوم!.

---

[1] الناصري:المرجع السابق،ج7،ص26.

[2] محمد المنصور:الضغوط العثمانية...،مقال سابق،ص27.

لقد أكّد علماء الجغرافية البشرية هذه الحقيقة إذ يقول أحدهم:"...لأن الواقع اليوم لا يثبت وجود سلالة نقية في العالم في الوقت الحاضر،ذلك لأن كل المجتمعات البشرية قد شهدت اختلاطا بين أكثر من سلالة،عبر حركة مستمرة من الهجرة والغزو والانتقال من مكان إلى آخر،ومن ثم اتصلت هذه الجماعات بعضها البعض الآخر وتزاوجت وأنجبت خليطا من السلالات..."[1].وقد تجلت الوحدة البشرية في بلدان المغارب تجلت في الأصول المشتركة،سواء العنصر الأمازيغي،أو العنصر العربي.يثبت المؤرخون أن أصول العشائر الأمازيغية(البربرية) في بلدان المغارب تعود إلى خمسة قبائل أمازيغية،وهي:صنهاجة[2]،ومصمودة،وزناتة،وهوارة،وغمارة[3].بينما تنتمي جذور القبائل العربية في البلدين،إلى ثلاث قبائل،وهي:حكيم،وهلال،ومعقل[4].

ويمكن للباحث تحديد مواقع توزّع القبائل العربية والأمازيغية في حدود القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي في كلا البلدين،وإرجاعها لجذورها السابقة[5].

وكانت بعض القبائل الزناتية في الجزائر، تمثل عناصر رعوية ترعى الماشية،كما أن هذه الجماعات ومثيلاتها كانت في الغالب لا تنتظم تحت سلطة الحكومة، إذ كانت تشكّل قوة بسيطة من سكان البدو تهدد أمن المجتمعات الحضرية الآمنة[6].

---

[1] فتحي محمد أبو عيانة :دراسات في الجغرافية البشرية،ط2،د.م.ج،الإسكندرية 1989،ص176.

[2] يرى العلامة عبد الرحمان بن خلدون أن صنهاجة وكتامة من القبائل العربية،ويعتبر إفريقش بن قيس بن صيفي من أدخل قبائل العرب إلى إفريقية.ولما رجع من غزو المغرب ترك هناك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها،وليسوا من نسب البربر،ينظر:عبد الرحمان بن خلدون:المصدر السابق،ج6،ص352.

[3] حسن الوزان:المصدر السابق،ج1،ص36.

[4] المصدر نفسه،ص48،إلا أن الباحث عمر بن خروف لا يذكر قبائل بني حكيم ،بل ذكر قبائل بني سليم،ينظر:عمر بن خروف:العلاقات الاقتصادية...،مرجع سابق،ج2،ص99.

[5] العلاقات الاقتصادية...،مرجع سابق،ج2،ص99،نقلا عن: عبد الرحمان حميدة:دراسة في الجغرافيا البشرية،(د.ت)،ص92.

[6] يسرى عبد الرزاق الجوهرى:شمال إفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية،د.ج.م،الاسكندرية1970،ص180.

ويرتبط سكان تلمسان مع أهل فاس بصلات أسرية،ولهذا نجد أن موقع تلمسان جعل من العائلات التلمسانية تترد بين القوتين الرئيسيتين في شمال إفريقيا، وهما القوة العثمانية في الجزائر والسعدية في مراكش[1].

وهنا لابد من تسجيل ملاحظة حول الهجرات البشرية ببلاد المغارب؛هناك هجرات كبيرة آتية من الشمال أو الشرق،هذه كان قد مضى عليها زمن طويل لانكفائها.تاركة المجال لهجرات أو تحركات تفصيلية،اختلفت تموجاتها؛ حيث نجد بعضها تقاطر من الجبل نحو السهل،اندفاعات من الجنوب نحو الشمال[2].

وقد ذكر بعض الكتّاب الغربيون في هذا الشأن أن :"...في المغرب،هجرات بربر صنهاجة في القرنين 18و19 تتمكن من تعديل توزع الجماعات في شمالي البلاد.في تونس وفي الجزائر،هذه الحركات لها كنتيجة جعل الشمال بعامة ومدن التل بخاصة مناطق تخالط أشد...حصل تمازج بين العناصر المختلفة..."[3].

إذا الهجرة التفصيلية كانت تتقاطع في كثير من الأحيان في بلدان المغارب،من حيث تمتين الأواصر،إعادة توزيع الجغرافية البشرية،ربط الجغرافيا الطبيعية بالجغرافيا البشرية.على أن المرحلة الثانية من الهجرات بالمغارب عرفت موجة كبيرة من رافد بشري متجدد لا يعرف السكون؛ موجة توافد الأتراك[4].

على أن الميزة التي تميزت بها هاته الحركية أنها زادت من الروابط متانة وعمقا،من خلال الحركة الدائبة والمستمرة المتمثلة في الهجرة والتنقل بين البلدين لمختلف الفئات الاجتماعية ،ولمختلف الأغراض كالتجارة

---

(1) يسرى عبد الرزاق الجوهرى:المرجع السابق،ص ص191-192.

(2) Valenci Lucette: Le Maghreb avant la prise D'Alger ,Paris1969, p34.

(3) Ibid, p34.

(4) Valenci Lucette:op.cit,p34.

وطلب العلم وزيارة الأهل،والأقارب والأولياء والمشايخ.وبالأخص فئة المثقفين من الطلبة والعلماء،ومن هم على شاكلتهم كالمرابطين[1].هذه الفئة ليست كغيرها من الفئات،لماذا؟

لأنها أثرّت وبشكل كبير وفاعل في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين[2].وأما عن النقطة الأخرى يحدثنا عنها الباحث المرحوم (أبو القاسم سعدالله):"... ثم إن حروب الطرق الصوفية،أهل الربط والثغور في بلاد المغارب ضد الإسبان والبرتغاليين على سواحل غربي المتوسط،ومن جهة أخرى ضد سلاطين بني مرين(المغرب)،وبني زيان(الجزائر)،وبني حفص(تونس/طرابلس).وقد أدت هذه الحروب والصراعات إلى نتيجتين هامتين،الأولى الكشف عن ضعف السلطة الزمنية وحتمية ولاية السلطة الروحية زمام الموقف للدفاع عن الإسلام وأهله وأوطانه.والثانية تنضيج الوضع لإحلال البديل العثماني محل السلطات المحلية في كل من الجزائر وتونس وطرابلس(والسلطة السعدية في المغرب).ومن الملاحظ أن النزاع الأوسع بين الدولة العثمانية والدولة الإسبانية قد ساهم أيضا في الوصول إلى هذه النتيجة..."[3].

ولتبيان مدى متانة الأواصر الاجتماعية والثقافية نطرح السؤال الآتي: كيف كانت نظرة هذه الفئة(الجزائرية[4]) لبلد المغرب الأقصى وحواضره العلمية؟

أورد صاحب كتاب(فتح الإله ومنّته)،ما نصّه:"...ورحلت إلى مدينة فاس،محل العلم والإيناس،والتقريب والتبعيد لأناس،وهي قبة الإسلام والسلم والاستلام،المقام الأعلى والمثابة الفضلى،فهي أم قرى المغرب الوافرة،وخزائن المزائر والشهرة الساحرة،والأنباء المسافرة،ذات الأرجاء الدانية...ينبع العلم

---

[1] عمار بن خروف:العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/1517-1659م،رسالة ماجستير في التاريخ(م)، إشرا:ليلى الصباغ،كلية الآداب،جامعة دمشق،دمشق1403هـ/1983م،ص337.

[2] عمار بن خروف:العلاقات بين الجزائر ...، مرجع سابق،ج1،ص337.

[3] أبو القاسم سعد الله:على خطى المسلمين حراك في التناقض،ع.م.ن.ت ،الجزائر2009،ص185.

[4] هنا نلمس مفارقة عكسية في حركية الهجرة؛هجرة جانبية،أو بالأحرى جزائرية،ولاربما طيلة العهد العثماني ،وفي نجد أن الجزائر قد قدمت للمغرب نخبة عالية المستوى من علمائها الكبار في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي،بينما لم يهاجر إليها في هذا القرن إلا عدد قليل من الطلبة والعلماء المغاربة،ولم يستوطنها منهم إلا قليلون،ينظر: عمار بن خروف:العلاقات بين الجزائر ...،مرجع سابق،ج1،ص341.

من صدور أهل العرفان،كنبع مائها من الجدران،حفظا وأذكارا..."[1]،هذه عينة من نظرة علماء ومثقفي ومفكري الجزائر للحواضر المغربية تاريخيا وحضاريا وحتى عمرانيا[2].

أيضا كانت علاقات علماء ومثقفي البلدين أخوية،تجمع بين التعلم والعلم،والطيبة والأدب الجم،وفي هذا الشأن يقول صاحب(فتح الإله):"...ولما لقيت علماءها،وعرفني فقهاؤها،وقالوا:يا أهلا!وأهلا!ومرحبا وسهلا!طلب مني أحد علمائها الكبار،الحاملين للذّمار،استعارة"درة الحواشي،على شرح الشيخ الخراشي "،فأبيت،ولا أدري بأي شيء ابتليت،ولما ألح بالمقالة،ولم يسعف بالإقالة،أعرته إياها،وقلت له:بل هي في حقك قليلة،وعين الرضى عن كل عيب كليلة..."[3].

يلحظ هنا الباحث (عمار بن خروف) أن العامل التاريخي ساهم في تعميق الروابط بين البلدين وترسيخها،ذلك أن البلدين كانا خلال فترات طويلة بلدا واحدا ،أو تحكمها دولة واحدة،سواء في العهد الإسلامي أو في عهد ما قبل التاريخ أيضا مدّ العامل التاريخي تلك الأشجان بين البلدين،ولو انفصلا أحدهما عن الآخر فيما بعد،وكان بين حكومتي البلدين تنافس[4].طبعا هذا لا يخرج عن ظاهرة العلاقات الاجتماعية التي عرفها كل من المشرق و المغرب العربيين خلال الفترات التاريخية العثمانية،والتي كانت على درجة كبيرة من الاتساق عبر مسارب مختلفة كان أهمها:طلب العلم والحج والتجارة والهجرة والنزوح والتوطن[5].

---

[1]محمد أبو رأس الجزائري:فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته،تح:محمد بن عبد الكريم الجزائري،م.و.ك،الجزائر1986،ص101.

[2] محمد أبو رأس الجزائري:المصدر السابق،ص102.

[3]المصدر نفسه،ص102.

[4]عمار بن خروف:العلاقات الاقتصادية...،مرجع سابق،ج2،ص98.

[5] الجميل سيّار:"طبيعة الحياة الاجتماعية في المشرق والمغرب العربيين خلال الفترات العثمانية"،ورقت علمية قدمت إلى ندوة:الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني،جمع وتقديم:عبد الجليل التميمي،م.د.ب.ع.م.ت.م،زغوان1988، ص686.

ب–تماثل الفكر الصوفي في البلدين ودوره في الصناعة العلائقية:

تنساب الصناعة العلائقية في البلدين وفق جدلية تماثل منابع الفكر الصوفي في البلدين.ووجود سمات مشتركة في ظهور وتنفذ الطرق الصوفية بهما. مبررنا في ذلك ما أقره الباحث المرحوم أبو القاسم سعد الله:"...علاقة التأثير والتأثر بين أجزاء المغرب العربي عبر العصور بما في ذلك الفترة المدروسة،سيما بخصوص ظهور ونفوذ الطرق الصوفية،إذ لا تكاد تظهر طريقة من الطرق الصوفية في جزء من الأجزاء إلا وتظهر لها فروع ونفوذ روحي أو سياسي في الأجزاء الأخرى من المغرب العربي.."[1].

وأما عن أبرز الطرق الصوفية[2] المتنفذّة في الجزائر قبل مجيء الأتراك العثمانيين كان تحت نفوذ الطريقتين الشاذلية والقادرية[3].وأما عن السّادة الصالحين والأولياء العارفين الذين انتشر صيتهم وامتدت بركاتهم وكثر مريدوهم ببلاد المغارب كلها،ما أقرّه صاحب الدوحة،قائلا:"...كيف ولهذه البلاد المزية التي لا تنكر على سائر بلاد المغرب بنشأة الغرتين العظيمتين المجمع على شرفهما وقطبا نيتهما أبي الحسن الشاذلي وأبي محمد عبد السلام بن مشيش..."[4]،ولا نغفل في هذا الشأن إجماع العامة بالمغارب في العصور الحديثة إذ التفوا حول المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله:على خطى المسلمين...،مرجع سابق،ص184.

[2] هنا يجب أن نبين البدايات الأولي للدور السياسي للطرق الصوفية،في المغرب نجد هذا الدور كان من صالح الطريقة الجازولية؛نسبة للشيخ محمد بن سليمان الجزولي توفي سنة870هـ.أما بالنسبة للجزائر فقد بدأت تظهر فيها الطرق الصوفية منذ القرن السادس عشر الميلادي،ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي،والربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.وأماعن النفوذ السياسي في الجزائر،فقد توزع بين الطرق التالية: القادرية،والرحمانية،والتيجانية،والدرقاوية،والشاذلية،حول هذا ينظر:الحسن الوزان:المصدر السابق،ج1،ص145،فيلالي مختار الطاهر:نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، د.ف.غ.ط.ن ،باتنة1976،ص34.
-Pierre Boyer: Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles), In:(R .l'O.M. M),Aix-Provence1966, n°1,p24.

[3] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر ...،مرجع سابق،ج1،ص462.

[4] محمد ابن عسكر الشفشاوني:المصدر السابق ،ص803.

[5] Octave Depont et Xavier Coppolani: Ies Confréries religieuses musulmanes,4,P,C,4,Alger 1897,P231.

ويمكن للباحث رسم خريطة لبعض الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد المغارب،وبالخصوص الجزائر والمغرب.ويأتي في مقدّمتها القادرية،نسبة لعبد القادر الجيلاني أو الكيلاني، أو الجيلي(471-561هـ/1078-1166م) وهو من كبار الزهاد والمتصوفين،ولد في جيلان(وراء طبرستان)،وتصدر للتدريس والإفتاء ببغداد منذ528هـ/1133م وبها توفي.له كتب عديدة نذكرمنها:"الغنية لطالب طريق الحق"،و"الفتح الرباني"،و"فتح الغيوب"،و"الفيوضات الربانية"[1].

والجدير بالذكر أن الطريقة القادرية انتشرت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،بحيث تعد أول طريقة من حيث عدد منتسبيها أو مريديها. والتي امتد انتشارها فيما بعد خاصة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بالجزائر رغم قدم ظهورها بها.

كما انتشرت في المناطق الداخلية مع كثرة مريديها،مثل الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي[2] بتوات،وأولاد سيدي الشيخ الذين تمركزوا بالجنوب الغربي.

كما كان لها ممثلون من المرابطين في كل من مدينة الجزائر،قسنطينة،بجاية..وحتى فاس[3].

لقد حضيت الطريقة القادرية في الجزائر بالتشجيع والدعم من قبل الحكام العثمانيين،ممّا أكسبها انتشارا وازدهارا لزواياها،فعمّت بذلك كامل التراب الجزائري[4].

---

[1] خير الدين الزركلي: الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط5،د. ع.م،بيروت1980،8ج، ج4،ص47.

[2] هو محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني،الشيخ العالم العامل العلامة النحرير،ذو الخوارق المتواترة،والحقائق المتوافرة.ولد بتلمسان حفظ القرءان،رحل إلى بجاية وتمهر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي ،وبعد بلوغ النهاية في العلم رحل إلى توات وهي يومئذ دار علم وإسلام ، وبه أذل الله اليهود وكسر شوكتهم من بلاد توات،توفي سنة909هـ،ينظر:أحمد بن القاضي:لقط الفرائد...،مصدر سابق،ص816.

[3] صباح بعارسية:حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث(غ.م)،إشرا:عمار بن خروف،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر2005-2006،ص93.

[4] Depont et Coppolani: Op.cit, p254.

وتليها من حيث الانتشار في البلدين الطريقة الشاذلية،وهي:"... نسبة لأبي الحسن الشاذلي سيدي (سيدي بلحسن) دفين حميثرة بصعيد مصر(656هـ/1258م)كان تلميذا لأحد أتباع سيدي بومدين،وأحد كبار أولياء المنطقة،مولاي عبدالسلام بن مشيش...كان تصوفه يميل للورع،كما توخى الزهد في كل شيء..وأتباع الشاذلية بالجزائر لاينكرون التمتع بنعم الحياة...وزاد الانتشار في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،خاصة برعاية البيت الجازولي،وسيطرت على تلمسان والريف وسوس..."[1].وكذلك الأمر بالنسبة للطريقة الصديقة؛نسبة لأبي بكر الصديق،وهي إن كانت غير معروفة بالجزائر على حد تعبير الباحثة (سعاد بعارسية)[2] ،فإنها تمركزت بالجنوب الغربي،ولها نفوذ سياسي وديني في كامل الصحراء الجزائرية حتى تافلالت بالمغرب الأقصى[3].

هنا لابد من طرح سؤال مهم، ما هي الجهات الأكثر تركّزا وتوزّعا للطرق الصوفية بالنسبة للجزائر؟

في هذا الشأن يقول المرحوم (أبو القاسم سعد الله):"...ومهما يكن الأمر فإن أدوار رجال التصوف تختلف من منطقة إلى أخرى،ولكنها في نفس الوقت متشابهة.فقد كان رجال التصوف أكثر تأثيرا في غرب البلاد من شرقها(الجزائر)،نظرا لظهور العديد من الطرق الصوفية أو فروعها في المغرب أولا ثم انتشارها إلى غرب الجزائر وبقائها على اتصال بأمهاتها وأخواتها في المغرب،حدث هذا مع الشاذلية والطيبية والعيسوية والدرقاوية..فكل هذه الطرق ولدت في المغرب ثم دخلت الجزائر في شكل فروع..."[4].

نرى أن هذا التوزّع و التركّز الصوفي قد أخذ حظّه المكاني في المغرب.فماذا عن الجزائر؟

---

[1] صباح بعارسية:المرجع السابق،ص ص93-95.

[2] المرجع نفسه،ص95.

[3]نفسه،ص95،لكن الباحث سعد الله يرى أنهم عاشوا على الأطراف بين الجزائر والمغرب،ينظر: أبو القاسم سعد الله:على خطى المسلمين...،مرجع سابق،ص192.

[4] أبو القاسم سعد الله:على خطى المسلمين...،مرجع سابق،ص200.

يستثنى من هذا التركّز المكاني الطرقي الصوفي في بلاد المغرب طريقة عرفت تركّز مكاني شرقي وتأثير جزائري يتمثل في الطريقة التيجانية[1] التي ظهرت في الجزائر ثم انتشرت منها إلى المغرب.وبقدر ما كان التأثير كبير بالنسبة للطرق الصوفية المغربية في الجزائر،كانت كذلك تأثير الطريقة التيجانية كبيرا جدا في المغرب،خاصة على المستوى الرسمي[2]،إذ كانت هناك علاقات متميزة بين السلطان المغربي سليمان العلوي (1792-1822م) والشيخ أحمد التيجاني،وكان من نتائج هذه العلاقة أن دفعت بالكثير من النخب المغربية والسياسيين في المخزن المغربي إلى اعتناق تعاليمها[3].وأما عن تأثيرها على المستوى الشعبي فلا تكاد تخلوا مدينة كبيرة في المغرب من وجود زاوية تيجانية على الأقل[4] .

كان كذلك للطريقة الدرقاوية[5] حضور كبير في رسم العلاقات بين البلدين،فهي عبرت عن مدى انغماس الطرق الصوفية بالمغرب في الحياة السياسية والاجتماعية،والذي بلغ ذروته مع الطريقة الدرقاوية،

---

[1]نسبة إلى مؤسسها أحمد التيجاني المولود بعين ماضي سة 1150هـ/1737م،من نسب شريف يعود إلى محمد الملقب بالنفس الزكية،أمه عائشة بنت أبي عبدالله محمد السنوسي التيجاني نسبة إلى قبيلة بني توجين، تقول المصادر أن الفتح وقع له سنة 1196هـ/1781-1782م وهو في قرية أبي سمغون،هاجر إلى المغرب اضطرار سنة1213هـ/1799م،حيث قضى فيها 17عاما ،متوفي يوم الخميس السابع عشر من شوال 1230هـ/19سبتمبر1815/بفاس،حول محطات حياته ودوره في التأسيس للطريقة،والانتشار والأتباع،والنظام الداخلي للطريقة،ينظر:بن يوسف تلمساني:الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني،الأمير عبد القادر،الإدارة الاستعمارية)،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)، إشرا:ناصر الدين سعيدوني،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1997-1998،ص ص63-71-78.

[2] لقد عدّد الباحث أبو القاسم سعدالله رحمه الله ،أسباب انخراط السلاطين في الطرق الصوفية،منها إرضاء لأصحابها،ودفعا لنقمتها،ربما إيمانا بتعاليمها،ينظر: أبو القاسم سعد الله:على خطى المسلمين...،مرجع سابق،ص229.

[3] Depont et Coppolani: Op.cit, p439.

[4] Ibid, p439.

[5]تعد هذه الطريقة من أهم الطرق الصوفية في الجزائر التي أشهرت السيف في وجه العثمانيين في أواخر عهدهم بالجزائر،مؤسسها الشيخ محمد العربي الدرقاوي،ولد بضواحي مراكش(1145هـ/1733م)من قبيلة بني زروال،سلك طريق التصوف على يد الشيخ علي بن عبدالرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الشاذلية بالمغرب،أسس محمد العربي زاويته في ببريج،وسرعان ما انتشرت في شمال المغرب وغرب الجزائر،ينظر: بن يوسف تلمساني:المرجع السابق،ص49.

منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[1]،لتنقل من المغرب معها اشتغال فرعها بالجزائر بالسياسة،ذلك لأن السياسة –بمفهومها الواسع –صارت في المغرب،منذ أوائل القرن الثامن عشر،الميدان الذي أصبح يعكس الرغبة العارمة في التغيير[2].

أيضا كان للطريقة الطيبية انتشار بكثرة في الجزائر لاسيما في الجهة الغربية والجنوبية من الجزائر،حيث تعد من الطرق الفرعية للطريقة الشاذلية[3].

وممّا سبق ذكره يتّضح لنا بأن الطرق الصوفية كان لها تأثير كبير في التغلغل والتنفذ ،والربط بين شعبي البلدين ربطا قويا،كالطريقة الشاذلية والقادرية[4].

ولعلّ أمر الارتباط الشعبي بالزوايا والطرق الصوفية لم يكن حكرا عليهم بل تشربه حتى الشيوخ العلماء،فهذا الشيخ أحمد بن يوسف الملياني[5] الذي كان ينتمي إلى الطريقة الزروقية (الشاذلية) التي امتد امتد حيّزها الجغرافي في بلاد المغارب من فاس إلى طرابلس.غير أن هاته الطريقة لاقت مضايقات واتهامات بنفس الحدة في البلدين،من طرف علماء ومتصوفة الجزائر أو من أشراف وعلماء المغرب[6].

---

[1]عبد المجيد الصغير:"حول الطرقية والعلاقات المغربية العثمانية إبان السيطرة العثمانية"،في مجلة دار النيابة،مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب،طنجة1985،السنة الثانية، ع5،ص11.

[2] عبد المجيد الصغير:المقال السابق،ص11.

[3]مؤسسها الشيخ عبدالله الشريف من قبيلة بني عروس من جبل علام بالمغرب الأقصى،أسس زاويته المشهورة بوزان،توفي 1089هـ/1679م،حولها ينظر: بن يوسف تلمساني:المرجع السابق،ص48.

[4]عن مسارات التأثير والانتشار والأتباع للطريقتين في البلدين،ينظر:محمد بن عسكر الشفشاوني:مصدر سابق،صفحات متفرقة،الأفراني:النزهة...،مصدر سابق،ص م.

[5]هو أحمد بن يوسف الراشدي(الملياني) الذي انتسبت إليه الطائفة اليوسفية،الرجل الصالح،وحاشاه أن يقول ما قيل عنه،ينظر: أحمد بن القاضي:لقط الفرائد...،مصدر سابق،ص842.

[6] Pierre Boyer: Op.cit, p20.

ممّا يجعلنا نلاحظ أن مسألة الالتفاف السلطوي في كلا البلدين حول الطرق الصوفية عرفت نفس الوتيرة؛من التحالف إلى التخالف،تجلّى هذا أكثر في الجزائر مع الأتراك العثمانيين.[1].

أيضا على مستوى الأدوار والاستراتيجيات، نجد أن الطرق الصوفية تتلاقى وجهاتها،فهذا كله حسب رأينا نابع من وحدة المنبع الصوفي والظرف الزماني والمقتضى التاريخي.

ونخلص في ختام هذا الفصل إلى جملة من الاستنتاجات:

– كان من نتائج العوامل الظرفية،أن كانت الصناعة العلائقية حاضرة في أذهان صانعي الحكم في البلدين طيلة العصر الحديث،من خلال جميع تجليّاتها كما مر معنا؛ فكرة ومعطى ومشروعا لدى الطرفين.لهذا جاءت منطلقة من رؤية وموقف كل من العثمانيين والسعديين والعلويين من بعدهم للعلاقات.هذا المنطلق عبر عنه بالأساس الديني العقدي مشروع الخلافة.

– يمكن أن نعتبر أحداث التاريخ الأوروبي ونتائجه كنقطة بداية لتوجيه العلاقات السياسية بين البلدين حيث نجد مع نهاية العصر الوسيط وبدايات العصر الحديث بالنسبة للمسلمين أنه تشكل نوع من المعرفة بالآخر بالنسبة للطرفين.وما فتح القسطنطينية إلا دليل على ذلك مراسلات التهاني بالفتح من لدن آخر سلطان مريني وما نتائجها على مستقبل العلاقات بين العثمانيين والمغاربة من علاقات إقليمية إلى علاقات محلية بين ساكنة البلدين، إلا إقرار بحتمية وتجليات الصراع الإسلامي–المسيحي على العلاقات بينهما.

– أمام عامل التأثير الأوروبي في العلاقات بين البلدي نجد أن الأتراك العثمانيين يلوحون بضرورة إبعاد هذا العامل فما كان منهم إلا استحضار الوشيجة الدينية بين النظامين في البلدين وتوجيهها التوجيه الصحيح،وذلك عن طريق الضغط العثماني على المغاربة في توجيههم إلى الثغور وتحريرها وهو ما لم تنتبه له الدراسات الأكاديمية لموضوع العلائق السياسية بين العثمانيين بالجزائر والسعديين والعلويين بالمغرب الأقصى!!.

---

[1] Pierre Boyer: Op.cit, p16.

– لقد كان لرافد الوحدة البشرية دور في الصناعة العلائقية في بلدان المغارب، وقد تجلّى في الأصول المشتركة سواء العنصر الأمازيغي أو العنصر العربي مع تسجيل عناصر مشتركة بين البلدين لكنها فرعية كالسودانيين والأندلسيين وغذّي هذا الرافد بفعل الهجرات وانتقال الأفراد والجماعات بين البلدين.

– علاقة التأثير والتأثر بين أجزاء بلاد المغارب في العصر الحديث، قد عرفت بصورة أجلى وأوضح في نسق منظومة الطرق الصوفية،كما يمكننا في هذا الصدد أن ننوّه،ونشد على الدور الإيجابي لهاته المنظومة،خاصة في رعاية وتوطيد الجانب الخفي من العلاقات السياسية؛المستوى الشعبي،الذي ظل لزمن غير بعيد يشكل تاريخا مهمشا ومغلقا،وانفراد المجال للمستوى الرسمي في الكتابات التاريخية.

–لقد ساهمت جملة من العوامل والمعطيات الرتيبة والظرفية،في التأثير والتأثر على مستوى العلائق بجميع مراتبها.وأدت دورا هاما في نسج ورسم خريطة العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى ،سواء منها العوامل الطبيعية أو التاريخية، كالتغلغل الأوروبي والطرق الصوفية؛القادرية مثلا)،والتي صقلت وقوت من شأن الاستمداد العلائقي،لترسم في النهاية ملمحا وصورة لكينونة العلاقات السياسية بين الجارتين؛الجيرة في المكان والزمان وفي الأخوة في الدين.

وأما عن مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن الثامن عشر الميلادي فسيكون– بإذن الله –محور الدراسة والتحليل في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان إسماعيل العلوي 1139-1194هـ/1672-1727م

أولا: تاريخانية العلاقات السياسية بين البلدين منذ مطلع القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

ثانيا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة

ثالثا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة المقارعة والمصارعة المتوثبة

رأينا في الفصل السابق،أن العلاقات السياسية قد تداخلت في قيامها،مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية.إن نشوء مثل هذه العلاقات قديم جدا،ذلك أن العلاقات السياسية تتماشى والتاريخ الدبلوماسي للدول.لذلك يعتبر المختصون أن هذه الأخيرة قديمة قدم الجماعات البشرية[1].

وعلى هذا الأساس نسجل أن العلاقات السياسية بين الدول جسدتها البشرية في تاريخها القديم في حين لا يجب ونحن بصدد الحديث عن بداياتها،إغفال حقيقة،وهي أن الممارسات الفعلية الحقيقية لضبط أمور التعامل مع الأجنبي غير المواطن لتلك المجموعات.قنّنت وظهرت كمصطلح لأول مرة تحت مسمى العلاقات الدولية مع أواخر القرن الثامن عشر[2].صحيح أن المعنى السياسي طبق في كامل فترات المجموعات البشرية،لكن كان السبق للمعنى القانوني على المعنى السياسي[3] .

وسأحاول في هذا الفصل تتبع تطورات العلاقات بين البلدين بدءا من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،حتى فترة المولى اسماعيل. وستكون دراستنا على ضوء مقاربة السياسية؛ ركزنا فيه على طبيعة العلاقات؛ العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة إلى العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة المقارعة والمصارعة المتوثبة.

ولتحصيل المقاربة السياسية للموضوع عرضنا جانبا من أطوار العلاقات الجزائرية المغربية قبل الفترة الإسماعيلية. فما مظاهر المقاربة السياسية في الموضوع؟ وما مضامين إسهامات المقاربة السياسية في طبيعة العلاقات بين البلدين؟

أولا:تاريخانية العلاقات السياسية بين البلدين منذ مطلع القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

---

[1] عمر عبد العزيز عمر وجمال محمود حجر:المرجع السابق،ص03.

[2] المرجع نفسه،ص03.

[3] نفسه،ص03.

1-مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وفلول الوطاسيين بالمغرب الأقصى

أ- الإرهاصات والتمظهرات:

لعل أول سؤال تبادر إلى ذهني،وتسلل إلى خاطري.أثناء محاولة القيام بعمل المقاربة السياسية لموضوعي هذا،ما الخط العام للعلاقات الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني؟

يقول أحد الباحثين في هذا الشأن:"...لم يكن للجزائر سياسة خارجية متزنة.وقد تأثرت علاقاتها الخارجية بصورة عامة بالتقلبات الداخلية،وتقلبات السياسية الأوروبية[1]،وبنشاط القرصنة.ولم تكن الجزائر تتقيد في علاقاتها الخارجية باتجاهات السياسة الخارجية العثمانية وإن تأثرت بها ولاسيما في عصر البكلربكوات في القرن السادس عشر..."[2].

إن الباحث يمكن له أن يدرج ملحوظات مهمة كنوع من المقاربة السياسية،بالنسبة للعلاقات بين الجزائر والمغرب في فترة القرنين العاشر والحادي عشر الهجري/السادس والسابع عشر الميلادي،منها:

-تميزها بالتشابك والتعقيد وذلك نتيجة عاملان:

-تعدد القوى السياسية في البلدين.فقد كان بالمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي أربع قوى رئيسية:الوطاسيون،السعديون،البرتغاليون،الأسبان.وكان في الجزائر في الفترة ذاتها عدد من القوى السياسية،منها:الزيانيون،والأتراك العثمانيون،والحفصيون،والأسبان[3].

-اختلاف أهداف تلك القوى السياسية التي كانت قائمة في البلدين،والتشابك أيضا يتمثل في تعدد العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب على أكثر من طرف.فهناك علاقات كانت قائمة على الخصوص

---

[1] ينظر:المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[2] محمد خير فارس:تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص108.

[3] عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص76.

بين:-الزيانيين والوطاسيين،وبين الزيانيين والسعديين،وبين حكام الجزائر العثمانيين والوطاسيين،وبين حكام الجزائر والسعديين[1].

-تميزها بالمصلحة والإقليمية خلال فترة القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي،فحينما شب الصراع بين النيابات العثمانية الثلاث حول قضية ضبط المجال السيادي لكل من هاته النيابات.نجد لتحقيق هذا لجوء كل من الجزائر وتونس في آواخر هذا القرن إقحام كل من نيابة طرابلس الغرب والمغرب في منازعاتهما[2]؛لتحقيق مصالح سياسية،واقتصادية،وحتى عسكرية،وحلحلة مشكل ضبط القبائل الحدودية اجتماعيا.

ولهذا الغرض تحالفت الجزائر مع طرابلس وتحالفت تونس مع المغرب[3].

إن تتبع تاريخانية العلاقات العثمانية المغربية[4]،حسبما اطلعنا عليه في مظانّ متعددة، يبتدئ مع محاولات ترجمّت في ردة فعل على المستوى الخارجي، فقد عمل كلا من حكام الحفصيين وخلفاء بني مرين بالمغرب الأقصى على إيجاد تحالف مع المعارضة في الداخل[5]،حتى لا تمتد سلطة الأتراك العثمانيين

---

[1] عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص76.

[2] محمد خير فارس:تاريخ الجزائر الحديث...،المرجع السابق،ص110.

[3] المرجع نفسه،ص110.

[4] يكفي هنا إلى أن نشير إلى أن العلاقات بين الجزائر والمغرب قبل تواجد الأتراك العثمانيين،تمثلت في العلاقات بين الزيانيين والوطاسيين،والتي تميزت بحسن الجوار وعدم التدخل في شؤون تلمسان،نظرا لما أحدثه الغزو البرتغالي للمغرب من ضعف،وتبرم سكان تلمسان والقبائل المجاورة لهم واستغاثتهم بملوك فاس ضد الزيانيين.

وكذا فرار بعض الحكام؛أبي حمو الثالث الزياني من هؤلاء للسلطان الوطاسي محمد البرتغالي وطلبه الإعانة منه ،ينظر:

- Henry de Castries: S.I.H.M ,B ,t1, p721؛ Digo de Haedo, Op,Cit,pp30-31-32-33-45-46 .

مجهول:المصدر السابق،ص33،عمار بن خروف:العلاقات السياسية،المرجع السابق،ج1،ص77،زهراء النظام:المرجع السابق،ص70.

[5] تتمثل المعرضة الداخلية في الإمارات المحلية كمشيخة الثعالبة بمدينة الجزائر،وإمارتي كوكو وبني عباس ببلاد القبائل،ومملكة بني زيان بتلمسان. للمزيد من الاستزادة ينظر:مجهول:غزوات عروج وخير الدين،تح:نور الدين عبدالقادر،م.ث،الجزائر1934.

إلى أراضيهما[1]،ممّا يجعلنا نتبين طبيعة العلاقات بين الأتراك العثمانيين بالجزائر والمرينيين بالمغرب الأقصى في ثوب من الحيطة والحذر والريبة في النوايا والإستراتيجيات،ليس فقط على مستوى المرينيين،بل طيلة عهود الدولة المغربية[2].

الأمر الذي يدعونا إلى القول،بأن العلاقات السياسية بين البلدين،شكّلت نوعا من التحديات الخارجية التي واجهت العثمانيين،إضافة إلى تحدي الإسبان،والزعماء المحليين،وسلطة الحفصيين بتونس[3]،ربما مثل هذه الملاحظات تصلح للمقاربة والموازنة،والتي غُيّبت تماما في المطارحات الأكاديمية!!.

ومن مسببات القول بأن العلاقات السياسية بين البلدين،شكّلت نوعا من التحديات الخارجية التي واجهت العثمانيين،يكمن أولا في:

– العامل الطبيعي:وهو يتمثل في أنه أخرج المغرب الأقصى نسبيا عن بقية أقطار شمال إفريقيا،محدثا في نفس الوقت احتفاظ القبائل بوحدة أقوى من غيرها من القبائل الموجودة في الأقاليم الأخرى.ومع إقليمية وقبلية،كنتاج لهذا العامل الطبيعي،ولجوء القوى السياسية فيه إلى العنصرية[4].

–العامل الاجتماعي:وهو يمثل في اعتزاز أبناء المغرب بوجود ذوي الحسب والنسب لديهم،وخاصة من ذوي السلالة الشريفة،هذا الاعتزاز أكسب المغاربة بناء اجتماعيا مغايرا لبقية الأقطار العربية الأخرى.

إن هذا البناء قد غيّر وأثر في تاريخ المغرب الأقصى وأعطاه شخصية خاصة به منذ فجر التاريخ الحديث[1].

---

[1]أسماء ابلالي:"ردود الفعل المحلية الجزائرية على قيام سلطة الأتراك العثمانيين في الجزائر(1517-1561م)"،في مجلة إسهامات للبحوث والدراسات،مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة غرداية،الجزائر2016، ع .ت،ص214.

[2]زهراء النظام:العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية –ثقافية خلال القرن 10هـ/16م،د.أ،الرباط2015.

[3]محمد دراج:الدخول العثماني ...،مرجع سابق،ص ص219-220.

[4]يحي جلال:المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث،د.م،مصر1965،ص42.

ومع إقرارنا بهاته المسببات الموجهة للعلاقات السياسية بين البلدين،فإنه كان للعامل الديني أيضا كلمته في توجيه العلاقات السياسية بين البلدين،وإلى التقليل من طابع التحديات بينهما.بل كانت الروابط الدينية أقوى من أن تتأثر في كثير من الأحيان بما يحصل بينهما.فقد كانت تلك الروابط الأقوى في التمكين للعلاقات بين البلدين[2].

أيضا هناك رابط حقيقي لعب دورا في استقرار العلاقات السياسية بين البلدين على الأقل من الناحية الدينية هذا الرابط هو وجود طائفة الطرقيين والمرابطين بالبلدين،وفعاليتهم في ضبط وتوجية تلك العلائق المسلك المشترك بينهما. خاصة إذا علمنا أن تلك الروابط الدينية في الجزائر طيلة العهد العثماني وإلى غاية العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي،كانت بيد المرابطين،فقد قيا أن أكثر من ثلثي الجزائر كانت تحت اشراف المرابطين المباشر[3].

كما شهدت العلاقات الجزائرية المغربية مظهرا جديدا وعهدا فريدا، في عهد الوطاسيين بالمغرب الأقصى[4]. فقد اعترف الوطاسيون بالسلطة الرمزية للخليفة العثماني على بلاد المغرب؛ حيث نقشوا اسمه على السكة،ودعوا له في خطبة الجمعة[5].وبهذا يمكن القول أن العلاقات العثمانية المغربية تحولت في الجزء الأكبر منها إلى علاقات جزائرية –مغربية[6].

تقدم لنا دراسة مغربية رأيا آخر؛ تناقش فيه رغبة سكان تلمسان والقبائل المجاورة لها !في تفلتهم ولو تحت طائلة ظرفية تاريخية قاهرة،من تبعيتهم لبني وطاس.والتفاتهم أيضا مجبرين بظرفية تاريخية أخرى؛أي

---

(1) يحي جلال:المرجع السابق ،ص42.

(2)عبد الكريم الفيلالي:التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،ط1،ش.ن.ط،القاهرة2006،12ج،ج4،ص220.

(3) Pierre Boyer: Op.cit, p16.

(4)نلاحظ هنا أن العلاقات بالباب العالي كانت تتم عبر رافدين؛فالاتصالات كانت من الجزائر وبخاصة المجاهد عروج،التي كانت تعني الاتصال باسطنبول،إلا أن هناك فترات من التاريخ سجلنا فيها الاتصال المباشر بالقسطنطينية،ينظر:عبدالهادي التازي:الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب،م.م.ج،الرباط2011،3ج،ج3،ص328.

(5)أبو القاسم الزياني:الترجمان المعرب عن ملوك دول المشرق والمغرب،مخ ،الخزانة العامة ،الرباط،د659،ص347.

(6) عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص81.

ترشيحهم للأتراك العثمانيين للدفاع عنهم،بدعوى أنهم مسلمين،ولأنهم خبروا الحرب مع المسيحيين وانتصروا عليهم في أكثر من موقع[1].وهذا في رأيي مبالغ فيه،إذ سببية الالتفات تعود أساسا إلى سياسة الوطاسيين وحرصهم على عدم التورط في التدخل خارج حدود المغرب،سواء لمساعدة الزيانيين أو الأتراك العثمانيين[2] بل وكان من وراء هذه السياسة استفادة الوطاسيين من هيبة الأتراك العثمانيين،في صراعهم مع القوى الخارجية من اسبان وبرتغاليين،ونزاعهم مع القوى الداخلية،ولاسيما مع السعديين في سبيل بقاء وجودهم بالمغرب[3].

ولعلّ هذا الفعل من لدن حكام بني وطاس صادف هوى ورغبة لدى حكام الأتراك العثمانيين،لأنه لم يعد بالإمكان –حسب منطقهم– أن يشذ هذا البلد المسلم ويند عن سلطة الخلافة الإسلامية[4].وأما في رأيي أن رغبة العثمانيين في الشد على هذا البلد،هو قدوم سفارة من لدن الملك الوطاسي محمد البرتغالي(910-932هـ/1504-1526م)،وأوفد لهذا الغرض الحسن الوزان سنة923هـ/1517م سفيرا له. ومن جملة ما تضمنته هذه السفارة،عرض الوضع المأساوي في الغرب الإسلامي،والدعوة إلى التعاون في مجال الجهاد[5].

عندئذ كانت نواجذ العداوة تبتدئ بينهما، وكانت أيادي الغزو تنوشهما. فلماذا كل هذا الإذعان من طرف الوطاسيين والتّشوف للمغرب من طرف الأتراك العثمانيين؟

---

(1) زهراء النظام:المرجع السابق،ص70.

(2) عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص91.

(3) المرجع نفسه،ص91.

(4) محمد حجي:التهديد العثماني ...،مقال سابق،ج3،ص142.

(5) الحسن الوزان:المصدر السابق،ج2،ص ص239-242.

تعود هاته الإشكالية للتغيّرات التي حملتها فترة الوطاسيين بالنسبة للمغرب، فقط انتهى عهد تطلعات المغرب الطموحة نحو الأندلس أو نحو المغرب الكبير، وانتقل المغرب إلى الدفاع في مواجهة خطرين أحدهما من الشرق(الأتراك العثمانيين)،والآخر من الشمال (الإسبان والبرتغاليون)[1].

وهناك نقطة تتعلّق بنفوذ و مجال حكم الوطاسيين؛ فقد كان النطاق المجالي لحكمهم حواضري فقط،بل ومع ذلك بشكل اسمي[2].وربما هو هذا ما فهمه جنود الترك الذين دخلوا فاس كمساعدين لأبي حسون الوطاسي، ولأجل ذلك كتبوا إلى حكامهم في الجزائر رسالة تؤكد رغبتهم في خلعه،حيث يقول صاحب"الدولة التاكمدارتية"، مانصه:"...ولما رأى الترك محاسن البلاد أعجبتهم وأخذوا غرتها كتبوا بذلك إلى الجزائر وأرادوا القيام على أبي حسون..."[3].

ويضيف صاحب (تاريخ الشرفاء) كتعليل على انحصار نفوذ الوطاسيين،تبرم نفوس سكان فاس للأتراك العثمانيين،وفرحهم بهم،ووضعهم البائس في حكم الوطاسيين،وذلك لما قدموا مع حاكمهم صالح رايس،وأبي حسون،إذ يقول:"...بعد أن انسحب الشريف إلى فاس الجديد،وتخلى ابنه عن قصبة فاس البالي،أقام الأتراك محلتهم أمام هذه المدينة التي دخل إليها أبو حسون وصالح رايس في أول الليل مصحوبين بعدد من العمال.فاستقبلوا بفرح عظيم من السكان الذين حملوا إليهم هدايا كثيرة.كان فاس الجديد في هذه الأثناء يسوده الذعر،بينما يعيش فاس البالي في حبور لدخول الأتراك إليه..."[4].

غير أن صاحب(عروسة المسائل) يرى أن مرجعية العلاقات بين الأتراك العثمانيين والوطاسيين،كانت من منطلق ديني جهادي،ذات طابع-حلف إسلامي-في وجه الكفار[5].واختياره لكلمة الكفار له مبررات عنده،منها إقدامهم على تنصير العرب،حيث يقول:

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب...، مرجع سابق،ص11.

[2] محمد الصغير الإفراني:المصدر السابق،ص10.

[3] مجهول:تاريخ الدولة السعدية...،مصدر سابق،ص24.

[4] دييكو دي طوريس:المصدر السابق،ص204.

[5] أبي عبدالله محمد الكراسي التطواني:عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الوسائل،مخ،(د.ق.ب)،ص18.

فكادت العرب بها تنصر وجاء للسلطان أمر يبصر

من لم يروع كافرا في داره روعه الكافر في قراره[1]

وأما اختياره لكلمة الجهاد جاء مقرونا بالوعد الإلهي لشهدائه،ومع تنبيهه للمسلمين يومها أنها ساعات وساعات؛إما النصر أو الهزيمة،ولكن نصرهم نصر ،وهزيمتهم نصر،حيث يقول:

وارتداع الأعداء بالقتال والحرب إنما يرى سجال

فمرة لنا ومرة لهم نحن نفوز بالجنان دونهم[2]

المنطلق الآخر يتعلق بوجوب الحيلولة دون سقوط دولة الأتراك العثمانيين بالجزائر،مع اعترافه بسلطة هؤلاء في إقليمهم المحدد لهم.وتقديم الدعم المعنوي لهم كما أشرنا سابقا؛الاعتراف بهم كحكام على الجزائر،ومن ثم تقديم الدعم المادي لهم،كل هذا يدخل ضمن التحالف الإسلامي ضد الكفار،وليس من منظوره هو أن هذا يوجب للقوتين التبعية والقيادة لأحدهما على الأخرى[3].

ونختم بقول الباحث (عمار بن خروف) في هذا الشأن،حيث يقول:"...يتضح أن العلاقات بين أتراك الجزائر العثمانيين،والوطاسيين،كانت سلمية،وودية،ولكنها لم ترق إلى مستوى التعاون الكبير الفعال ضد أعدائهم وخصومهم،بل يمكن القول:أن الوطاسيين ذهبوا ضحية السياسية المترددة التي اتبعتها الدولة العثمانية والجزائر تجاههم،وتجاه المغرب عموما،وهذه السياسية إن دلت على شيء فإنما تدل على عدم

---

(1) أبي عبدالله محمد الكراسي التطواني:المصدر السابق،ص18.

(2) المصدر نفسه،ص18.

(3) نقتطف في هذا الشأن بيتين من الشعر للكراسي:

شاهده ما كان في تلمسان إذ كانوا يعطوا مالهم بوهران

وانتصروا بهم على عروج وكشفوا العورة للعلوج

المصدر نفسه،ص18.

جديتها في التدخل في المغرب بكل ثقلها،وإن المغرب لم يكن المحور الأكثر أهمية ضمن اهتماماتها،وهو ما لمسه أواخر الوطاسيين،وجعلهم يميلون مجددا إلى الإسبان والبرتغال..."[1].

إذا مسألة أن العثمانيين كان همّهم الوحيد إخضاع المغرب؛مرت بمراحل،في البدايات كانت ترغب في ضم فصائل المغرب السياسية للتكتل في جبهة واحدة؛الجبهة الإسلامية،ضد جبهة الكفر.ثم رأت الدولة العثمانية أن هذا الأمر أصبح لايغني من الواقع شيئا،لذلك مالت سياستها نحو التراخي والقبول بالواقع.فما هي مسببات ذاك التحول؟.

يرى الباحث (عمار بن خروف)، أن دوافع ذلك التحول تكمن فيما يلي،إذ يقول:"...وقد يكون وراء تردد العثمانيين في سياستهم تجاه مغرب الوطاسيين،هو مشاغل الدولة العثمانية في شرقي أوروبا،ومشاغل الجزائر بأمر تلمسان وغيرها من الأمور الداخلية،وبروز السعديين قوة كبيرة تتمتع بثقة أهل المغرب بل والجزائر،ومن ثم كان من المحبذ أخذها بالسياسة واللين،لا بالقوة والعنف ولاسيما أنه بدا لها واضحا أن الحكام الوطاسيين الذين كانت ستعمل من أجل دعمهم،محكوم عليهم بالزوال لعجزهم عن معالجة قضايا المغرب الكبرى وأهمها الغزو الخارجي،والانقسام الداخلي..."[2].

وأعتقد أيضا أن سياسة العثمانيين في ذلك المسار العلائقي،كانت تخضع للزمان،وللظرفية التاريخية،سواء اقليميا؛الجزائر والمغرب،أو دوليا؛الحضور الأوروبي في المنطقة.وأيضا تحكم حسابات المصالح الاستراتيجة في ضبط العثمانيين للعلاقات مع قوى السياسية في المغرب.وطبعا هذه الاستراتيجيات يفهم منها أنها كانت مدروسة وفقة خطة عالية المستوى آنذاك.

---

[1] عمار بن خروف:العلاقات السياسية...، مرجع سابق،ج1،ص89.

[2] المرجع نفسه،ج1،ص89.

2- مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر والسعديين بالمغرب الأقصى:

أ- الإرهاصات والتمظهرات:

أما مع سلاطين السعديين، فتعود العلاقات إلى سنة917هـ/1517م، حيث ابتدأت فيها العلاقات بين حكام الجزائر، وسلاطين المغرب بشكل معروف وموثق ،وذلك بإقامة علاقات، والتي أنشأها عروج مع السلطان الوطاسي أبي عبد الله محمد،المعروف بالبرتغالي،وذلك عندما امتد حكم عروج إلى مدينة تلمسان في هذه السنة. كما آل فيها الحكم في جنوب المغرب الأقصى- في السنة نفسها - إلى السلطان السعدي أحمد الأعرج،الذي فتح أيضا باب العلاقات مع الأتراك العثمانيين[1].كما عرفت هذه الفترة أيضا إقامة علاقات بين قوى سياسية متشعبة في القطرين؛ كالعلاقات بين الزيانيين والوطاسيين، والعلاقات بين الزيانيين والسعديين[2].

إن القارئ الحصّيف لتاريخ الحكم العثماني، يمكنه أن يربط بين طبيعة نظرة الطرفين لبعضهما وفلسفة الأتراك العثمانيين. وكانت الفكرة السائدة في الحكم آنذاك، هي عدم الثقة؛ خوفا من الخيانة والطموحات الجموحة لبعض موظفي الإمبراطورية[3].فما بالك بنظرتهم نحو المغرب،كيف تكون؟!.

---

[1]عمار بن خروف:"العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517-1659)"،عرض وتقديم،في مجلة الدراسات التاريخية،مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،الجزائر1986، ع 1،ص141،إلا أننا نجد نفس الباحث ينفي عدم وجود علاقات بين الأتراك العثمانيين والأشراف السعديين في نفس السنة،ويوعز ذلك إلى عدم وجود نص يشير إلى صلات أو علاقات مباشرة بين عروج،ومحمد القائم بأمر الله،ومدللا على ذلك بضعفها،أو انعدامها،فلهذا لم تحظ ربما بالتسجيل.وتعود حسب نفس الباحث إلى العقد الرابع من القرن العاشر الهجري/العقد الخامس من القرن السادس عشر الميلادي،أي إلى خلفاء عروج ومحمد القائم بأمر الله،ويذكر لنا تواريخ تؤرخ للعلاقات بينهما،كسنة935هـ/1529م،948هـ/1541م.ينظر: عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،مرجع سابق،ج1،ص89.

[2]عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر ...،مقال سابق،ص142.

[3]هاميلتون جب وهارولد بوون:المجتمع الإسلامي والغرب ،دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد،تر وتح:أحمد إيبش،د.ك.و،الإمارات العربية المتحدة2012،2ج،ج1،ص 288.

إن نظرة الأتراك العثمانيين شهدت تطورا غير محمود،حينما أرسل السلطان سليمان القانوني سفيره إلى مراكش"أبي عبدالله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي"959هـ/1552،يدعوه فيها إلى المهادنة،وتحديد البلاد بينهما [1]،لكن محمد الشيخ ردّ عكس ذلك، وتعرض للسفير رافضا مقترحاته. ولعلّ هاته المعاملة حكمت على السعديين بالعداء للأتراك العثمانيين،مع بقاء خطر الأتراك العثمانيين قائما[2].

ولم يكتف محمد الشيخ بهذا بل التزم بالتصدي لهم ومنعهم من تجسيد حلمهم في المغرب،فكيف علم محمد الشيخ بأعمال الأتراك العثمانيين،وخطتهم في احتواء المغرب؟

---

[1] يذكر الإفراني أن هذه السفارة كانت لغرض المهادنة بينهما،وتحديد البلاد بينهما،يراجع: محمد الصغير الوفراني:المصدر السابق،ص42.،وهنا نشير إلى أن هاته السفارة ليست الأولى،بل سبقتها سفارة السلطان سليمان القانوني عن طريق مبعوثه القائد " صفا" حسب وثيقة اسبانية إلى السلطان محمد الشيخ،التي عقبت معركة درن التي جرت بين الوطاسيين والسعديين،وانهزام الوطاسيين فيها،وأسر سلطانهم أحمد الوطاسي وابنه،وكان ذلك في 952هـ/1545م،وكان مما جاء فيها: دعوة السلطان سليمان محمد الشيخ إطلاق سراح السلطان الوطاسي، أن يمتثل أوامره وإلا فأنه سيغتاظ من تصرفه،وتعويضه عن خسائره،يراجع في هذا:

- دييكو دي طوريس:المصدر السابق،ص128.

- Henry de Castries: S.I.H.M, Esp ,t1,n:(5),P206,n:(1),P248.

ولكن كان مآل هاته السفارة الدبلوماسية الفشل،في هذا شأن هاته السفارة ينظر:

-EL Mahdi Bouabdlli:" Le Cheikh Mohamed ben Ali El Kharoubi" , RA, V96 ,3et4trimestre (S.D), pp330-341 .

[2] هاميلتون جب وهارولد بوون:المرجع السابق،ص288،ولكن الوثائق العثمانية تفيد بأن السلطان سليمان عزل الباي لارباي حسن بن خير الدين،حينما أساء الجيرة مع السعديين،ورد هذا في الوثيقتين العثمانيتين المنشورتين في دراسة الباحث(خليل ساحلي أوغلو):"تقيد صالح باشا ولاية الجزائر سنة1552"،في:م.ت.م،تونس 1974، ع2 .وأما هايدو يعزو سبب العزل إلى تأليب "رستم باشا" الصدر الأعظم،السلطان سليمان،لأنه انزعج من تفوق حسن بن خير الدين في حكم الجزائر،ومن مكانته التي حظي بها عند السلطان،والتقاء مصلحة كل من "رستم باشا"والسفير الفرنسي في استانبول(Armon Cabriel)،حيث وشايا به لدى ديوان السلطان،بحجة الانفصال،وهذا مأكده نفس السفير في رسالة وجهها إلى ملكه في يناير 959هـ/1552م،ينظر:

-Digo de Haedo, Op,Cit,pp267-268.

وفي هذا تقول الباحثة زهراء النظام:"...وكان الحاكم السعدي قد اطلع،بواسطة الجالية التلمسانية المقيمة بفاس والمهاجرين،الذين كانوا يفدون على المغرب من الجزائر،على أحوال سكان تلمسان وعلى التجاوزات التي كانوا يتعرضون لها على يد الأتراك،فكان يتطلع إلى نجدتهم..."[1].

هذه الرغبة عبّر عنها الإفراني،بقوله:"...ولما تملك مدينة فاس،وحل بها،وألقى في دار ملكها عصا التسيار،طمحت به الهمة العالية إلى تلمسان، فانصرف إليها بجموع عديدة،فملكها ونفى عنها الأتراك،وانتشر حكمه في أعمالها ونواحيها إلى واد شلف..."[2].

ساعد أيضا محمد الشيخ على رصده أوضاع تلمسان ونواحيها،فئة الشاذلية،ولأن الأشراف السعديين كان انتمائهم الطرقي شاذلي،وهؤلاء كان لهم أتباع في مدينة تلمسان ونواحيها[3]،من هنا كانوا محط تقدير وثقة في نفوس القبائل والسكان بتلمسان[4]،ولعل هذا ما بث في أعيانهم فكرة الاستنجاد به،لذلك في 956هـ /فبراير1549م وفدوا إلى تلمسان،طالبين مساعدته ضد الأتراك[5].

ولا يجب أن يغفل القارئ الحصيف، بأن أساس فلسفة الحكم عند الأتراك العثمانيين،كانت تتّجه نحو مركزة وتوازن القوى[6]،فلاغرو إذا في تفسير طبيعة الصراع بينهما في هذه الفترة،الذي هو وليد العاملين السابقين.

كما نسجل في هذا الشأن حضور كثافة تركية عسكرية في كل موانئ المغرب،مع تسجيل وجود أربعة سفن عاملة في مياه المضيق،يضاف إلى ذلك وجود سفن في كل من بادس وتطوان والعرائش وسلا مع نهاية 968هـ/أكتوبر1561[7].ويذكر الزياني أن الأتراك العثمانيين لم يكتفوا بهذا،بل كانوا يساهمون

---

[1] زهراء النظام:المرجع السابق،ص165.

(2) محمد الصغير الإفراني:المصدر السابق،ص29.

[3] Pierre Boyer: Op.cit, p23.

[4] زهراء النظام:المرجع السابق،ص165.

[5] Digo de Haedo, Op,Cit,pp260-263.

[6] H.Terrasse:Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947,2Tome, T2.

[7] Henry de Castries: S.I.H.M,Ang,t1,P P160-162.

ويدعمون الحملات العسكرية للسعديين،وليس هذا فقط،بل كان يختار منهم حتى الحرس الشخصي لبعض السلاطين أنفسهم[1].حتى أننا نجد أن السلطان محمد الشيخ أحدث من جند الأتراك أمحال عسكرية خاصة به[2].

يورد لنا صاحب (تاريخ الدولة التاكمدراتية) نصا يقول فيه:"...واستقر بتار ودانت وطال نزوله عليها ومابقي معه من المحال إلا الانكشارية وأكثرهم الترك كانوا قعدوا عن الترك الذين رجعوا إلى الجزائر في حياة أبي حسون المريني،فلما مات ودخل مولاي محمد الشيخ فاسا وتملكها خدموا عنده انكشارية وهم أهل الركاب فاستحسن خدمتهم وملئوا(كذا) عينه وقلبه لأنهم كانوا جافين فكانوا يمشون بإزائه وأمامه وينزلون بقربه وكانوا نحوا أربعمائة،وكان السلطان يعنى بحقوقهم ويخاف من عقوقهم..."[3].

إن استعراض العلاقات الجزائرية المغربية خلال الفترة الحديثة، يفضي بنا إلى طرح تساؤل: لماذا استعصى المغرب عن الأتراك العثمانيين حينذاك ؟ . لعل الأمر يعود إلى مجموعة من الأسباب و العوامل، نوجزها في الآتي:

أولا:تمسك السعديين بأحقّيتهم في الخلافة من الأتراك العثمانيين،فقد وجدنا خطابا رسميا في مدوّنة الرحلة السفارية للتمكروتي، التي يؤكد فيها على شرعيتهم بالخلافة،حيث يقول:"...والعثمانيون في جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للإسلام وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدق القول عليهم قوله صلى الله عليه وسلم يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر،إن كانوا إنما

---

[1] أبو القاسم أحمد الزياني:الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب،بارسي 1886،2ج،ج1،ص69.

[2] بعد هزيمة محمد الشيخ أمام البرتغاليين في سوس **1533**،تبنه إلى إعادة تنظيم الجيش السعدي وتدعيمه بوحدات من المحاربين العرب،ومن جند الإنكشارية،وأيضا فرق من الفرسان التقليدية،مع إدخال أحدث الأسلحة:

- P.de Cenival: S.I.H.M ,Port ,t2,p483.

[3] مجهول:تاريخ الدولة السعدية...،مصدر سابق،ص**30**.

حملوا الإمارة وقلّدوا الأمر في الحقيقة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها هم موالي وسادة الشرفاء ملوك بلاد المغرب..."[1].

ونفس الخطاب، يؤكّده أحمد بن القاضي في معرض حديثه عن شخصية أحمد المنصور،حيث يقول:"...لما طنّت في آفاق العالم حصاته، وتعبت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته،فكادت قلوب الناس أن تتفطّر إليه شوقا وودا،أن يكونوا تحت رايته،ومن الذين دخلوا في سلك بيعته..."[2].

ولكنني حينما رجعت إلى مؤلف رسائل سعدية،وكأني به يوعز بأن التمسك بالشرعية، لم يصرح به من طرف السعديين،بل كانوا يلوحون بذلك،ولم يصرحوا به!!.

ويقول الباحث (عبد الله كنون):"...لأن السعديين كانوا يدلون على الأتراك بانتسابهم إلى العترة النبوية ويلوحون بذلك إلى استحقاقهم للخلافة العظمى دون خلفاء بني عثمان وهم إن لم يكونوا يصرحون بذلك فهم يكنون عنه كنايات مفهومة وأعظمها الضرب على وتر العلوية والوراثة الشريفة.."[3].

ولكننا نميل إلى أن السعديين صرحوا بأحقيتهم بالخلافة،سواء من طرف كتابهم كما مر معنا من دندنة كل من التمقروتي وأحمد بن القاضي في كتابيهما السابقين.وهذا حسب رأينا يفيد ما لوح به السعديون ضمنيا حسب كتابهم.ولكني أعتقد أن الجانب الرسمي[4]،والمتمثل في السلاطين أنفسهم صرحوا بها علنا.ولا أدل على ما قاله سلطانهم محمد الشيخ،ردا على مبعوث السلطان العثماني سليمان

---

[1] علي بن محمد التمجروتي:المصدر السابق،ص147.

[2] أحمد بن القاضي:المنتقى المقصور ...،مصدر سابق،ج2،ص846 .

[3] عبد الله كنون:رسائل سعدية،د.ط.م،تيطوان1954،ص10.

[4] كل الرسائل التي كانت تكتب في عهد السعديين،كانت لا تخرج عن النثر المسجوع الذي كان هو الأسلوب الكتابي المرموق في ذلك العصر،ينظر:عبدالله كنون:المصدر السابق،ص10.

القانوني[1]،قائلا له:"...فقال له مولاي محمد الشيخ:سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان المغرب لابد له أن ينازعك على عمل[2] مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله ويأتيك إلى مصر والسلام..."[3].

بل الأكثر من هذا وصفه إياهم بعبارات نابية تطفح بالاحتقار لشخصهم، ،وهو يخاطب شيخا أتاه إلى خيمته،وفي تلك الأثناء تشاجر انكشاريوه من الأتراك،فقال له:"..اخرج إلى هؤلاء الحواتة الكلاب..."[4].

يورد لنا الإفراني،نصا يوكد فيه هذا،حيث يقول:"...لما تغلب رحمه الله على بلاد المغرب ودانت له حواضره وباديه تاقت همته العلية إلى بلاد المشرق، فكان يقول لابد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها

---

[1] راسل السلطان سليمان القانوني ،السلطان محمد الشيخ،وهما رسالتان فقط موجودتان تؤرخ للعلاقات بين العثمانيين ومحمد الشيخ،محفوظتان في أرشيف طوبي قابي باستنبول،ضمن دفتر الأمور المهمة،في مكتبة قوغوشلر تحت رقم(888)،وتأريخهما يعود إلى:الأولى في:أوائل محرم959هـ/جانفي 1552م،والثانية كذلك في: أوائل محرم959هـ/جانفي 1552م،ينظر:خليل ساحلي أوغلو:من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني،بحوث ووثائق وقوانين،م.أ.ت.ف.ث،استنول2000،ص ص319-330.

[2] يعني بها محمل مصر حسب محقق الكتاب ؛أي كساء الكعبة المشرفة،ولعل هذا إشارة من محمد الشيخ إلى أحقيته بهذا العمل،بوصفه أولى منه بالخلافة.

[3] مجهول:تاريخ الدولة السعدية...،مصدر سابق،ص31.

[4] المصدر نفسه،ص32،لكننا حينما قرأنا مضمون الرسالتين الموجهتين من السلطان سليمان القانوني لمحمد الشيخ،وجدنا فيهما أسمى عبارات الاحترام والتقدير،وكامل المرؤة،وخالص الأدب،وتمتينا للإخوة الإسلامية،فمثلا جاء في إحداهما،مايلي:"..أصدرنا هذا المثال الشريف العالي إلى جنابه نخصه منا بسلام بتكميل صلاة(صلات)المحبة بالتحيات الطيبات وتتأكد بعطره صلات المودة بالتسليم الزاكيات."،ولإتمام المقصود ارتأيت نشر الرسالتين كاملتين،ينظر:خليل ساحلي أوغلو:من تاريخ الأقطار العربية...،مرجع سابق،ص ص325-327،وأيضا نفس العبارات ساقها هايدو،منها مثلا:"...ولابد لكم أن تحسنوا المجاورة وتذهبوا طريق حسن المعاشرة،ومع كونكم أولاد سيد الأنبياء،وأحفاد سيد الأصفياء،سمعنا عدلكم وإنصافكم،وبكمال التقوى وصفات الكمال اتصافكم،ولذلك الشأن كتبنا إليكم منشورا يوجب مضمونه المصافاة،ويشفي مكنونه أن تكون المودة في أقصى الغايات،ولكم أن تنبئوا بأخباركم،صحتكم الغالية،إلى أعتابنا العالية..."،ينظر:

-Digo de Haedo, Op,Cit,p271.

الأتراك من أحجارهم وأنازلهم من ديارهم..."[1].وبعد هذا الوعيد، ترى كيف واجه الأتراك العثمانيون سياسة محمد الشيخ الرامية ضم الجزائر[2]؟.

كان الحل الدبلوماسي خيار لجأ إليه العثمانيون بإسطنبول في البداية لمعالجة مشكل المغرب مع ولاية الجزائر،وهذا تفسيرا على عدم رغبة الإدارة العثمانية،خوض حرب ضد السعديين[3].

كما دأبوا أيضا على الاستعانة بالصوفية والعلماء فيما كان يلقونه من مشاكل في بلاد المغرب[4].

ثانيا:تحول التجارة الإفريقية نحو توات فالجزائر(المغرب الأوسط) وتونس،بعد أن كانت الموانئ الصحراوية المغربية هي المسوق والمصدر، على امتداد مسلك وادي درعة، وسوس، وتافيلالت[5].هذا التغير ترك حسرة ولوعة في نفوس السعديين ورغبتهم في إرجاع البريق الاقتصادي للواحات الصحراوية، التي كانت مقر سيطرتهم ومنطلق حكمهم ونظامهم السياسي[6].هذا الأمر جعل من السعديين أن ينظروا إلى التلمسانيين كمنافسين لهم تجاريا،ويعتبر استيلاء السعديين على واحة توات عام 933هـ/1526م،حدث ذو دلالات،منها أن السعديين حاولوا حلحلة التلمسانيين عن هاته الواحة،ذلك أنها كانت تلعب دورا محوريا في التجارة الصحراوية[7].

---

(1) محمد الصغير الإفراني:المصدر السابق،ص42.

(2) كان من بين الاعتبارات التي اعتمد عليها محمد الشيخ في ضمه الجزائر،منها:اهتمامه بوحدة بلاد الإسلام،واتخاذه للجزائر ركابا لما وراءها من ممالك،ينظر:زهراء النظام:المرجع السابق،ص189.

(3) زهراء النظام:المرجع السابق،ص191.

(4) المرجع نفسه،ص191 ،نقلا عن :أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر ...،مرجع سابق،ج1،ص ص 409-464-472،ولكن نفس الباحثة لم تحدد الجزء،وعند مراجعتنا لكتابه الآنف،تبين أنه الجزء الأول،مع اختلاف الطبعة التي عدت إليها.

(5) محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...، مرجع سابق ص32.

(6) H.Terrasse:Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947,2T.

(7) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق ص34،نقلا عن:

-Brignon :Histoire Du Maroc,(L.N),Casablanca1967,p206.

ثالثا: الوضع السياسي في الجزائر في أواخر القرن التاسع و مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي؛ فالجزائر العثمانية رغم جهودها لعثمنة المغرب،لكنها فشلت في تنفيذ هذا المشروع رغم العديد من الحملات ، إلا أنها قبلت بالأمر الواقع ، وأبقت المغرب مستقلا عنها، بعد أن كانت إخضاعه[1]،ولعلّ آخر محاولة شرعت في القيام بها لإخضاع المغرب ثم تراجعت عن إكمالها قد حصلت في سنة989هـ/1581م[2].

رابعا: اعتماد البرتغاليين لأسلوب المعاهدات السلمية مع السعديين،كمحاولة منهم إفشال التقارب العثماني–السعدي،ومن ثم منع أي نفوذ عثماني في المغرب،حيث تشير وثيقة برتغالية إلى توقيع معاهدة سلمية بين البرتغاليين والسعديين سنة944هـ/1537م مدتها ثلاث سنوات[3].

إن تتّبع العلاقات الجزائرية المغربية في عهد السعديين، يعتبر من الصعوبة بمكان الإلمام به في مثل هذا المبحث.ومن المفيد أن نتصفح العلاقات بين البلدين في عهد أعظم سلاطين السعديين، وهو المولى أحمد المنصور الذهبي(986-1012هـ/1578-1603م)، حيث تميزت العلاقات بين البلدين في عهده بالمراسلات وإيفاد الرسل[4]،فبعد أن تمت له البيعة بعث بسفيره "أحمد بن يحي الهوازلي"؛ مبلغا حكام الجزائر العثمانيين خبر انتصاره[5] في معركة وادي المخازن986هـ/1578م[6].ثم ما لبث أن أرغمه

---

[1] عمر بن خروف:"مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/16م"،في مجلة المؤرخ،مجلة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين،الجزائر2002، ع1،ص 176.

[2] عمار بن خروف:المقال السابق،ص176.

[3] Henry de Castries: S.I.H.M ,Port ,t3,p44.

[4] من مجمل الرسائل السعدية البالغ مجموعا اثنان وستون رسالة،نجد أن الحصة الأكبر منها كانت في عهد أحمد المنصور،حيث بلغت عدد الرسائل التي لم تصدر عنه أربع رسائل،وجدت ما ورد منها بيه وبين الأتراك العثمانيين تسعة عشرة رسالة،ينظر: عبدالله كنون:المصدر السابق،ص ص9-11.

[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي ....، مرجع سابق ،ص61.

[6] يرى أحد الباحثين أن من نتائج معركة واد المخازن عدول العثمانيين عن احتواء المغرب،حيث يقول:"...وبينما كان الأتراك يعدون حملة جديدة ضد المغرب فاجأهم نبأ الانتصار الصاعق الذي أحرزه المغاربة على البرتغاليين في معركة واد المخازن سنة =

العثمانيون على تعيين (إسماعيل بن عبدالملك) المقيم في الجزائر مع أمه التركية حاكما على فاس[1]،الأمر الذي لم يوافق عليه المولى المنصور، فراح يتجّهم الرد على السفير العثماني،وطلب منه المغادرة.فلماذا لم يجهز العثمانيون على المنصور؟تداخلت جملة من العوامل في عدم حصول حملات عسكرية عثمانية،كان قد خطط لها من طرفهم.شخصية المنصور الذهبي كانت سببا في عدم حصول حملة عسكرية ضده؛ملاينته وملاطفته للعثمانيين بالوسائل الدبلوماسية[2].

ويعتبر الخطر الأسباني المتزايد على الأتراك العثمانيين، الذين تضايق منهم السلطان المولى المنصور بمطالبتهم تسليم العرائش، سببا في التواصل السلمي بينهم. وفي الجهة المقابلة نجد أن المراسلات الموجّهة من قبل السلطان العثماني مراد، والتي أرسل من خلالها رسالتان، يقترح فيهما التحالف، وتقديم 300سفينة حربية، وقوات تشترك مع المغاربة في مهاجمة اسبانيا[3].وأكثر من هذا، نجد أنه قد عرض عليه السلطان العثماني ابنته للزواج لتوثيق هذا التحالف[4].والأكثر من هذا نجد أن سياسية العثمانيين تجاه السعديين،كانت تهدف إلى إقرار الوضع السياسي لحلفائهم؛عبد الملك المعتصم[5]،وفي رسالة موجهة

=1578م.فتخلوا عن مشروعهم .وأرسل حاكم الجزائر وفد تهنئة،وأرسل السلطان العثماني وفدا مماثلا..."،ينظر:محمد خير فارس:تاريخ الجزائر الحديث...،مرجع سابق،ص53.

(1) محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق ،ص61.

(2)لامسنا هذا في رسالته إلى السلطان العثماني "مراد خان "،حيث يقول في هذا المعنى :"...المقام الذي ارتاحت له لمورد بشائره النفوس أي ارتياح،واهتزت لها روابي مملكتنا لما عم السرور منها الربى والبطاح...وأقمنا للبسط بها في سائر أقطارنا الدانية والقاصية سوق مؤانسة وأفراح.."،يراجع :عبد الله كنون:المصدر السابق،ص 18،ولإيضاح مواقف المنصور في مسلكه السلمي تجاه العثمانيين ينظر:الملحق رقم:(6)،محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق، ص61.

(3) محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق، ص62.

(4)المرجع نفسه،ص62.

(5)أصدر السلطان العثماني (مراد خان الثالث) فرمانا إلى أمير أمراء الجزائر (رمضان باشا) أثناء ولايته الأولى(982-985هـ/1574-1577م)،يأمره بغزو فاس وتنصيب(عبد الملك) حاكما عليها،وتم ذلك في سنة 984هـ/1576م،حيث نجح في ذلك،ينظر:

- Elie de la primaudaie: Op.cit , p291 .

عزيز سامح التر:الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،تر:محمود علي عامر،د.ن.ع،بيروت1989،ص249.

من السلطان العثماني إليه،حيث جاء فيها:"...ينهي إلى جنابهم الكريم أنهم امتازوا بين الأقران والأشراف وسائر أمراء الأطراف والأكناف بالانتساب إلى جنابنا الشريف العالي السلطاني والاستناد إلى بابنا...وتحصل مرادكم من جهة مبايعتكم وانقيادكم..."[1]،وأيضا والمنصور[2]،ولو كان ذلك على حساب ضياع بعضا من ممتلكاتهم،كوهران على سبيل المثال،وهذا ماعبر عنه " عزيز سامح التر"،بقوله:"...ولم يكن بإمكان الأتراك توجيه ضربة قاسية للإسبان في وهران والمرسى الكبير لأنهم قرروا أولا تسليم عرش فاس لمؤيديهم..."[3].

هذه العوامل كلها جعلت من لهجة السلطان العثماني تتحسن تجاه المنصور[4]،وبعيدا عن نظرة المصادر المغربية لعلاقات المنصور للعثمانيين،وللعثمانيين له.فكيف صورت لنا المصادر المشرقية طبيعة و تمظهرات العلاقات بينهما؟.

يورد في هذا الشأن،صاحب كتاب(خلاصة الأثر)،حيث يقول:"...وكان موادعا لسلاطين آل عثمان،فيرسل إليهم بالهدايا في كل سنة،وكانوا هم يرسلون إليه المكاتيب،والخلع السنية،حتى أن السلطان مراد بن سليم خان كتب إليه في أثناء مكاتيبه:لك علي العهد أن لا أمدّ يدي إليك إلا للمصافحة،وإن خاطري لا ينوي لك إلا الخير والمسامحة.ورسله دائما تأتي إلى قسطنطينية من جانب البحر،ويمكثون زمانا طويلا،ويتعهدون الوزراء،ويكاتبون من له قرب إلى الدولة..."[5].

---

(1) لإدراك مظاهر تلك التبعية ينظر الملحق،رقم:(7).

(2) نجد المنصور غير واضح في سياسته الخارجية،فقد وصف في رسالة اسبانية، بالساخر والمستهزئ بالأسبان والأتراك،ومصانعة كل منهما،كل ذلك لحفظ مبدأ التوازن السياسي،،ينظر:

-Henry de Castries: S.I.H.M, Esp ,t2,p437.

(3) عزيز سامح التر:المرجع السابق،ص248.

(4) ترجّم سلوك السلطان العثماني في رجوعه عن قصد الحركة(الحملة العسكرية) للمغرب،لذلك أبرق أحمد المنصور برسالة إلى القائد البحرية العثمانية علج علي،حول مضمونها،ينظر:الملحق رقم:(8)،محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي...،مرجع سابق ،ص62.

(5) محمد المحبي :مقدمة من خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،دمشق1983،ص166.

بعد تبيان طبيعة العلاقات بين الجزائر والمغرب في فترة الأتراك العثمانيين،والأشراف السعديين،يجدر بنا طرح سؤال مهم لإجلاء اللبس في خيوط العلاقات السياسية بينهما،فما هو أهم مآل ومستخرج لتلك العلاقات على الواقع السياسي بالنسبة للمغرب؟.

لعلّ أهم أثر سياسي على المغرب،يكمن في توجيه السعديين وإلزامهم اختيار العاصمة السياسية لهم،ذلك بعد احتكاكهم بالأتراك العثمانيين،حيث يقول الباحث "إبراهيم حركات":"...واتخذ السعديون مراكش عاصمة لهم...ولم يكن قربها من سوس حيث منطقة أنصار الدولة الأولين هو السبب الوحيد في اتخاذها عاصمة،ولو أنه فعلا عامل رئيسي،فهناك أيضا آمال ملوك الدولة في مد فتوحاتهم جنوبا،حيث المنطقة الوحيدة التي تتوفر فيها كل عوامل الخضوع بسهولة..فعلى الرغم من أطماع السعديين في التوسع شرقا قد تجسمت في وقت مبكر نسبيا،ودولتهم لم يقر بعد قرارها في الداخل،فإنهم سرعان ما تخلوا عن مضايقة الأتراك بعد موت الغالب،وبذلك أقاموا دولة شاسعة الأطراف بعيدة عن نفوذ الدولة العثمانية..."[1].

ويبقى في نظري أن أهم أثر وملمح أحدثته،العلاقات السياسية بين البلدين،تمثل في مشكل الحدود[2].

حيث يعتبر في غاية الأهمية، ويجب التنويه إليه قبل الخوض في استعراض أطوار العلاقات بين البلدين، وهو تسجيل ملحوظة مهمة،تتعلق بإشكال خطير،ويتمثل في كيل الانتقادات الضاربة على وتر الوطنية والوطن؛ مكمنها الأساسي عند البعض قضية الحدود بين البلدين،بغض النظر عن مسبباتها[3].

---

[1] إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج2،ص328.

[2]كتبنا حول هذا الموضوع إشارات منهجية ،حول هذا،ينظر:الفصل الثالث.

[3]فيه بعض الكتاب من يعزو ظاهرة الحدود إلى العثمانيين،فهذا الكاتب عبد الله إبراهيم يذهب إلى أن كلمة الحدود بمعناها الراهن،كانت هدية الأتراك العثمانيين إلى الشمال الإفريقي.ينظر كتابه:صمود وسط إعصار:محاولة في تفسير تاريخ المغرب الكبير،ط2،الدار البيضاء 1976.في حين يتفق المؤرخين والباحثين ظاهرة الحدود بشكلها الحالي إلى الدور الاستعماري الحديث،ينظر:محمد رضوان:المرجع السابق،ص39.

إن مسألة الحدود بين البلدين،قد شابتها فيها ضبابية منذ نشأتها، فالمفهوم المخزني التقليدي[1] ،كان ينهي حدود المملكة المغربية عند نهاية البيعة والولاء للسلطان[2] هذا من جهة،ومن جهة أخرى الاستئناس بنظريات مختلفة لدى الطرفان؛كنظرية مبدأ التوارث الدولي الذي تستّن الجزائر به[3]،ونظرية أطروحة الحق التاريخي التي استنّت بها المغرب[4] لتسوية الظاهرة الحدودية بين البلدين. بقي لي أن أشير إلى أن هاته الظاهرة الحدودية بين البلدين شكّلت خط حدودي أول من نوعه،ليس فقط في تاريخ العلاقات بين المغرب والجزائر،وإنما أيضا في العالم العربي بصورة عامة وبإفريقيا كذلك[5].

طرح موضوع الحدود بين الجزائر والمغرب لأول مرة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،وشكل أهم الموضوعات الهامة في علاقة السعديين بالأتراك[6].ولكن في هذه المرة قصد به الحد السياسي،وليس الحد الجغرافي،الذي عرف عند الجغرافيين[7].

ونجد أن السلطان العثماني سليمان يصدر أمره كما مر معنا لصالح رايس،بأن يعمل على وضع حدود بين المغرب وولاية الجزائر،ولهذا كان في كل مرة يحاول فيها السعديون مهاجمة الحدود الجزائرية،إلا وصدر رد الفعل من طرف الأتراك العثمانيين معاقبتهم لتفكيرهم بمهاجمة الحدود الجزائرية[8].

---

[1] المخزن هو مايعبر عنه المؤرخ المغربي عبد الله العروي، بالدولة المعاصرة، بعد أن طالت معاشرته للوثائق كما يقول هو عن نفسه ،ينظر: عبد الله العروي:مفهوم التاريخ...،مرجع سابق،ص249.

[2] محمد رضوان:المرجع السابق،ص43.

[3] هذه النظرية نص عليها اتفاق فيّينا 1978م المتعلقة بالتوارث في مجال المعاهدات،والذي يقضي بأن تغيير أنظمة الدول وتعاقبها لا تمس في شيء بأنظمة الحدود ولا بالأنظمة المرتبطة بالمجالات الإقليمية الأخرى،ينظر:محمد رضوان:المرجع السابق،ص88.

[4] المرجع نفسه ،ص93.

[5] نفسه،ص40.

[6] زهراء النظام:المرجع السابق،ص188.

[7] المرجع نفسه،ص193.

[8] عزيز سامح التر:المرجع السابق،ص211.

ويبين لنا هايدو كيف تعامل البايلرباي صالح رايس(959-963هـ/1552-1556م) مع مشكل الحدود،حيث يذكر أن صالح رايس اجتمع مع نهاية يوليوز 960هـ/1553،بأبي حسون بجوار مدينة بادس،ولكن صالح رايس أقدم على احتجازه وأخذه رهينة إلى الجزائر،كي يفاوض نظيره السعدي على قضية الحدود،ولم يكتف بهذا بل أمر القائد موسى؛قائد الوطاسيين على حجرة بادس،بتبليغ الحاكم السعدي بأن يعتبر بعدم تجاوز جبال ملوية المقابلة لملوية،والفاصلة في نظر صالح رايس بين مملكتي تلمسان وفاس،وأن لا يتعرض رعاياه؛أي رعايا محمد الشيخ،بإلحاق الأضرار بإقليم تلمسان الخاضع للأتراك[1].

اختلف المؤرخون في نقطة بداية الحد السياسي بين البلدين،فبربروجر(Berbrugger) يرى أن وادي ملوية هو الحد الطبيعي والتاريخي بين الجزائر والمغرب[2]،ومن قبله اعتبر كل من الوزان ومرمول كربخال أن الفاصل الحدودي بين البلدين هما واد زا[3] و نهر ملوية[4].

أما ما ورد في كتاب الاستقصا يفيد بأن الحدود بينهما كانت أبعد من ذلك،وأن وادي ملوية كحد غلط واضح[5]،فيقول صاحبه،في رد للمولى محمد على رسول الأتراك العثمانيين:"...وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادي تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله..."[6].

فهل وجد في أدبيات أهل المغرب،تحديدا للمجال الترابي-الحدودي بين الجزائر والمغرب في الجنوب؟

---

(1) Digo de Haedo: Op.cit ,p275.

(2) A.Berbrugger:"Des Frontière de l'Algérie", in ,(RA), T24 ,A1860, pp401-417.

(3) عند الوزان ورد بإسم واد زاز،أما مارمول كاربخال ورد عنده بإسم نهر"زيز"،ينظر: الحسن الوزان:المصدر السابق،ج2،ص7،مارمول كاربخال:المصدر السابق،ج2،ص291.

(4) الحسن الوزان:المصدر السابق،ج2،ص7،مارمول كاربخال:المصدر السابق،ج2،ص291.

(5) زهراء النظام:المرجع السابق،ص193،نقلا عن:محمد بن حسن الحجوي:المناظر الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية،مخ،خ.ع.الرباط ح110،ص7،هـا رقم:(5).

(6) أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج7،ص27.

لعلنا لأول مرة نجد رحالة مغربي المشهور بالسراج،الملقب بابن مليح ،وتعود رحلته إلى أخر صفر1040هـ/07أكتوبر1630/م، حيث تعرض فيها للمجال الترابي المغربي في الجنوب.جاء فيها:"...وهكذا نرى هذه المحلة تقطع كل بلاد بلاد صحراء المغرب من درعة إلى فزان بدون أن يتعرض لها أحد ولا أن يشار إلى حكم أمير أو فرسان دولة أو خدام مملكة إلا ما كان من قواد المغرب وولاته حتى بلغ الركب المغربي حدود الفزان حيث فارق التراب المغربي واحتيج إلى المفاوضة مع مبعوثي أمير الفزان للمرور في إيالته..."[1].

ومن أسباب شخوص مشكل الحدود بين البلدين،ومن الأتراك العثمانيين بالخصوص،وذلك من أجل المراقبة المنظمة والمنتظمة لحركة القبائل وضبط مساراتها،وكان منها أيضا إفساد التحالف السعدي – الإسباني،وتضييع الفرصة على الطرفين للتدخل في الجزائر، وتوفير الحماية للقبائل الموالية للأتراك العثمانيين،كقبائل بني عامر ،الحليف التقليدي لهم[2].

ويلاحظ على طبيعة العلاقات الجزائرية–المغربية،في فترة الوطاسيين والسعديين،أنها لم ترقى إلى مستوى التعاون والتضامن الفعالين[3]،بل وفي جزء كبير منها تحولت إلى علاقة تحكمها الأهداف التوسعية للطرفين والرغبة في فرض سيطرتهم على البلدين[4].

وفيه من يرى أنه بقيام السعديين تحقق تحالف مغربي لتحرير مدينة وهران[5].هاته الطبيعة في العلاقات انعكست على البلدين،فيما يلي[6]:

---

[1]أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي:أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042هـ/1630-1633م)،تح:محمد الفاسي،و.د.م.ش.ث.ت.أ.فاس1388هـ/1968م،ص ص28-32.

[2] زهراء النظام:المرجع السابق،ص196.

[3] عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص92.

[4] زهراء النظام:المرجع السابق،ص460.

[5]محمد المنوني:"ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة"،في مجلة المجمع العلمي العربي،دمشق1976، ع4،ص837.

[6] عمار بن خروف:العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1،ص ص92-93.

– استمرار الإسبان والبرتغال في احتلال كثير من مواقع والمدن الساحلية،مما أدى إلى عرقلة توحيد البلدين،وتأخر جمع شتات القوى السياسية في البلدين،تحت حكم الأتراك العثمانيين والسعديين،الأمر الذي كان يفضي لو تحققت الوحدة بينهما،إلى إزالة الوجود الإيبيري من المنطقة كلها.

– عدم تمكن الدولة العثمانية من تحقيق مبتغاها في استيعاب المغرب الأقصى ضمن ممتلكاتها،وتأسيس لكتلة إسلامية تناهض المشروعات الاستعمارية– المسيحية في الشمال الإفريقي.

ثانيا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة

1–الدعاية الدبلوماسية:

إن التأريخ للعلاقات الجزائرية المغربية في عهد العلويين[1]، يعود إلى نجاح "محمد بن الشريف"(1050-1069هـ/1640-1658م) في وضع يده على درعة ومحور سجلماسة بعد القضاء على أنصار أبي حسون في درعة.هذا التحكم في المنطقتين،كانت له نتائج،من بينها أن محور سجلماسة يتصل بصحراء الجزائر[2]، حيث أن هذا الاتصال سيكون له أثر بعيد المدى في سير الأحداث جنوب المغرب وشرقه[3]؛ أي أن الأتراك العثمانيين والعلويين من هذا التاريخ بالذات جمعت بينهم علائق تتعدد طبائعها حسب ظرفيات كل منهما.

وفي هذا المبحث نبتدئ عرضنا لأطوار العلاقات بين الجزائر والمغرب في فترة الأشراف العلويين، بطرح تساؤل:كيف كانت تمظهرات العلاقات السياسية الجزائرية المغربية ، في مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة؟

---

[1] يرجع نسب الأشراف العلويين إلى جدهم الأعلى الحسن بن قاسم،الذي وفد الى المغرب سنة664هـ/1265م من ينبوع النخيل ببلد الحجاز في أوائل عهد الدولة المرينية،أين استقر بسجلماسة،ينظر: أحمد بن عبد العزيز العلوي:المصدر السابق،ص12.

[2] إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص20.

[3] المرجع نفسه،ج3،ص20.

أ–مستويات البعثات الدبلوماسية بينهما:

يتعرض (ابن زيدان) لموضوع العمل الدبلوماسي المغربي مسجلا ملحوظات هامة،أرى من الضرورة بمكان إيرادها،في هذا الشأن،حيث يقول:"... إن أمر تلك العلائق من دول الفرنج قد شرق وغرب،ولكن عقدنا هذا الفصل للعلائق والاتصالات بين ملوكنا العلويين وبين ملوك الإسلام،وهو أمر لم يكتب له من الذيوع والشيوع ما كتب للشق الآخر،لأن ذلك وجد قوما بنوا من أجله صروحا للدعاية والمنافسة بينهم...إن علائقنا الإسلامية كاد يقضى عليها بالموت والاضمحلال لو لا أن التاريخ سجل لنا رغم الحوادث وثائق يضن بها الزمان..."[1].

سجّل ابن زيدان أن العمل الدبلوماسي مع الأقطار الإسلامية قليل،مقارنة مع العالم الغربي.وهي محدودة،وتحتاج إلى الدرس والبحث فيها لما لها من منفعة للبلاد.وأما علاقاته بالأجانب ،فإنها تغلب عليها المجاملات و الرسميات[2].

ومما لاحظه المهتمون بتاريخ الدبلوماسي للعلويين،أنه كان في فترة البحث،من حيث سمعته الخارجية في انهيار متلاحق[3].ولعلّ من لطائف القدر أن يكون أول اتصال خارجي للدولة العلوية عند قيامها بأتراك الجزائر[4].

---

[1] عبد الرحمان بن زيدان:العز والصولة في معالم نظم الدولة،م.م،الرباط1381هـ/1961،2ج،ج1،ص278.

[2] عبد المجيد القدوري: المغرب وأوروبا...،مرجع سابق،ص321.

[3] عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،عهد العلويين،م.ف،المحمدية1988،9ج،ج9،ص09.

[4] عبدالهادي التازي:المرجع السابق،ج3،ص09،عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص134.

وذلك عندما أرسل باشا عثمان[1] بسفارة[2] إلى "مولاي محمد بن الشريف[3]"(1050-1069هـ/1640-1658م) بتاريخ منتصف رجب 1064هـ/ماي 16ط54م وكانت هذه السفارة مكونة من اثنين من علماء الجزائر هما "عبد الله بن عبد الغفار النفزي" والحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي" واثنين من رجال الديوان التركي[4]،وكانت من إملاء الكاتب المحجوب الحضري[5].

ركزّت الرسالة على الدور السلبي الذي مارسه المولى محمد،من تفرقة جموع القبائل المنضوية تحت لواء الأتراك العثمانيين،وإثارة أهل تلمسان،ومنع وصول الجبايات من؛ الخرج والخراج على الأتراك العثمانيين[6].

وكان قبل هذه السفارة،قد تطلّع المولى محمد بن الشريف إلى إقرار وحدة وطنية في الصحراء الشرقية سنة1061هـ/1650م،نحو أعالي غير،والشمال الشرقي[7]،ترجمه عبر رسائل وجّهها للأتراك العثمانيين، مذكّرا إيّاهم فضل العرب وأمجادهم، ومبيّنا موقفهم منهم؛ غلبتم بالحيلة والمكر على الغرب،أي أن الأتراك

---

(1) يسميه إبراهيم حركات ب"عصمان"،أما عند الضعيف يورده تحت اسم"عثمان"، لكن محققه أثبت أنه عصمان،ينظر: إبراهيم حركات:المرجع السابق،ص22، محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص19،لكن البحاثة المغربي الرحوم "عبدالهادي التازي"قال بأنه "أحمد باشا"،ينظر: عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب...،مرجع سابق،ج9،ص ص10-11.

(2)أرسل الباشا عثمان سفارة لسجلماسة مرتين في أقل من ثلاثة أشهر،ينظر: محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص19 ،هـا رقم:(153).

(3)عدّ من بين الشرفاء الثلاث لأبناء علي محمدا المدعو الشريف،الذي خلف اثني عشر ذكرا،وهؤلاء الثلاثة:محمد ،والشريف، وإسماعيل ملكوا،ومحرز،والحران،وهاشم،وعلي الكبير،وأحمد الكبير،وحمادي،وأحمد الصغير،وعلي الصغير،وسيدي بالجبيل،ينظر:أبو القاسم الزياني:تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب،تح:رشيد الزاوية،م.أ،الرباط2008،ص79.

(4) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص134.

(5) الزياني:الترجمان المعرب...،مصدر سابق،ص2.

(6) الزياني:البستان الظريف...،مصدر سابق1992،ص44.

(7) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص20.

العثمانيين ليس لهم شرعية في إيالات المغرب(الجزائر و طرابلس وتونس).أما عن مؤسسهم عروج فنعته بـ:"..قبح الله العلج عروج المؤسس لكم بتلمسان أجمل برج.."[1].

إن رسالة الأتراك العثمانيين،للمولى محمد،كانت تتفاوت في خطابها،مابين التهدئة،ومابين المناورة الكلامية،الموحية لأسلوب القوة[2].

يعتبر بعض المؤرخين أن لهاته السفارة دلالات كثيرة،منها أنها كانت تحمل أول خطاب من باشوية الجزائر إلى السلطة الجديدة في المغرب بعد قيامها[3].

ولكن حينما أمعنا النظر في الخطاب التاريخي المغربي،وجدنا فيه نوع من المبالغة،والتهويل من دلالات هاته الرسالة!.فهي عند بعضهم ما جاءت إلا خوفا من استخلاص المغرب الشرقي من حكم الترك وإرجاعه لحظيرة العرب[4].

ومع هذا التاريخ بالذات تبدأ الحلقة الأولى في صدام الحدود بين المغرب والجزائر باسم الأسرة العلوية أو في العهد العلوي[5]،هذا الصدام ساهم في تقسيم سكان وجدة ومنها شرقا حتى تلمسان،إلى قسمين:حزب قبل الدخول في مشمولات الإمبراطورية العثمانية، والاستناد لإدارة باشوية الجزائر،وحزب آخر مناوئ للتبعية العثمانية[6].

---

[1] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص ص24-29.

[2] حول تتبع أسلوب وطبيعة الرسالة،ينظر:الملحق رقم:(9).

[3] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص134.

[4] عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق،ج9،ص10.

[5] إبراهيم حسن شحاتة:أطوار العلاقات المغربية العمانية،قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)، الإسكندرية1981،ص385.

[6] إبراهيم حسن شحاتة:المرجع السابق،ص385.

وهذا ما أشار إليه الزياني،بقوله:"...وتوجّهوا به لوجدة كان أهلها مفترقين نصفهم قايمين بدعوة الأتراك وحاربهم إلى أن غلبهم..."[1].

هذا الصراع له خلفيات،ذكرها غير واحد من المؤرخين العارفين بهذا الشأن،يعبر أحدهم عن رأيه،فيتمثل بالقول أن الصراع هذا،ما هو إلا نزاع قديم متجدد،ولا يخرج الأمر في كونه استمرار؛أي طابع الصراع والنزاع،للعلاقات التي طبعت المغرب منذ البدايات مع العثمانيين[2].

وليتجدد في أيام العلويين،فقد سلكوا هذا المسلك خاصة في عهد الرشيد[3](1075-1082هـ/1664-1672م).

يقول عنه(الريفي)،أنه كان عاقد العزم على غزو غرب الأوسط[4].ورغم كل ذلك لم يقدم المغرب الشرقي أدوارا سياسية كما توخاها العلويين،بحيث أنه لم يلعب سوى أدوارا مؤقتة،مما كان له أثر في درجة احتلال هؤلاء مؤشر الصدارة بالمغرب[5].

وفي أيامه وجهت له بعثة من أتراك الجزائر،تطلب منه ألا يسمح لجيوشه بالتوغل في ممتلكات نفوذهم،ومع عدم تدخلهم هم أيضا عن كل محاولة للتوسع[6].

---

(1) الزياني:الترجمان...،مصدر سابق،ص3.

(2) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص134،نقلا عن:العماري:"خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية"،في مجلة كلية الآداب ،فاس1990، ع.خ،ص154،هـا رقم:(3).

(3) يعتبر من المؤسسين الحقيقين للدولة العلوية،ومما قيل في حقه:"...هذا السلطان من أجل من أنجب الإسلام السلاطين والملوك كم عمر،مع قصر مدته ما كان غيره دمر...،وعلى عهده راجت بضائع العلم وعمرت أسواقه بعد الكساد... قال أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في رسالته لأبي النصر:ففضح من قبله وأتعب من بعده،ولو طالت مدته لجاءته علماء بني بلده..."،ينظر:عبد الرحمان بن زيدان:الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة،م.ق،الرباط1356هـ/1937م،ص ص11-12.

(4) عبد الكريم بن موسى:المصدر السابق،ص67.

(5) محمد القبلي:المرجع السابق،ص404.

(6) عبدالهادي التازي:الوسيط في التاريخ ...،مرجع سابق،3ج،ص136.

ولعل هذا ما يفهم من كلام "الناصري" ،حيث يقول:"...ولما قضى إربه ورتب جنده بعث رسله إلى الآفاق بالأعذار ،والإنذار والوعود ،والوعيد لأهل الطاعة والعصيان،ثم سار على أثرهم قاصدا فتح المغرب الذي كان قد تعذر من قبله،فنزل على واد ملوية وأقام بها أياما..."[1].

وعلى ما يبدوا أن هذا الصراع تجدد،وذلك كرغبة في إقرار حدودهم، لأنهم لم يتوصلوا إلى إقرار واد التافنة كحد بينهما على عهد السعديين،وهذا هو سبب تجديد الأتراك العثمانيين محاولتهم الرامية إلى رسم حدودهم مع العلويين[2].

لكن إذا سلمنا بهذا الرأي،نرى من الضروري طرح سؤال،هل كان الأتراك العثمانيون يهدفون إلى تحديد حدودهم الشرقية فقط،أم هناك دواعي أخرى؟

يفتتح الباحث(عبد الرحمان المودن)،دراسته حول (الشريف والباديشاه)،بإثارة تساؤلات،حيث يقول:"...هل كان هناك أي مشروع في المركز العثماني لغزو المغرب؟،إذا كان هذا المشروع موجودا،فإما اختفى من الأرشيف التركي،أولم يتم فتحه للبحث بعد.إشارات كثيرة،ولكن تظهر أن المحاولات كانت عديدة محليا في الجزائر،ومركزيا قررت ووجهت من اسطنبول هذه الجهود المبذولة،القصد كان منها تأسيس مقاطعة عثمانية في الجزائر والمغرب،أو هل كانوا يقصدون تأسيس قوة مستقلة؟هذا المشكل نستطيع إرساله فقط بعد مراجعة مختصرة لأكبر المحاولات العثمانية في المغرب..."[3].

إن المشروع العثماني في رأينا كان مشروعا متكاملا وواضحا سواء بالنسبة للأتراك العثمانيين بالجزائر،أو السلطة العثمانية في اسطنبول.انتهى هذا المشروع باعتراف من الطرفين،بأنها قوتين مستقلتين[4].

---

(1) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص32.

(2) Valenci Lucette: Op.cit ,p85.

(3) Abderrahmane Moudden: "The Sharif and the Padishah". Some Remarke on Moroccan Ottoman Relations in the 16th century,in(H.T),F. XXVIII, Fasc. unique, 1990,pp 7-14.

(4) Abderrahmane Moudden: Op,Cit,pp7-14.

وهذا ما ذكره ،الأفراني:"...ونحن اليوم قد انسدت أبواب الأندلس(علينا) باستيلاء العدو الكافر عليه جملة وانقضت عنا حروب تلمسان ونواحيها من الجزائر باستيلاء الترك عليها..."[1].

لماذا ركز السعديون ومن بعدهم العلويون على ضبط الجهات الشرقية للمغرب،والجهات الغربية للجزائر(تلمسان)؟

كان أهالي وساكنة تلمسان مازالوا يتفيؤون تحت الحكم الزياني المهتريء،وورثوا منه فيما بعد عدم الانصياع تحت الحكم الإسباني،وحكم الأتراك العثمانيين.لذلك عندما قام في جنوب المغرب السعديون،استدعوهم لحمايتهم من هؤلاء،بحكم ما يربطهم بالسعديين من ثقافة تقليدية وتشابه المذهب الديني بفاس[2].

سبب آخر ذكره الباحث المرحوم(أحمد توفيق المدني)،وهو عنصر أراه أغفل تماما من واقع الدراسات التي تتناول أسباب ضعف الزيانيين؛وهو رغبة الحكام الزيانيين التشبث ولو بريشة في الفضاء،من أجل بقاء حكمهم الصوري في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،وذلك ولو كان على حساب العقيدة والدين!!.

يقول نفس الباحث:"...العامل الأول هو حب البقاء،وهو عامل أساسي وجوهري، لم يكن وليد رغبة أصحاب العرش أو الطامعين فيه أو المتقاتلين عليه فحسب،بل كان أيضا وإلى حد بعيد،رغبة الشعب التلمساني،وما إليه من أطراف هذه المملكة المتقلصة فكان من الواضح الجلي،أن الشعب هنالك يريد بقاء الدولة الزيانية،وكان يرى وجوب المحافظة على تلمسان العظيمة التالدة،عاصمة الدولة،وسط كل الأعاصير،بل رغم كل الأعاصير..."[3].

---

[1] الإفراني:نزهة...،مصدر سابق،ص164.

[2] وليم سبنسر:الجزائر في عهد رياس البحر،تر:عبدالقادر زبادية،د.ق.ن،الجزائر2006،ص165.

[3] أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792،ش.و.ن.ت،الجزائر1968،ص ص245-246.

ويذكر أحد الباحثين أن العلاقات بينهما كانت تمتاز بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى للإيالة،وبشكل أقل فيما بعد،وقد تمحورت مسألة الخلافات حول مراقبة تلمسان والمنطقة المجاورة لها[1].

وعلى إثر هذا أنهى الأتراك العثمانيون هاته الحماية نهائيا في سنة 964هـ/جوان1557م،ومنذ ذلك الوقت امتزج كل غرب الجزائر باستثناء وهران[2].

الرسالة التي بعث بها الأتراك العثمانيون تندرج في نظر جمع كبير من الباحثين،في خانة واحدة،وهو فشل أتراك الجزائر في المواجهة العسكرية مع العلويين وانتقالهم من الأسلوب العسكري إلى الأسلوب السياسي[3]، أو وعي الأتراك العثمانيين بأهمية العمل الدبلوماسي،للنجاح في وقف الشريف العلوي من التوسع فيما وراء تلمسان[4].

ولكننا نجد حتى العلويين أنفسهم خشوا من المواجهة العسكرية مع الأتراك العثمانيين،ولهذا نراهم يتجهون أيضا في نفس طريق الأتراك العثمانيين يقبلون بالخيار الدبلوماسي السياسي،ومن وراء هذا بحث الأتراك العثمانيون على إبقاء الوضع على ما كان عليه فيما يتعلق بحدود إيالتهم مع المغرب[5].

وفيهم من يرى أنه لم يدخل أبدا في مواجهة مع الأتراك،جل ما قام به هو،أنه قام بسلسلة من الحركات ببلاد بني يزناسن-عمال الأتراك-وتبنى استيراتيجية التخريب ومناوئة السكان لا الأتراك[6].وفيهم من يرى أنه حاول احتلال الجزائر بصفة مؤقتة[7].

---

(1) وليم سبنسر:المرجع السابق،ص165.

(2)المرجع نفسه،ص165.

(3) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص135،نقلا عن: نقلا عن:العماري:"خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية"،في مجلة كلية الآداب ،فاس1990، ع.خ،ص170،هـا رقم:(7).

(4)المرجع نفسه،ص135،نقلا عن:بوزياني:المغرب وباشوية الجزائر...،د.د.ع.فاس،ص117،هـا رقم:(8).

(5) محمد القبلي:المرجع السابق،ص401.

(6) المرجع نفسه،ص ص 400-401.

(7)أحمد توفيق المدني:حرب...،مرجع سابق،ص425.

وكان من وراء ذلك يصبو،أي "المولى محمد" إلى تزعم جبهة مناوئة على جميع الأصعدة،ومنها العمل الدبلوماسي،لغرض مناهضة الحضور التركي بالمنطقة[1].فما هي أهم خطوط العمل المناوئ من طرفه للأتراك العثمانيين؟

نتتبع هذا الخط من خلال رسالته التي وجهها إلى "الباشا عثمان"،بدأها بذكر فضائل العرب على العجم، وهو هنا يدندن حول خط مناوئة سياسي- ديني-،ألا وهو أحقية الخلافة[2].وتفنيده خبر هجومه العرب،غير صحيح،ذلك أنهم انحازوا طواعية جراء تجاوزات الديوان،هنا ينتقل بنا إلى قضية سياسية خطيرة في نظري،قضية الحقوق التاريخية للمغرب في نظره في الصحراء الجنوبية.

وينتقل بعدها إلى قضية البيعة لهم من ناحية المغرب الشرقي وجنوب الصحراء،وهذا كتدعيم لقضية الحقوق التاريخية للمغرب ،فيقول:"...والأعراب كما قدمنا كالجراد لا تفيدها ناحية ولا بلاد، ومع هذا فخدام جدنا مولانا علي ومولانا الشريف،لكن لا يردونها،إلا من خريف إلى خريف..."[3].

وبالمقابل ينزع منهم حق شرعية السلطوية على أهالي تلمسان،وهمزهم بالطغاة،فيقول:"...وآل تلمسان ما أثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين،مع مكابدتهم جمر الصبر على ممر السنين..."[4].

وأرى أن فحوى الرسالة دعائي؛ذو هدف سياسي وعسكري،السياسي لفت أنظار الساكنة من أهل القطرين إلى دولتهم،وعسكري،وهذا هو المهم في هذه الرسالة.حيث يساوي بين الأتراك العثمانيين والروم،يقصد البرتغال والإسبان،في احتلال المغارب،وهو من خلاله يظهر للساكنة أيضا حمايتهم من هذا

---

(1) محمد القبلي:المرجع السابق،ص400.

(2) ربط(محمد الشريف)أمر الخلافة على المسلمين بالشرعية،والابتعاد عن هذه الأرومة يصبح مانعا من موانع تولي أمور المسلمين العليا.وقد ورد هذا التصور السياسي لتدبير شؤون المسلمين،لدى المولى محمد بن الشريف في إشارته إلى أن الأتراك علوج،ينظر: محمد الدناي:"البيان وحكمة التدبير السياسي في أدب المولى محمد الأول"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1989،ص ص200-201،نقلا عن: العماري:"خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية"،في مجلة كلية الآداب ،فاس1990، ع.خ،ص171.

(3) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص25.

(4) المصدر نفسه،ص25.

الاحتلال وهذا ما عبّر عنه بقوله:"...وقلع أوتادكم مع الروم بعون الله من الغرب على يد إيالتنا دون طعن ولا ضرب يطير لله عمالكم يعدوا له أعمالكم على البلدان كالجراد المطرود ريحا من الفدان..."[1].

وتكشف الرسالة عن نظرته للسياسة المنصور الذهبي،تجاه الأتراك العثمانيين،حيث عاب عليه سياسية غض النظر عنهم،وانشغاله بأمور فتح السودان،فالأهم في تلك الفترة بالنسبة إليه تصفية بلاد العرب من العناصر التركية[2]!!

أي أن المنصور أخطأ خطأ استراتيجيا في منحاه الدبلوماسي،الذي كان سينجح لو أرفقه بالعمل العسكري!!،وهذا لم يشفع له،رغم أنه نجح في اعتراف الجميع في استقرار سلطنة السعديين استقرارا متينا[3].

وهو في كل هذا،نجده يتمسك بالحوار،خدمة منه لإنجاح العمل السياسي،وهذا تجلى أكثر في مكاتباته مع أتراك الجزائر[4].

فكيف ردت السياسة الخارجية الجزائرية على هذا الخط الدعائي؟

للإجابة على طبعا ،هي مقرونة بمعرفة طبيعة السياسة الخارجية الجزائرية،كانت السياسة الخارجية للجزائر مرنة وتصويرية وذكية سريعة،بل وكانت تسير بطريقة عجيبة،ومدعمة بالثقة النفسية والاعتقاد الجزائري باستحالة اختراق تراب البلاد[5].

---

(1) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص25.

(2) عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق،ج9،ص11.

(3) أحمد توفيق المدني:حرب...،مرجع سابق،ص411.

(4) محمد الدناي:المقال السابق،ص202.

(5) وليم سبنسر:المرجع السابق،ص162.

معرفتنا لخط السياسة الخارجية على مدار ثلاث قرون،يفضي بنا إلى تتبع جزئية علها تفيدنا في موضوع ملمح المقاربة السياسة في موضوعنا هذا.فقد اندرجت علاقات الجزائر الخارجية –السياسية– ضمن محاور ثلاث[1]:

– تلك التي كانت مع دول المغرب المجاورة.

– والعلاقات الجزائرية الأوروبية.

– والعلاقات مع الدولة العثمانية.

وفي رأينا أن ووجه المقاربة السياسية في موضوع العلاقات الجزائرية– المغربي، في نظر حكام العثمانيين في الجزائر،سواء على المستوى الأول والثاني،لا يكاد يخرج عن تفادي تشكيل أي تجمع أو تحالف قوي بدرجة تؤدي إلى القضاء على الإيالة أو تهديد أمنها الداخلي[2].

ومن جانب أخر نجد أن تدخلات الجزائريين في الشؤون المغربية وصلت أوجها في القرن الحادي عشر الهجري/النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي مع حصول العلويين الشرفاء على التاج[3].

وإذ نحن في زوايا المقاربة السياسية للموضوع،أود أن أبين أن مافهمه إخواننا المغاربة،من أن طابع الصدام كان من بنيات فكر أتراك الجزائر،لنوازع انفصالية،أو حتى توسعية على حسابهم،هذا غير صحيح تماما،لأن طابع الصدام حقيقة وجد،لكن من أوجده،ومن مسببه الأول والمؤثر في الصدامية بين صناع القرار في البلدين؟

أترك هنا الإجابة على لسان أحد مؤرخي المغرب النابهين،حيث يقول:"...إن علاقتنا بالعثمانيين كانت تصطدم بعدة عراقيل،العرقلة الأولى أن العثمانيين كانوا يرتبطون مع فرنسا بمعاهدة ثنائية:الاتفاقية التي ابرمت بين سليمان القانوني وبين فرانسوا الأول،هذه الاتفاقية كانت تجعل من فرنسا والعثمانيين

---

[1] وليم سبنسر:المرجع السابق،ص162.

[2] المرجع نفسه،ص162.

[3] نفسه،ص166.

حلفاء ملتزمين بمحاربة اسبانيا،في حين نحن المغاربة كنا لا نرى وجها لمحاربة اسبانيا من دون ما موجب..."[1]!!

لكنه يعيد طرح سؤال ينم عن عقدة تجاه محرك الآلة السياسية في الجزائر وقتها،ألم يئن لنا الأوان دراسة أتراك الجزائر دراسة نفسية وتاريخية واجتماعية[2]؟

أرى أن السبب أضمره صاحب السؤال،لدواعي نفسية وتاريخية واجتماعية أيضا،هذا من جهة،ومن جهة أخرى علينا أن نرى أن هذا التاريخ الذي جمعنا في مرحلة من المراحل،هو صفحة قاسية من تاريخنا المشترك[3].

وأما في عهد المولى إسماعيل العلوي(1082-1139هـ/1672-1727م)،سجل أحد الباحثين رأيه في مسألة التواجد العثماني بالجزائر،ونظرة كل من السعديين والعلويين لهم،وهذا التواجد هو الذي مايز بين المشروعين،وتباينت من خلال طبيعة العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهدهم،حيث نلمس من خلاله وجها للمقاربة السياسية في موضوعنا.

ومما جاء عند الباحث (إبراهيم حسن شحاتة)،في هذا المقام،مايلي:"...حدث أن حاول المولى إسماعيل تكرار مشروع أحمد المنصور السعدي بالتوسع نحو السودان.وكان الاختلاف بين المشروعين هو أن المشروع السعدي تم في إطار الاقتناع بتعاظم قوة العثمانيين في الجزائر وحاجة السعديين إلى تجديد دورهم الجهادي من أجل دعم حكمهم في إطار الحركة الفكرية المغربية بالقرن16.هذا بينما المشروع العلوي بذلت المحاولة له وحملات المولى إسماعيل الهجومية على الجزائر تتكرر،في إطار اقتناع تقديري

---

[1] عبدالهادي التازي:"من مواجهات الدولة العلوية للتحديات"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1989،ص22.

[2] عبدالهادي التازي:من مواجهات...،مقال سابق،ص22.

[3] أحمد توفيق المدني:حرب...،مرجع سابق،ص426.

بإمكانية التفوق على أتراك الجزائر وفي إطار فكرة التعاظم بالسلطنة العلوية إلى حد الندية للسلطنة العثمانية..."[1].

على أساس هذا النص يمكننا وضع ملمح لمقاربتنا السياسية لموضوع العلائق السياسية بين البلدين،فالمشروع السعدي،مثّل في أعظم سلاطينه كما أشير له في النص،وكذلك المشروع العلوي مثّل في أعظم سلاطينه كما أشير له في النص.وملمح المقاربة هنا،أن المشروع السعدي نمى وتطور بمقابل الاعتراف بالوجود العثماني،عبر وسائل فكرية ودينية،ووسيلة عسكرية لمسايرة تطروهم وبقاءهم إلى جانب الأتراك العثمانيين،وأما عن المشروع العلوي اقتبس من المشروع السعدي فكرة المعايشة للمشروع العثماني بالمغارب،ولكن وفق أسلوب التفوق والاستعلاء،عبر وسيلة التعاظم بالسلطنة،ووصل بهم الأمر إلى حد الند للند.وهذا له تفسير واحد هو اجتثاث الأتراك العثمانيين من المغارب.

عمد المولى إسماعيل العلوي من أجل طرح فكرة الندّية إلى عالم الواقع، وذلك بانتهاج سياسة دولية انحصرت في التفكير والعمل على رسم الخطط التي ستمكنه من إحباط دسائس الأتراك[2].ويرى أحدهم أن مقاومة إسماعيل لأتراك الجزائر استأثرت بسياسته أكثر من حربه للنصارى[3].

هذه السياسة كانت من طرف المولى إسماعيل كمشروع،اعتبر ناجعا من حيث أنه لم يتسرب إلى المغرب الأقصى،عبر موانئه،ولو عسكري واحد من قادة العصابات التركية[4].

---

[1] إبراهيم حسن شحاتة:المرجع السابق،ص ص415-416.

[2] أحمد الأزمي:"بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية"،ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1989،ص181.

[3] Ch. André Julien :Histoire de l'Afrique du nord :Tunisie ,Algérie ,Maroc de la conquête arabe a 1830,Paris1956,2T,T2,p298.

[4] Ch. André Julien : Op,Cit,T2,p298.

ولأجل هذا شابت العلاقات صدامات[1]،أسرع الجانبان للدخول في اتفاق،نجمله في نص أورده (الناصري)، حيث يقول:"...وكاتبه الترك في أن يتخلى لهم عن بلادهم ويقف عند حد أسلافه، ومن كان قبلهم من ملوك الدولة السعدية فإنهم ما زاحموهم قط في بلادهم،وبعثوا إليه بكتاب أخيه المولى محمد بن الشريف الذي كان بعث به إليهم مع رسلهم حسبما تقدم، وبكتاب أخيه المولى الرشيد الذي فيه الحد بينه وبينهم،فوقع الصلح على ذلك الحد الذي هو وادي تافنا..."[2]. الأمر الذي لم يقبله" إسماعيل العلوي" ،حيث رفض هذا الأخير الاعتراف بواد التافنة كحد بين البلدين،مما أدى إلى توتر العلاقات بين الجزائر والمغرب ودخولهما في حروب طاحنة على امتداد فترة طويلة من حكم إسماعيل العلوي[3] ،ترى ماذا فعل به الجزائريون؟

ولإرغامه على قبول واد التافنة كحد فاصل بينهما،صمّموا العزم على إرغامه بشتى الوسائل،فعمدوا إلى بث الفوضى داخل المغرب،عن طريق التحالف مع أعداء المولى إسماعيل العلوي، كالخضر غيلان وآل النقسيس بتطوان، والدلائيين في سلاو تادلا، وأبي حسون السملالي في درعة، أحمد بن محرز والحران، وابن السلطان محمد العالم في مراكش وتارودانت[4].

وقد واجه المولى إسماعيل العلوي هذا الإستراتيجية بحملات عسكرية واتفاقيات سلم،وطبيعة هذه المواجهة هي جانب من جوانب المقاربة للموضوع في رأينا.

لم يجد إسماعيل العلوي بدا سوى قبوله بفكرة الحدود عند واد التافنة،كحد فاصل بين الترابين سنة1088هـ/1679م[5].

---

[1] هذا ما اصطلح عليه بالحملات العسكرية،يراجع في هذا المبحث الموالي.

[2]الناصري:المرجع السابق،ج7،ص ص59-60.

[3] أحمد الأزمي:المقال السابق،ص182.

[4]المقال نفسه،ص183.

[5]Ch. André Julien : Op,Cit,T2,p298.

هذه الفكرة أيضا تشبث بها إسماعيل العلوي،حتى في حملاته العسكرية،ولعل هذا وجه من أوجه المقاربة السياسية،وهذا ما عبر عنه شحاتة،من أن تلك التحركات والحملات العسكرية، لم تكن هادفة إلى امتلاك مجالات ترابية،بقدر ما كان حلا استراتيجيا،يعبر عنه في ضمان موقع دفاعي سياسي تجاه أتراك الجزائر[1].

ومجملا هذا ما أشار إليه (المشرفي)،فهو يعطينا لمحة عن أطوار العلاقات الجزائرية المغربية،منذ بداية عهد العلويين،إلى فترة الإسماعيلية،حيث يلمح،إلى هذا:"...يشير المشرفي إلى علاقات مغربية عثمانية في بداية تكوين الدولة العلوية،وهي علاقة تميزت بنوع من عدم الاستقرار نظرا للمناوشات التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى على الحدود المغربية الجزائرية..."[2].

وتفيد غير المصادر المغربية[3] أن المغرب أرسل سفارة إلى العثمانيين باسطنبول في حدود سنة 1091هـ/1682م،ولكن نجد أنفسنا أمام مشكل التأريخ لهاته السفارة،حيث وردت في مصدرين مغربيين،الأول كما أخبر به "بنحادة" من أنه (ابن الحاج) في كتابه الدرر،الجزء الثامن،أرخ لها بنصها الكامل،لكن هو يعيدها لسنة 1135هـ/1726م،ولكن "لبنحادة" اجتهاد في تاريخها الصحيح،إذ يرجعها إلى سنة1091هـ/1682م،حسب ما تيسر لديه من اطلاع في أرشيف رئاسة الوزراء[4].

ومع أنني حاولت الوصول إلى سفر" ابن الحاج"،ورغم محاولات كثيرة، لم يسعفني الحظ،إلا أنني عدت لتتبع تراتبية الرسالة، ومستوياتها الدبلوماسية، للمؤرخ ابن زيدان،في كتابه:"المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف"[5].

---

[1] إبراهيم حسن شحاتة:المرجع السابق،ص420.

[2]محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي:الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية،تح:إدريس بوهليلة،م.و.أ.ش.إ،الرباط2005،2ج،ج1،ص100.

[3]S.I.H.M:154S2, Fra ,t2,pp153-159.

[4]عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص ص145-146.

[5]عبد الرحمان ابن زيدان:المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف،تح:عبد الهادي التازي،ط1،م.إ،الدار البيضاء 1413هـ/1993م.

وأما عن مستوياتها،فأنها تؤكد على[1]:

– على انفصام عرى الاتصال بين العثمانيين وحكامهم بالإيالة،ولعل في هذا إشارة إلى إقليمية العلاقات الجزائرية المغربية في نظرنا.

– تؤكد على الإجراءات اللازمة تجاه توثيق عرى التواصل بالإيالة في الجزائر.

– تنبيه المولى إسماعيل إلى جهاد الكفار،واللوم عليه،وضرورة جهاد حتى الأوروبيين المتهادنين معه.

ويعلق على هذا المؤرخ (بنحادة)،أن هذا فيه إشارة إلى عرقلة جهاد أهل الجزائر[2]،وهذا في تقديرنا يبين جليا الحضور الأوروبي في تضاعيف العلاقات السياسية بين البلدين.

ويفسر هذا على أنه سلوك دبلوماسي من طرف الدولة العثمانية،قابله إسماعيل العلوي بالاستجابة[3].وهذا الصلح عقب أحداث تلمسان،إذ توصل الطرفان إلى عقد هدنة بينهما[4]،وتم ذلك عن طريق تدخل علماء البلدين،وتعهد السلطان باحترام الحدود[5].

قام الأتراك العثمانيون في حدود سنة 1106هـ/1695م،بإرسال سفارة إلى المولى إسماعيل العلوي للتأكيد على إبرام الصلح بينها،وكذلك قابله إسماعيل العلوي بالاستجابة،ومرسلا إليهم بهدايا[6].وهذا أطلعتنا عليه بعض المصادر، أنه بعد حملة الجزائر أوفد السلطان العثماني مصطفى الثاني سنة1107هـ/1696م؛ مبعوثا حمل رسالتين: الأولى تعبير عن الصداقة والود، والثانية تتناول موضوع

---

(1) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص146.

(2) المرجع نفسه،ص146.

(3) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص ص146-147.

(4) A.De Voulx :Tachrifat, recueil des notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger ,Alger1852,p9.

(5) De Grammont: "Un épisode diplomatique à Alger au XVIIIè siècle", (R.A),PP130-138.

(6) De Grammont: histoire d'Alger..., Op,Cit,p256.

شكاية الجزائر إلى اسطنبول من مولاي إسماعيل[1].وأما عن الجانب العلوي، نجد المولى إسماعيل العلوي يوجه سفارة إلى القسطنطينية لتهنئة السلطان العثماني أحمد الثالث بخبر انتصار الجزائريين على الأسبان بوهران1120هـ/1708م[2].

ونعلق على هذا،بالقول بأن العلاقات السياسية بين الطرفين، قد تراوحت بين التدخلات العسكرية والبعثات الدبلوماسية،وذلك راجع إلى البنية السياسية للطرفين،وإلى التفاعلات الإقليمية وحتى الدولية.فما هي تأثيرات الجانب الدبلوماسي في العلاقات السياسية على وضع البلدين؟

ب- تداعيات البعثات الدبلوماسية على البلدين:

تجلّت أهم تداعيات البعثات الدبلوماسية من طرف الدولة العثمانية في الحفاظ على النظام السياسي للمغرب وضمان استقراره[3].هاته النظرة تقودنا إلى تبيان فكرة لا طالما حاول مؤرخو المغرب اعتمادها في مقارباتهم لموضوع العلاقات الجزائرية المغربية وهي أن العثمانيين حاولوا وصمموا على احتواء المغرب،ومن ثم عثمنته،حيث تطرق الباحث "عبد الجليل التميمي "إلى قضية عثمنة الإيالات العثمانية،الجزائر،طرابلس الغرب،تونس.

ويورد في هذا الشأن الباحث(عبد الجليل التميمي):"...أننا لم نعثر تماما،وإلى اليوم على خطة سياسية معينة للباب العالي،أو منهجا مدروسا لاحتواء وعثمنة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن السادس عشر.إن هذه العثمنة قد وردت مبدئيا في إطار مبادرات شخصية..."[4].

إن كان هذا حال الإيالات العثمانية ببلاد المغارب،فما حظ محاولات العثمانيين عثمنة المغرب الأقصى؟

---

[1] عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق،ج9،ص18.

[2] المرجع نفسه،ص21، أحمد الأزمي:المقال السابق،ص184.

[3] يراجع،دراسة زهراء النظام:"العلاقات التركية وتطورها عبر التاريخ"،في مجلة التاريخ العربي،مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،المغرب 2009، ع48.

[4] عبد الجليل التميمي:دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر،م.ت.ب. ع.م،زغوان2009،ص99.

أعتقد أن تلك مجرد محاولات شخصية أيضا،وهامشية،قام بها أتراك الجزائر حفاظا على مشمولات الدولة العثمانية بالمغارب.

ومما رسخته تلك البعثات الدبلوماسية من لدن الجانب المغربي إقرار سياسة التقارب مزدوجة تمثلت الأولى في التقارب مع تركيا وفرنسا في آن واحد فأجرى معهما مفاوضات والثانية تمثلت في سياسة التقارب مع الجزائر وتونس،ولعل السلاطين[1] كانوا يريدون أن ينشأ خلاف بين الباب العالي والجزائريين وبذلك يمكنهم التعرض للإيالة[2].

وعن طريق تلك البعثات الدبلوماسية استشف عن أهم نقاط سياسية البلدين هذا من جهة ،ومن جهة أخرى نلحظ أنها قربت بين البلدين في مجال التواصل من حيث الاتصال الخارجي،أو ما يسمى بالعلاقات الخارجية للبلدين[3].

وأرى أن هذا الاتصال كان على مستويين:

– على مستوى العلاقات البينية،أقصد به علاقة أتراك الجزائر بالسعديين والعلويين،وهنا وجدت غالبا ما انصبت بحوث إخواننا المغاربة،والتي للأسف الشديد،زاغت أحيانا عن الموضوعية،وتخللتها ذاتية مقيتة،نذكر منها على سبيل المثال،ما تعتقد به الباحثة (زهراء النظام)،حيث تقول:"... ولئن كان إنشاء ولاية تركية في الجزائر قد ساعد على التقارب بين المغرب والدولة العثمانية، وسهل التواصل بين حكامهما، فإن وجود سلطة تركية على رأسها باشاوات أتراك في الجزائر لم يكن يخلو من مضايقات ومتاعب كان المغرب يجد نفسه مرغما على مواجهتها، وبكل قوة، ومنها رغبة الباشاوات الأتراك في توسيع مجال حكمهم، وفرض إرادتهم السياسية على المغرب، وهو ما كان يواجه بحزم من قبل الباب

---

[1] هم المولى إسماعيل العلوي،وسيدي محمد بن عبد الله.

[2] Ch. André Julien : Op,Cit,T2,p311.

[3] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص134.

العالي، الذي كان يحرص على أن تبقى علاقته بالحكام المغاربة بعيدة عن أهواء الباشاوات وتهديداتهم، والحفاظ على علاقات ودية معهم..."[1].

وأيضا في هذا الشق وضف جل الباحثين مادة تاريخية هي في أغلبها الأعم محلية،وبعض الشذرات من المضان الأجنبية.

-على مستوى العلاقات الأفقية،أقصد به علاقة الدولة العثمانية بالسعديين والعلويين،وهو ما لم يتم دراسته دراسة مستفيضة من كلا الجانبين؛الجزائري والمغربي،لاعتبارات منها:صعوبة الحصول على الأرشيف العثماني، وهذا له طبعا أهمية وقيمة بالغة،لما له من نظرة لما كان يطبع تلك العلاقات.

وفيه من الباحثين من يرى أن من نتائج سفارة الأولى من أتراك الجزائر إلى العلويين،فشلت في تحقيق أهدافها؛المهادنة وتحديد المجال الترابي لهما،ومن بين العوامل المساهمة في الفشل إرادة السياسة العثمانية بالباب العالي،وعكست إلى حد ما موقف الإدارة المركزية مما كان يحدث بالمغرب[2].

ولكن في هذا الجانب لابد أن نسجل أن موقف الباب العالي مما كان يجري في المغرب،يكون أحيانا متعذرا في الأرشيف العثماني،وفي هذه النقطة سجل الباحثون حلقة مفقودة من تاريخ المغرب في المصادر العثمانية،تقريبا فترة مولاي محمد وما تلاها بعد وفاته[3]،ويظهر من رسالة العلويين الأولى تنبيههم على نقطة جد مهمة،وهو أن المغرب في القرن الحادي عشر/السابع عشر الميلادي، لم يعرف إقامة وحدة شاملة،لأنه كانا محكوما من طرف زعامات بربرية في جله[4].

ومن بين تداعيات السفارة الثانية[5] من لدن أتراك الجزائر إلى "المولى محمد الشريف"،توجيه العلاقات البينية بينهما إلى كيفية ضبط طبيعة العلاقات الأفقية بين المغرب وأوروبا،والتركيز على مبدأ مهم قامت

---

[1] يراجع،دراسة زهراء النظام:العلاقات التركية ...،مقال سابق.

[2] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص ص135- 136.

[3] المرجع نفسه،ص137.

[4] إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص22.

[5] اعتمد فيها على أساليب الحوار السلمي،والابتعاد عن أسلوب السجال.

عليه الدولة العلوية؛أولوية تحرير البلاد من براثن الاحتلال الأيبيري،لذلك ركزت على خصيصة جهاد هؤلاء،والمرابطة عليهم[1].

أيضا كان من تداعياتها،أو أهم نتيجة توصلت إليها السفارة هاته،إلى رسم الخط الحدود[2] بين المغرب والدولة العثمانية[3]،وهذا في نظر الباحثين،يعتبر أهم سلوك جديد في تاريخ العلاقات المغربية – العثمانية[4].

واعتبر واد التافنة حدا فاصلا بين البلدين،بدءا بالمولى محمد،وتثبيتا وترسيخا في عهدي الرشيد وإسماعيل[5].

وكأثر لسياسة الحدود،ارتبط سكان المنطقة الحدودية الغربية للجزائر منذ عهود قديمة في بعض الأحيان،وذلك إما لاحتمائهم بالسلطة العلوية وتعاطفهم معها[6].

2– تفكيك المخزن المغربي للتركيبة الاجتماعية للقبائل المتحاددة

أ– حضور شرعية المخزن المغربي في التمثلات العقلية والذهنية للقبائل العربية المتحاددة:

إن العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر خلال العهد العثماني،انبثق عنها أيضا جانب آخر من جوانب المقاربات في هذا الموضوع، الجانب الاجتماعي؛أوما يسمى بالامتداد البشري بين البلدين وانعكاس ذلك على العلاقات بينهما؛الحضور الشراقي(هو لقب لعرب بادية تلمسان) بحيز بني يزناسن،

---

(1) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص26.

(2) فيه من يرى امتداد حدود المغرب في الفترة الحديثة من واد نول إلى غرب الأغواط ، يراجع:أحمد بن محمد الكردودي:الدر المنضد الفاخر،مخ،م.م.ع،الدار البيضاء،ظ:18.

(3) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 138.

(4) المرجع نفسه،ص138.

(5) أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي:الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي،تح:أحمد بن يوسف الكنسوسي،الرباط1414هـ/1994،2ج،ج1،ص127.

(6) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص54.

هذا الحضور والحيز كانت له دلالات مهمة جدا، حيث لعبوا دورهم في التطورات السياسية لفترة طويلة من الحكم العلوي،فنجد هؤلاء قد ناصروا المولى الرشيد(1075-1082هـ/1664-1672م)ضد أخيه محمد بن الشريف في ثورته سنة 1074هـ/1663م،كما انضم إليه عرب الأنكاد بالشرق أيضا[1].

لقد أفضى هذا البحث إلى حقيقة أغفلتها كثير من الدراسات الأكاديمية!!،وهو أن البناء الحقيقي للدولة العلوية،اعتمد على القبائل العربية التي تقطن في المحاددة بين الجزائر والمغرب. و أول من تفطن لهذا المولى (محمد الشريف) فتنقل في بداياته الأولى نحو المناطق الحدودية شرقا وشمالا،مع العلم أن المغرب كان متوزعا إلى ولاءات عديدة[2].

ولعلّ السبب في هذا، هو معرفته ودرايته الجيّدة للوسط الاجتماعي ، خاصة القبائل العربية التي كانت تقطن غرب الجزائر، كقبائل عرب المعقل التي كانت على خلاف مع الأتراك العثمانيين.فلذلك لم يجد (محمد الشريف) بُداً من استقطابها[3]. وعلى إثر ذلك حصل له المرغوب ،فاستند عليها في تحقيق طموحاته وأهدافه التي انطلق منها هذه المرة من الجنوب[4].فيما نجد مقاربة أخرى مفادها أن الجزء السابع من المغرب؛ كما وسمه المؤرخ المغربي "عبد الهادي التازي" على حد قوله بسبعة مغارب، ينساب فيه النفوذ العثماني (التركي) في أطراف الجهات الشرقية للمغرب[5].

---

(1) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص23.

(2)أصبح المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/منتصف القرن السابع عشر الميلادي سبعة مغارب!فإلى جانب بقايا السعديين الذين كانوا يتشبثون ببعض الأطراف،نجد الدلائيين يستولون على فاس ونواحيها،بينما كرّوم الحاج يحكم مراكش وجهاتها،وكان أبوحسون صاحب إيليغ يستبد بسوس،وكان المقدم الخضير غيلان ببلاد الهبط:والرئيس أعراس،يستأثر بنواحي الريف،هذا إلى احتلال بعض الثغور المغربية سواء من طرف الإسبان أو البرتغال على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ينظر:عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق،ج9،ص9،عبدالهادي التازي:الوسيط في التاريخ ...،مرجع سابق،ج3،ص135.

(3) محمد علي داهش:"العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث(1650-1830)"،جامعة الموصل(العراق)،(د.ت)،ص161.

(4)محمد علي داهش: المقال السابق ،ص163.

(5)عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق،ج9،ص9.

ومن منطلق المقاربة الاجتماعية، كانت نظرة الأتراك العثمانيين للعلاقات السياسية،تتمحور في نقطتين جوهريتين:

أولاهما: الحفاظ على تثبيت الحدود؛ فمدينة تلمسان و امتداد مجال الأتراك العثمانيين فيه،يطرح مشكل حدودي[1].ولعل هذا ما جعل سكان المنطقة الحدودية الغربية للجزائر منذ عهود قديمة في بعض الأحيان، يتمثلون ذهنيا حضور المخزن المغربي،وترجموه بالاحتماء بالسلطة العلوية تارة، والتعاطف معها تارة أخرى [2].

ثانيهما:مسؤولية الأتراك العثمانيين بالجزائر في الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية في بلاد المغارب الثلاث، ووصفهم إياها؛ أي الجزائر بمثابة المفتاح الاحتياطي لحاكمنا السامي[3].

ب–حضور شرعية المخزن المغربي وأثره في تغيير منطق الولاء والبراء للقبائل العربية المتحاددة:

ممّا لاحظته في حضور شرعية المخزن المغربي الاجتماعية في القبائل المتحاددة،يجعلنا ننوه على أنه ،يجب أن نستحضر والحال هاته كل من يتصدى لموضوع المقاربات السياسية العلائقية، مثل هذا الحضور الاجتماعي، لأنه كان دائم الحضور في قضية الولاء والتبعية في موضوع العلائق السياسية وهذه المقاربة فهمها الغرب الأوروبي تماشيا للبنية البشرية وامتداداتها في البلدين، اعتبرت أوروبا المسيحية المسلمين أينما كانوا أتراكا وشملت كلمة أتراك في اللغات الأوروبية أقواما من العرب والمسلمين لم يصلهم الأتراك مثل المغرب الأقصى وغرب إفريقيا[4].

---

(1) محمد الضعيف الرباطي:مصدر سابق،ص19،هـا رقم:(152).

(2) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص54.

(3)في هذا الشأن ينظر رسالة حاجي شعبان داي الجزائر إلى لويس الرابع عشر،بمعسكر تونس،بتاريخ 11محرم 1106هـ/الموافق1سبتمبر1694م:

-V: Eugène plantet:Correspondance …, Op.cit,T1, pp430-444.

(4) عبد الكريم غرايبة:عرب الماء والإنسان،م.ع.د.ن،بيروت 2006،ص34.

ولم يفت المخزن المغربي في الاعتماد على سواعد القبائل الجزائرية في توسعاته واستدراجهم بمنطق الولاء والتبعية كقبائل بني عامر وسويد في توسعات المغاربة في شرق المغرب[1].

وهذا ما عبر عنه الداي شعبان،لنظيره لويس الرابع عشر،يصف فيها،مناورات السلطان العلوي في إغرائه للقبائل العربية،وانتظارها للفرص للانقضاض على دولة أتراك الجزائر،وأوصياء الإمبراطورية العثمانية،وفي هذا لفتة مهمة جدا تنبئ عن مدى ارتباط أتراك الجزائر بالدولة العثمانية،فعبر عن هذا ب:"...ويجدها قادة القبائل العربية وكل أعداء العثمانيين شديدة القوة خارج طاعة السيد الأعظم..."[2].

وهذا الحضور له في رأي دور مهم في تفسير محاولات السلاطين العلويين؛محمد،والرشيد،وخاصة الفترة الإسماعيلية اجتثاث إذا صح التعبير منطقة تلمسان وذلك من خلال إقرار المولى إسماعيل العلوي مدينة تلمسان – أثناء حملته– مرتكزا له[3]لتحقيق طموحات أسلافه[4].

أثبتت التجربة التاريخية للدولة العلوية،أنها اتجهت إلى تقوية مكانتها عند العنصر العربي الذي يبدوا أنه واجه مصاعب في ظل الحكم العثماني[5]،الذي فقد الزعامة في ظل هؤلاء ومن هنا عمل العلويون على استحضار عنصري الولاء والتبعية للعرب في المغارب،ومنها الجغراسياسية للإيالة العثمانية بالجزائر.

---

(1) عمر بن قايد:"أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م"،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات،مجلة أكاديمية علمية محكمة تصدر عن جامعة غرداية،الجزائر 2012، ع17،ص145.

(2) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,p417.

(3)عبد الكريم غلاب:قراءة جديدة...،مرجع سابق،ج3،ص12.

(4)فكرة توحيد المغرب العربي حققها المرابطون والموحدون،فيما فشل فيها المرينيون.

(5) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص ص56-57.

ثالثا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة المقارعة والمصارعة المتوثبة

1-الإستراتيجية العسكرية والسياسية في فلسفة الحكم في البلدين للاحتواء السياسي للمغارب

أ- الحملات العسكرية المغربية الإقليمية في عهد السلطان إسماعيل العلوي (1139-1194هـ/1672-1727م):

كتب أحد الباحثين في فترة السلطان المولى إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م)،يقول بأنها فترة قد تميزت بطائفة من المناوشات مع جيرانه أتراك الجزائريين،التي شكلت محور الوثائق،سواء المغربية أو التركية أو الفرنسية[1].

وقد تبيّن للباحث بأن الطموح المغربي؛ ومنها الطموحات الإسماعيلية، التي أوهمت البعض أنها كانت تسعى إلى تأكيد وحدة المغرب العربي، لكنها في حقيقة الأمر أكّدت الأبعاد التوسعية للمغرب.

هناك سبب ترك في نفسية السلطان إسماعيل العلوي المد في توسعاته وتأجيجها،وهو سبب لم يذكره المؤرخون المغاربة في حدود اطلاعي،ويتمثل في تحريض الإنكليز على الإغارة على الجزائر بسبب المعاهدة الجزائرية-الفرنسية سنة 1689م[2].

إن رغبة توحيد المغرب العربي وجدت حقيقة عند أتراك الجزائر في تلك الفترة المعاصرة للفترة الإسماعيلية،فهذا الداي شعبان(1100-1107هـ/1689-1695م)،وهو من أكبر قادة الجيش البري قد قضى جزءا كبيرا من في الحروب كل من تونس والمغرب،من أجل تجسيد وحدة كل الأقطار المغاربية تحت نفوذه[3]،وقد عبر عنه صراحة عبر رسائله للملك الفرنسي لويس الرابع عشر(1638-

---

(1) عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،ج9،مرجع سابق،ص9.

(2)مولاي بلحميسي:"إرشاد الحيران في أمير الداي شعبان"،في مجلة الدراسات التاريخية،مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1406هـ/1986، ع2،ص49.

(3) المنور مروش:المرجع السابق،ج2،ص338.

1715م)،بقوله:"...إن الجزائر وتونس وطرابلس تخضع من الآن لأوامرنا وستخضع لسلطة واحدة ولن تبقى جمهوريات متفرقة مثل ما كانت عليه في السابق وقد وحدنا بين الإيالات الثلاث..."[1].

وبذلك فقد وقف الداي شعبان في إفشال المؤمرات غرب الإيالة وشرقها[2]،وخاصة التي شنها إسماعيل العلوي،عندئذ كان هذا الداي على مستوى التحدي،عبر تجنيد الجنود بصيرورة سريعة برا وبحرا لمجابهة عدوه[3].

ولتقصي الحقيقة التاريخية هاهنا،يجدر بنا طرح إشكال مهم،لماذا وسّمت سياسة إسماعيل العلوية الإقليمية في جانب كبير منها بالعدائية تجاه أتراك الجزائر؟

وتذهب بعض المصادر في اتجاه إجابة واحدة تتمثل في أن أتراك الجزائر عند مبايعته سلطانا في سنة1082هـ/1672م،بعثوا من الجزائر بالمناوئين،ومع مقتنيات الحرب؛كالسفن[4]، وكل هذا بإيعاز من باشوات الجزائر[5]،مما ساهم في إحداث انتفاضات داخلية[6].ولعل أهم ثورة حسبما تبين لي، وأكبر خطر واجهه إسماعيل العلوي، ثورة ابن أخيه أحمد بن محرز،الذي تقول عنه المصادر أنه اتصل بأتراك الجزائر،وبقي كشوكة في حلق الدولة العلوية مدة أربعة عشرة سنة،إلى أن قضي عليه في جمادى الأولى1093هـ/1686م[7].

---

(1) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,p455.

(2)مولاي بلحميسي:إرشاد الحيران ...،المقال السابق،ع2،ص49.

(3) A.De Voulx: Op.cit ,pp9-10.

(4) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص59.

(5)من هؤلاء المناوئين،نذكر:الخضر غيلان الذي ثار واصطدم مع إسماعيل العلوي،قتل على إثرها في معركة قرب القصر جمادى الأولى1084هـ/سبتمبر1673م، وأولاد النقسيس فروا إلى سبتة،بعد تمركزهم مع غيلان في منطقة الهبط وتيطوان،أين قتلوا هناك،كما ساعد الأتراك أحمد بن عبدالله الدلائي بالأطلس المتوسط،واصطدم به،ليقضي عليه في سنة 1088هـ/1677م،ينظر:الناصري:المرجع السابق،ج7، ص ص47-53-59، الزياني:البستان،مصدر سابق،ص 61.

(6) عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 143.

(7) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص ص60-65،الناصري:المرجع السابق،ج7،ص ص68-69.

وعن سبب عدائية إسماعيل لأتراك الجزائر،كما تقدم معنا،دعمهم لمناوئيه، الأمر الذي ترك في نفسه موقفا مضادا لأتراك الجزائر مدة حياته[1].ولكن لا يمكننا أن نعمم ذاك الموقف العدائي على سياسة إسماعيل العلوي،حيث وجد جانب من المهادنة منه للباب العالي،لأجل أخذ نفس،بغية ترتيب سياسته الوقائية،فنجده يبني سلسلة من القلاع في المغرب الشرقي،ليصل بعدها إلى قطع جسور التعاون بين مناوئيه وأتراك الجزائر[2].

وترجم هذا العداء عبر حملات عسكرية[3]،نرى أن نتلمس من خلالها موقف العداء والتصادم،وعدم الرضا عن احتضان ومساعدة أتراك الجزائر،أو أتراك الشرق كما يحلو لبعض المؤرخين المغاربة حين استعراض جوانب من علاقات بلدهم ببلدنا الجزائر،نذكر منها:

حملة القويعة عند واد شلف،المسمى اليوم بوادي "صا" حسب رواية الناصري[4]1089 هـ/1678-1679م،ومن هناك مدا نفوذه حتى الصحراء الجنوبية،وذلك بمساعدة قبائل بنوعامر،وذوي منيع،ودخيسة،وحميان،والمهاية والعمور،وأولاد جرير وسقونة،والحشم،وآل أمرها إلى الاندحار والفشل[5].

والفشل[5].

---

[1] الناصري:المرجع السابق،ج7،ص59،هـا رقم:(673).

[2] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 147.

[3]نركز في المتن أعلاه فقط على الحملات الكبرى،وأما عن ما وصفت بالمناوشات،فأهمها:توتر سنة 1108هـ/1696م،نشاط زيدان داخل المناطق الجزائرية مابين 1109-1111هـ/1697-1699م،وأخيرا حملة نحو الجنوب قام بها ابن إسماعيل العلوي عبد الملك،حيث تقدم بغاراته حتى عين ماضي،ينظر::إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص ص53-54، أحمد الأزمي:المقال السابق، ،ص ص183-184.

[4] الناصري:المرجع السابق،ج7،ص59.

[5]المرجع نفسه،ص59.

وعندما ساند أتراك الجزائر ثورة ابن محرز 1093هـ/1682م،حيث توغلوا في أراضي بني يزناسن،قاومهم وردهم،وظل يجول بالمغرب الأوسط إلى العام الموالي[1].

ثم حملة تلمسان 1103هـ/1692م،والتي كانت فاشلة،وهو ماعبر عنه في رسالة للداي شعبان إلى الكونت دوبونتشارتين كاتب الدولة بالبحرية،يقول فيها:"... بل قمنا بمضاعفة تحضيرات الحرب أكثر من ذي قبل فاستولينا على كل البلد أصلا انطلاقا من أسوار فاس..."[2].

وحملة مولاي زيدان على الجزائر1106هـ/1695م[3]،وتذكر كتب التاريخ أن أهم معركة استصغر فيها إسماعيل العلوي،ومني فيها بفشل ذريع،هي معركة الجديروة1112هـ/1701م بقيادة إسماعيل العلوي بنفسه[4]،أحدث هذا الانتصار هالة للجزائريين،عقبه مباشرة وصلت التبريكات لأتراك الجزائر،وفي هذا أرسلت فرنسا برسالة إلى الداي مصطفى،فرساي 25مارس1701م،نقتطف منها العبارات التالية:"... سيدي صاحب السمو والفخامة،لما أعلمني قنصل مدينة الجزائر بخروجكم منها وبالانتصار الذي حققتموه على ملك المغرب الذي زحف إلى غاية حدودكم بجيش ذي عدد وعدة ،قمت بعرض ذلك على مولاي الإمبراطور...هذا الانتصار قد أدخل عليه سرورا عظيما؛لما يوليه من التوقير الخاص لشخصكم ولجمهورية الجزائر. ولأنكم عاقبتم أميرا على جرأته التي طمع بها في النصر والذي اخلف وعده وغير نيته..."[5].

يقول أحد المؤرخين في وصف انهزام السلطان المغربي،مانصه:"...ولم يكن من أمر إسماعيل العلوي،سوى أنه أشعر بانهزامه ويداه مكتوفتان،وهو يقبل الأرض ثلاث مرات،أمام الداي،مخاطبا

---

(1) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص ص52-53.

(2) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,pp470-480.

(2)أحمد الأزمي:المقال السابق،ص ص183-184،وفيه من يراها أنها وقعت في سنة 1106هـ/1694م،ينظر:إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص53،وفيها تقول بعض المراجع أن إسماعيل العلوي استنكر هذا،وعزله عن المناطق الشرقية،وولى مكانه أخاه المولى حفيد،ينظر: الزياني:الترجمان....،مصدر سابق،ص 26،عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 156.

(4) أحمد الأزمي:المقال السابق، ،ص ص183-184.

(5) Eugène plantet: Op.cit,T2 ,pp10-11.

إياه:"... أنت الخنجر أنا اللحم فاقطع إن شئت..."،غير أن الداي عفى عنه،ولم يمسسه أي سوء ومكروه..."[1].

أسفرت هزيمته عن هزائم بشرية فادحة،قدرها المؤرخون، بثلاثة ألاف رأس من جنده،تم حز رؤوسها لتعلق على أبواب العاصمة الجزائرية،وهذا بعد أصابته هو بجروح[2].ووصفت أيضا بالكارثة التي أوقفت عمليا كل مواجهة كبرى مع القوات التركية[3].

ولم يكن هذا فحسب بل غنم الجزائريون حصان إسماعيل العلوي[4]،وما أدراك ما مكانة الحصان في نفسية الرجل المغاربي قديما وحديثا!!

وفي ختام هذه الجزئية،نذكر نقطة أغفلت لحد الآن،ولعلها ربما تكون إن شاء الله ميدانا للتحقيق من طرف الباحثين،وهذا لا يتأتى إلا عن طريق دراسة وثائقية عثمانية،هاته الجزئية في نظري تفتح باب المقاربة السياسية لموضوع العلاقات بين البلدين،على نقطة ثالثة مغمورة في حدود اطلاعي لحد الآن.

ورباط المقاربة للموضوع انبنى من كلا الطرفين على أربعة توجهات[5]،تتمثل في عدم التزام المغرب في في دفع الضرائب لصالح أتراك الجزائر،والتي أقرها المغاربة على رقابهم في اتفاق 1105هـ/1694م[6].

هذه النقطة تطرح تساؤلا،مفاده:هل كان المغرب الأقصى تابعا للعثمانيين في هاته الفترة بالذات؟

أعتقد أننا حاليا لا نملك وثائق تقر بهذا،وهذا طبعا بعد وقوفنا على دراسات المغاربة المختصين في التاريخ الدبلوماسي،فلم يشيروا إلى هذا مطلقا،ثم إن من أخذنا عليه هذا الرأي هو الأستاذ المحقق

---

(1) M. Galibert: Histoire de l'Algérie ancienne et moderne, éd Furne ,Paris1843,p234.

(2) Ch. André Julien : Op,Cit,T2,p233.

(3) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص 54.

(4) محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق،ص 27.

(5) حول هاته النقطة،ينظر:المبحث الثاني من الفصل الثالث.

(6) محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق،ص ص26- 27.

لكتاب"التحفة المرضية"،"المرحوم محمد بن عبد الكريم"،فلا ندري من أين استوحى الفكرة؟،ولم يعزوا إلى مصدرها،وأغلب الظن أنها مستوحاة من مصادر أجنبية اطلع عليها،وأغفل الإشارة إليها.

ب- السياسية المغربية الدولية في الاحتواء السياسي للمغارب وموقف الأتراك العثمانيين:

تميزت استراتيجة إسماعيل العلوي؛السياسية الدولية في احتواء المغارب،وحتى النفسية،فهاته الأخيرة عبرعنها الداي شعبان للملك الفرنسي لويس الرابع عشر بتاريخ: 15ذوالقعدة 1106هـ/1695/06/23م،ومما جاء فيها:"...كما نحيط جلالتكم علما بأننا كنا مجبرين على إعلان الحرب ضد محمد باي بتونس بسبب تآمره مع مولاي إسماعيل العربي المغربي،أكبر خونة والد أعداء إمبراطورنا الرائع وجمهورياتنا الثلاث:الجزائر وتونس وطرابلس،والذي صار ينظر إلينا بعين الخبث والدهاء..."[1].

سلك إسماعيل العلوي استيراتيجية سياسية،وعقد معاهدات قانونية في سبيل احتواء المغارب،ومنها الجزائر،حيث أكد على ذلك في معاهدة بينية بينه وبين فرنسا في 20محرم 1093هـ/29جانفي 1682م،والتي نصت على تبني إجراء قانوني،ضد الإيالات المغاربية ومنها الجزائر،وخصت منها المجاهدين البحريين للإيالات المغاربية[2].

وفي هذا السياق أوفد الفرنسيون سفارة"بيدو سانت أولون" من طرف لويس الرابع عشر إلى المغرب،حيث جاء فيها الدعوة إلى اتفاق استراتيجي بين الدولتين ضد الإيالة الجزائرية،بحجة أنها تتعامل مع أمير أورانج[3] في تخريب أساطيل الفرنسية التجارية[1].

---

(1) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,pp459-470.

(2) عمر بن قايد:المقال السابق،ص144.

(3) هو حفيد البطل الهولندي القديم وليم أورانج(وليم الصامت) مؤسس الجمهورية الهولندية،بعد ثورة 1688،أصبح رئيسا لانكلترا مع زوجته ماري(1688-1702م)،ينظر:ميلاد المقرحي:المرجع السابق،ص ص168-169،هـا رقم:(2).

وكانت الدعوة إلى هذا الاتفاق من السلطان المغربي حسب ما ذهب إليه هوفر(Hoefer)[2]،ولذلك كان أن وجه سفيره ابن عائشة لذاك الغرض[3].

وقع اتفاق بينهما في سنة 1105هـ/1693م،ينص على التعاون فيما بينهما،ومما أورده المؤرخون في محتوياته،التزام المغرب للفرنسيين بتقديم المساعدات لهم بالمنطقة المغاربية،ومنها ممتلكات أتراك الجزائر[4]،ومن ثم مساندة الفرنسيين لهم في مهامهم بالجزائر، ونص الاتفاق على كراهية الأتراك العثمانيين للعرب [5]

الرسالة ركزت على ما ذهبنا إليه،وهو أنه كان يسعى لتوتير العلاقات الجزائرية الفرنسية لتحقيق مشروعه التوسعي،فقد وصفته بأنه زراع الحرب في كل النواحي،سواء على المستوى الإقليمي،أو الدولي.وأيضا نجد الداي يركز على عامل الدين،بوصفه عدو المسيح،وهذا ربما في نظرنا محاولة منه إبعاد هذا العدو عن حلف طبيعي لأتراك الجزائر؛الفرنسيين.ومن ثم إفشال مرامي إسماعيل العلوي الاحتوائية.

ولكن هذا السلطان كان لا يدري،في يوم من الأيام سيكون حصانه كا أثمن هدية يقدمها الجزائريون لفرنسا،ولملكهم لويس الرابع عشر[6].

---

(1)Raymond Thomassy: Le Maroc Relations de La France Avec cet Empire ,éd 3,L.ch.d,paris1859,pp39-40.

(2) F.Hoefer: Empire du Maroc, éd.Firmin-Didot Freres,paris1848,p316.

(3) Hoefer: Op.cit ,p288.

(4) ibid,pp285-286.

(5) Id idem.

(6) محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق،ص27.

2-الدعوات السياسية المغربية الإقليمية المناوئة في عهد إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م) وموقف الأتراك العثمانيين

أ- السياسية المغربية الإقليمية المناوئة في عهد إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م):

لم يكتفي المولى إسماعيل العلوي في سياساته المناوئة مع الأوروبيين،بل راح يطبق سياسة إقليمية لاحتواء الجزائر،ومن ثم بلاد المغارب.حيث أن الجزائر في هذه الفترة لم يكتفي المغرب بمحاربته،بل تصدت لبعض التهويشات والقلاقل الداخلية،بإيحاء من باي تونس محمد باي المرادي[1] الذي بويع في 27رجب 1097هـ/10مارس 1686م،ولقب بلقب أمير الجيوش،أي باي المحال[2].

وسبب ذلك تمرد كاهيته وصهره "محمد بن شكر"،حيث استطاع استمالة الجزائر ضد محمد باي المرادي،ومن جراء هذا انقسمت القوى السياسية في الجزائر بين فريقين،فريق مساند لمحمد باي،يمثله الداي إبراهيم خوجة،وفريق مناوئ يمثله الداي حسين نصف الميت[3].

ومن نتائج تحالفه مع باي تونس وطرابلس الغرب،امتداد دولته في الإطار الجغراسياسي،ولعل هذا ما عبر عنه الإفراني:"...وبلغ فيما وراء النيل وانتشرت دولته في عماير السودان...وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى قرب بلاد بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان..."[4].

---

(1) محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق ،ص ص20-21.

(2)ألفونص روسو:الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر،تر:محمد عبد الكريم الوافي،م.ج.ق،بنغازي1989،ص139.

(3) ألفونص روسو:المرجع السابق،ص ص139-140.

(4)الإفراني:نزهة...،مصدر سابق،ص305.

لقد غاب عن الإفراني أن المولى إسماعيل العلوي، لم يكن ليحقق ذلك التمدد!لو لا تنسيقه مع جيران الجزائر،والتونسيون بشكل أخص هذا من جهة،ومن جهة أخرى كلام الإفراني في مسألة الحدود لا يخضع لمنطق سليم،ولا يعتمد على موضوعية في الطرح،إذ مسألة الحدود المبثوثة في كتب الإخباريين،وحتى الوثائق،تقف على ما يسمى بالمغرب الشرقي،وتحدده بواد الملوية،وواد التافنة،على اختلاف التحديد في الروايات،فأين ذكر منطقة بسكرة من هاته المصادر؟.

وهو لا يتورع في إغفال الحقائق؛منها على سبيل المثال،أن الأتراك الجزائر لم يكن لهم مجال ترابي بالجنوب الجزائري،وهذا كلام مناف للحقيقة،علما أن الأتراك العثمانيون أحكموا سيطرتهم عليه منذ أيام البايلرباي "صالح رايس "كما مر معنا سابقا.

وتطلعنا أيضا إحدى الرسائل أن المولى إسماعيل العلوي عمل على تحريض حتى طرابلس الغرب،وإلى أبعد من ذلك حتى مصر،وكل ذلك في سبيل زعزعة الأتراك العثمانيين،فقد ورد في أحداها:"... .وقدر الداي أن مقاومة هذا النوع من الأعداء مدته حدود3أشهر لكل من تونس وطرابلس وحتى مصر وسوف يضيعون بلا موارد.....وذلك من سبيل الحفاظ على الجزائر التي تعد بمثابة المفتاح الاحتياطي لحاكمنا السامي .انتم على علم أن هذه المملكة تشبه خلية نحل حيث يكاد يكون أفرادها وأجرتهم غير منتهيين..."[1].

دعم الطرابلسيون أيضا تحالف محمد باي وإسماعيل العلوي،و وذلك بتاريخ 2جوان1694 وقد كان بن شوكير الذي التقينا به سابقا المحرض الرئيسي لهذه الحملة الجديدة،حسب رسالة للداي شعبان[2].

وجاء في رسالة أخرى،من لدن الداي شعبان:"... قام محمد باي بالتوجه إلى عربي يحكم في البلدان الواقعة بغرب مملكتنا ويدعى هذا الأخير إسماعيل وهو ملك المغرب وقاما سوية بتأسيس رابطة هجومية ودفاعية بواسطة اتفاقية رسمية تنص من بين أشياء أخرى على حصول إسماعيل مولاي هذه السنة على

---

(1) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,pp430-488.

(2) A.De Voulx: Op.cit ,p9.

400000راس من جهة وباي تونس على نفس العدد من جهة أخرى وتنظيم حملة لشن حرب علينا والاستيلاء على مدينة ومملكة الجزائر،وفي هذا الصدد قام محمد باي بإرسال 200000ر ريال وثلاثة سفراء متعاقبين إلى إسماعيل مولاي المغرب وقد عزموا واتفقوا سوية ،أن منحهم الله تعالى امتياز غزو الجزائر..."[1].

وتبين الرسالتان مآل سياسة تونس والمغرب تجاه الجزائر،حيث نصت الرسالة الأولى:"... وقمنا بمكافحته وعقابه حسب ما يستحقه ولاذ بالفرار عن طريق إتباعنا وفي النهاية كان مجبرا على طلب عفونا فكشف لنا الستار عن مؤامرة محمد وأعلمنا بأية طريقة وافق على هذه المشاريع مما جعلنا نرى بشكل جلي ونطلع على الإحداث عن طريق السفراء الذين أرسلهم إلينا والذين قاموا بعرض الرسائل التي حررها سيدهم باي تونس..."[2].

وأما الرسالة الثانية:"... وهذه الهزائم لكل من محمد باي تونس وإسماعيل نظير إلقاء الله عز وجل هذه المصايب على رؤوسهم بسبب عصيانهم وخيانتهم التي قاموا بها تجاه حاكمنا الجبار..."[3].

ولم يكتفي باي طرابلس بما حدث في سنة1106هـ/1694م،بل أقدم أيضا على حملات تنسيقية مع باي تونس،وسلطان المغرب في سنة1110هـ/1700م،لقد جاء في إحدى رسائل الكونت "بونتشارترين"،أمين الدولة للبحرية،الى مصطفى داي مدينة الجزائر:"... لقد علمت من السيد ديراند انتصاركم على باي تونس،وكذا باي طرابلس ولانهزام الكلي لجيشهم...قام مراد باي تونس بمحاصرة قسنطينة وربح في هجومه على معسكر جزائري وبعث إلى إيالته أذان سجنائه مما اثأر غضب جنود مصطفى،وقد أعلن هذا الأخير عليه الحرب بتاريخ 3اكتوبر 1700م واجبره على الزحف خارج حدوده

---

(1) Eugène plantet: Op.cit,T1 ,pp430-488.

(2) Id idem.

(3) A.De Voulx: Op.cit ,pp1-2.

وما إن وصل مراد إلى مقره حتى قتل ونصب مكانه إبراهيم شريف الذي طلب السلم وأذعن لدفع الجزية..."[1].

تذكر المصادر المغربية أن من أسباب إقدام السلطان إسماعيل العلوي على اقدامه على هجوم 1112هـ/1701م،بالإضافة إلى العامل الإقليمي،وجود عامل محلي؛تمثل في أنا حاكم معسكر،أي بايها كان يستعد لمحاربة المغرب وأخذ الثأر لذاته[2].

ومن الأوجه التي واجه بها الأتراك العثمانيون حملات العلويين،وحتى حملات الباي محمد.سياسة تفتيت القوى السياسية في البلدين،وطرح فكرة اللجوء السياسي والاجتماعي؛تحت فكرة،أسميها بالمواطنة المفتوحة للمناؤين في البلدين،وهذه الفكرة،أو المبدأ الذي سار عليه الأتراك العثمانيون،هي بمثابة صمام الأمان في وجه المشاريع السياسية والعسكرية للمغرب وأطماعه في الجزائر،ونسجل هنا غياب مثل هذه المطارحات الفكرية في مثل هكذا مواضيع.

ففكرة المواطنة العادية ،أو إكساب الشخصيات التي لجأت إلى الجزائر،فكرة المواطن العادي،نجدها تتجسد في خضر غيلان،يقول مويط(Mouette):"...وقد غلب غيلان من طرف مولاي رشيد في معركة تخلى له بعدها عن الإقليم ومدن القصر وتطوان وأصيلا،منسحبا إلى الجزائر حيث أقام كفرد عادي إلى عام1672،فاستدعاه فيه أهل البلاد...فاستقبلوه بفرح كبير..."[3].

إن هذه الممارسات والتطبيقات الإسماعيلية تجاه الأتراك العثمانيين،بلسان الحال والمقال،ليس لها تفسير في نظرنا سوى،ضرورة الحفاظ والحيلولة ،ودون احتوائهم من طرف الأتراك العثمانيين.لقد انبرى مؤرخوا المغرب القدامى وحتى المحدثين،وممن عاصرناهم،بتوضيح هذا المبدأ،والذي هو قطب الرحى في موضوع المقاربة السياسية لهذا الموضوع.

---

(1) Eugène plantet: Op.cit,T2 ,pp9-10.

(2) الزياني:الترجمان....،مصدر سابق،ص ص25-26.

(3) مويط جرمان:رحلة الأسير مويط،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر،د.م.ط.ن،المغرب1989،ص50.

وعبر عن توجهنا هذا،الباحث"مسعود ضاهر"،حيث يقول:"...على جانب آخر، وبصفته مغربي الموطن، يبدأ الباحث كتابه بمناقشة المقولة السائدة التي يفخر بها المغاربة والتي تقول بأن "المغرب هو البلد الوحيد الذي لم يخضع للسيطرة العثمانية". فدخل في سجال علمي رصين حول "وضعية الاستقلال المغربي"، والسند التاريخي والوثائق الضرورية لإثباتها وتعميمها. ومن أبرز سمات تلك "الوضعية الاستقلالية" أن السفراء المغاربة لم يهتموا بتدوين وقائع التاريخ العثماني باستثناء من أوفدهم سلاطين المغرب إلى الآستانة.إلا أن عددهم لم يتجاوز الأربعة منذ مطلع القرن السادس عشر حتى انهيار السلطنة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى. لذلك لم يحتل تاريخ السلطنة حيزاً واسعاً من اهتمام المؤرخين المغاربة باستثناء المراسلات التي قام بها الشرفاء السعديون أو من الأسرة العلوية في المغرب مع قادة السلطنة..."[1].

يستشف من هذا النص ،أن ما كتبه المغاربة المعاصرون لتاريخ الدولة (الإمبراطورية) العثمانية خلال العصر الحديث، ابتداء من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجريين/السادس والتاسع عشر الميلاديين،لا يمكن الاطمئنان إليه، او اعتماده كليا في مسألة تفسير أحداث العلاقات البينية بين البلدين،ذلك لأن أغلب ما جاء فيها وخصوصا في كتب الرحلات السفارية،فهو موجه سلفا من لدن المخزن المغربي.

وما سلم منها لا يمكن اقتباس معلومات أفقية عن الدولة العثمانية،فهاته مغربية يقول عنها دارسها:"...وفي الخلاصة فإن هذه الرحلة التي دامت سنتين وتضمنت صورة عن الدولة العثمانية خلال القرن السادس،لا تقدم سوى بعض تفاصيل وجزئيات الصورة،ولم يقدم المؤلف لنا صورة شاملة ومفصلة عن هذه الدولة،ولذلك كانت الصورة التي قدمها لنا هي بمثابة لوحة فنية لم تكتمل بعد!؟"[2].

فكيف والحال هذه اكتمال الصورة،ولو كانت شبه فنية، عن مسارات امتدادات العثمانيين في المغارب،وعلى مستويات العلاقات السياسية بين أقطاره!؟.

---

[1] مسعود ضاهر: "نظرة من المغرب البعيد إلى تاريخ السلطنة"،في مجلة المستقبل،بيروت2008، ع2974،ص13.

[2] مصطفى الغاشي:"صورة مغربية للإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر:نموذج التمكروتي"،في مجلة الاجتهاد،مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي،بيروت1999، ع44،ص103.

ومن خلال تتبعي سياسات حكام البلدين،وطريقة نهجهم في ضبط علائقهم ببعضهم البعض؛من خلال تأمين متملكاتهم الجغراسياسية،أفضت بني إلى تبني فكرة تسهم إلى حد كبير في توضيح هاته المقاربة السياسة،وهي مدى تشابه نظام المخزن المغربي،والإدارة العثمانية بالجزائر،حيث يتجلى في ظهور هذه الدولة(إيالة الجزائر) بالنظام المغربي؛لأن وجود السلطة المركزية لم يكن يعني بالضرورة قيام روابط سياسية مع الجماعات القبلية إجمالا،إذ ظلت محافظة على تميزها وخصائصها،أي أنها ليست في صالح المجتمع المغاربي[1]؛الجزائري والمغربي خصوصا.أي تطابق رؤى حكام البلدين في السياسيات الداخلية،من حيث اعتماد فكرة مركزة الإدارة،وتسخير موارد البلد،وحتى المجتمع في صالح هذا المشروع والفكرة.

وقد يستغرب القارئ في مكمن العلاقة بين نظام مركزة الإدارة العثمانية بالجزائر،وموضوع العلاقات السياسية مع المغرب.

ولأي متتبع معي يلحظ أن معايير وضع بعض البيالك من طرف العثمانيين بالجزائر،جاء كضرورة أملتها طبيعة العلاقات بين البلدين،وهذا مما أسهم كبيرا في إقدام الإدارة العثمانية على صبغ بايلك الغرب بصبغة عسكرية،نظرا لتوتر العلاقات بينهم وبين السعديين من جهة الغرب[2].

ب–موقف وسياسة الأتراك العثمانيين من طبيعة السياسية المغربية الإقليمية المناوئة:

وأما عن موقف الدولة العثمانية تجاه السياسة العدوانية المغربية،فإنه تطور من سياسة الاحتواء للمغرب ولكن هذا الاحتواء في إطار الرابطة الإسلامية التي سعت الدولة ومن بعدها الإمبراطورية العثمانية في التأسيس لها.ولتنتقل بعدها إلى إقرار التعاون مع مختلف سلاطين الدولة العلوية،وهذا التطور ناجم عن مدى فهم الدولة العثمانية لسياسية العلويين.

ويتجلى الفهم في معرفة مدار سياسة السلاطين العلويين في مسألة تحرير ثغور المغرب من الاحتلال البرتغالي والإسباني،وفي هذا ما عبر عنه أحد الباحثين:"...وبعد تسلم العلويين السلطة عام 1660م.أراد

---

[1] عبد السلام الفيلالي:الجزائر الدولة والمجتمع،ط1،د.و.ع،الجزائر2013،ص77.

[2] عبد السلام الفيلالي:المرجع السابق،ص78.

سلاطينها تقليص نفوذ زعماء الطرق الصوفية،وتحجيم دورهم فتولوا حركة الجهاد البحري بأنفسهم.وعدوا القضية من المسائل الأساسية والهامة.وذلك لكسب الجماهير الشعبية إلى جانبهم بدلا من ولائهم لزعماء الطرق الصوفية.وعلى هذا الأساس نجد أن كل سلطان من سلاطين الدولة العلوية حتى منتصف القرن التاسع عشر،بعد أن يوطد نفوذه،ويسيطر على القبائل يتجه مباشرة إلى الجهاد البحري..."[1].

ومن هنا عملت الدولة العثمانية على سياسة الانفتاح على المغرب العلوي في عهد إسماعيل العلوي،وهذا السلوك يعتبر سابق لعهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله(1171-1204هـ/1757-1790م)،الذي أشارت غالبية المصادر وبشتى لهجاتها،أنه المهندس الأول فيما يسمى لسياسة الانفتاح تجاه الباب العالي!!.

ولكنني فيما أورده فيما بعد من رسائل ووثائق من لدن الباب العالي،إما للأتراك العثمانيين بالجزائر،أو للسلطان إسماعيل العلوي نفسه،يتبين لي ومما لا يدع مجالا للشك أن المؤسس الحقيقي لسياسة الانفتاح السياسي على المغرب،والداعم الفعلي،والساعي على شرعنتها واقعا، هم العثمانيون كمركزة لذلك،وفكرة،والأتراك العثمانيون بالجزائر كمشروع.

استطاعت الدولة العثمانية،أن تقوي أحد مبادئ قيام العلويين؛تنقية الثغور من رجس ونجاسة الكفار ورد الكيد عنه[2].وتجلى ذلك في ضغوطات العثمانيين في اتجاه تصعيد الجهاد ضد النصارى الذي ظل غائبا[3]،ولأجل هذا الصنيع وفق إسماعيل العلوي في هذا المسعى إلى حد كبير،فقد وصف كأكثر السلاطين العلويين اهتماما بتحرير الثغور،وواضع اللبنة الأولى لهذا المشروع؛النشاط البحري[4].

---

[1] إبراهيم خلف العبيدي:"حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي"،في ندوة حركة الجهاد البحري،م.م.ع،بغداد1422هـ/2001،ص ص8-9.

[2] الأفراني:نزهة...،مصدر سابق،ص306.

[3] محمد المنصور:الضغوط العثمانية...،مقال سابق،ع5،ص27.

[4] جلال يحي:المولى إسماعيل وتحرير...،مقال سابق،ع3،ص ص7-35.

وهذا ما أشار إليه المؤرخ بنحادة،من أن المولى لم ستفد كثيرا في سياسة الانفراج السياسي مع الباب العالي وباشوية الجزائر[1]،وعله يشير هنا إلى قضية العلاقة بينه وبين ممثلي الباب العالي.

إن قضية العلاقات بين المغرب الأقصى،والباب العالي،وحتى الأتراك العثمانيون بالجزائر تعتبر في حد ذاتها،مقاربة حادة،وذلك في اختيار نوع المقاربة التي يمكن تبنيها من أجل فهم هذه العلاقات[2].

ويقدم لنا المؤرخ (بنحادة) أن سياسة الانفراج العثماني على المغرب،استفاد منها على مستويين:

أما عن المستوى الأول فهو معلوم عندنا،من أن السلطان إسماعيل استفاد من الضغوط العثمانية المتعلقة بقضية الجهاد[3].

وأما عن المستوى الثاني فهو يعتبر إضافة على مستوى طبيعة العلاقات السياسية في العهد الإسماعيلي وهذه إضافة جديدة في مستويات الخطاب العثماني في قضية العلاقات؛ نوايا الباب العالي في أن تكون الجزائر تابعة للسلطان العلوي،وذلك في حالة التزامه بفريضة الجهاد على الوجه الأكمل[4].

وفي هذه النقطة يقول نفس الباحث:"...أهل الجزائر يكونون عند أمرك ونهيك وفي كل ما تريده منهم ويعطونك الحركة والجيش لجهاد النصارى في الوقت الذي تريد،وإن لم يبادروا لك بكل ما تحتاجه فقد أذنا لك انتقم منهم بنفسك..."[5]،ويعلق بنحادة بقوله استطاع إسماعيل أن يكسب قضية الجزائر

---

[1] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 147.

[2] Abderahman El Mouden : Les Relations Maroco –Ottomanes Quelques Grandstraits Dun Culture Diplomatique.

(المغارب في العهد العثماني) ،ط1، س. ن. م، رقم:(41) ، تنسيق عبد الرحمان المودن،م.ك.آ.ع.إ.ر،الرباط1995.

[3] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 147.

[4] المرجع نفسه،ص147.

[4] عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 147،نقلا عن:

-Hopkins,1982,pp25-29.

أيضا[1]!!.وتعليقنا على قضية الجزائر أيضا يدخل في نطاق تجسيد مبدأ العثمانيين في تكوين رابطة إسلامية في المغارب،ولكن هذه المرة كان في إمكانية تزويد المغرب بإمكانية التعاون بين الجزائر والمغرب،ولا يفهم هذا على أنه تبعية من الجزائر للمغرب.

ولكن حينما رجعنا إلى بعض الدارسين لتلك المرحلة،أكدوا أن الباب العالي لم يكن يدور في سياسته شيء من ذاك القبيل،بل فضلت البقاء على الحد الأدنى من تبعية باشوايتها إليها،ورفضت في مقابله مابذله السلطان إسماعيل من جهود لاستقطابه إلى جهوده الدؤوبة ضد الجزائر[2].

وللباحث وجهة نظر في هاته النقطة ، وهي أن مسألة تبعية الجزائر للمغرب من الناحية العسكرية، لم ينادي به الباب العالي،وإنما كان يصبوا إليه حتى أتراك الجزائر أنفسهم،هذا من جهة،ومن جهة أخرى أن أمر التبعية فهمه المؤرخ بنحادة على أنه سياسي،وهذا ليس هو المبتغى في نظرة وموقف العثمانيين من رسالتهم السابقة،وإنما تذكير المغرب بمسؤولياته تجاه الرابطة الإسلامية.

وأورد هنا رسالة،كانت قد وجهت من طرف الجزائريين للمغرب،في شأن التعاون العسكري؛هذه الرسالة وجهها حسين باشا إلى المولى إسماعيل سلطان فاس،في أواسط صفر1136هـ/6-15نوفمبر1721م،عرضت قضية فرار حاكم وجدة لتلمسان،نتيجة عصيان وتمرد السكان عليه،وأيضا مما جاء فيها توجيه أمر إلى باي الغرب" حسن" لإرسال بعض الجنود ليعيدوه إلى منصبه،والاقتراح بإرسال قوات من الجزائر إلى أراضي فاس لإعادة الأمن بها[3].

---

[1] المرجع نفسه،ص147.

[2] إبراهيم حسن شحاتة:المرجع السابق،ص441.

[2] خليفة حماش:كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية،ط3،د.ن.ط.ن.ت،الجزائر2012،ص134.

إن سياسة المولى إسماعيل العلوي كانت نتاج لمواقف الباب العالي؛إذ نلاحظ أنه بعد أخر جولة عسكرية له مع أتراك الجزائر،يمم وجهه نحو خيار دبلوماسي،ولكنه جاء في نظرنا متأخر جدا،حيث أن استئناف نشاطاته الدبلوماسية لم تكن موفقة مع الباب العالي[1].

وعن آخر اتصال دبلوماسي أفقي قام به إسماعيل العلوي ،حفظ لنا "ابن زيدان"،رسالة منه إلى والي تونس في أواسط سنة1117هـ/1706م،تضمنت دعواه مسالمة أهل الجزائر،حيث جاء فيها:"...والمسألة الثانية جيرانك أهل الجزائر نوصيك أن تتوافق أنت وإياهم على المسالمة وجميل المعاشرة ،فإنكم كلكم في قطر واحد وجيران في البلاد وإيالتكم واحدة ليس بينكم حاجز ولاسترة...وكلما قدرت عليه من الخير الواسع منهم فهو أحسن وأليق لك ..."[2].

وأما عن الاتصال الدبلوماسي العمودي كان في سنة1119هـ/1708م،حفظه لنا الأرشيف العثماني،فهو يوحي إلى تهنئته بفتح مدينة وهران في نفس السنة،وتحمل الرسالة إشارات لمساعدات عسكرية؛من قاليونة وكمية من البارود،والدعوة منه إلى ضرورة الاتحاد بين أوجاقات الغرب لأجل الوفاق والنجاح والإشادة بمجاهدي وقباطنة رياس البحر الجزائريين[3].

يستشف بأن العلاقات بين الطرفين، قد تراوحت بين التدخلات العسكرية والبعثات الدبلوماسية وذلك راجع إلى البنية السياسية للطرفين وإلى التفاعلات الإقليمية وحتى الدولية.

وخلاصة القول:

– ومن خلال الحفريات المعرفية والمنجية لموضوع البحث ،توصّلت إلى أن محاولة تفكيك خارطة الفعل التاريخي وفي الإطار المقارباتي بين البلدين من القرن السادس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر الميلاديين

---

[1] إبراهيم حسن شحاتة:المرجع السابق،ص442.

[2]ابن زيدان:المنزع اللطيف...،مرجع سابق،ص209.

[2]عبد الرحيم بنحادة:المرجع السابق،ص 147،نقلا عن:

-MD116:213,103.

كانت تتقاطع فيها اهتمامات المصالح العثمانية الجزائرية ذات التوجهات الدفاعية، ومصالح المغرب ذات الأبعاد التوسعية.

– تبيّن لي بأن الطموح المغربي؛ ومنها الطموحات الإسماعيلية، التي أوهمت البعض أنها كانت تسعى إلى تأكيد وحدة المغرب العربي، ولكنها في حقيقة الأمر أكّدت الأبعاد التوسعية للمغرب ، من خلال إقرار المولى إسماعيل العلوي مدينة تلمسان – أثناء حملته– مرتكزا له لتحقيق طموحات أسلافه.وتخوف المغرب من أن تمتد إليه قوات الأتراك العثمانيين العسكرية، وذلك خشية من تجسيد المشروع العثماني لعثمنة المغرب.

– إن القراءة العميقة لمظاهر العلاقات المغربية الجزائرية، في بُعدها السياسي خلال الإطار الزمني للبحث، تؤكد لنا حقيقة مفادها أن التسوية السياسية هي الحلقة المفقودة في مسار العلاقات بين الجارين. فقد شكل الصراع والتآمر والتنافس، عوامل نزع صمام الاستقرار في شمال إفريقيا.

– اتّسمت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى بنوع من الحيطة والحذر والريبة في النوايا والاستراتيجيات.

– إن العلاقات الجزائرية المغربية خلال عهد المولى إسماعيل العلوي،تحكّمت في صياغتها وقولبتها،قضية جوهرية؛ وهي قضية الحدود الشرقية بين البلدين.

– تداخل جملة من المعطيات المحلية،والإقليمية،وحتى الدولية،في توجيه العلاقات السياسية بين الجزائر إلى الصدامية،وعدم الاستقرار فيها.

– شهدت السياسية المغربية في موضوع العلاقات السياسية تطورا ونضوجا من الصدامية والتي احتلت حيزا كبيرا في ذهنيات المخزن العلوي،وإلى الانفتاح؛فالأتراك العثمانيون كانوا كمبادرين،وأما العلويون فكانوا كظرفية تاريخية و فقط.

-أثبتت التطبيقات التاريخية في حقل المقاربة السياسية للموضوع فشل آليات صناعة العلاقات والحكم على المرحلة بأحكام معلبة سلفا وللأسف الشديد،أصبحت اليوم هاته التجربة،تتحكم في صيرورة العلاقات بين البلدين،سواء على المستوى الرسمي،أو الشعبي.

- إن سياسية الانفتاح في العلاقات بين البلدين وعلى جميع المستويات،كانت البادرة فيه للأتراك العثمانيون،وأما عن المغرب ما كان عليه إلا أن ساير هذه السياسية الجديدة في عهدي المولى اسماعيل والسلطان محمد بن عبد الله العلويين.

وعلى ضوء هذه المقاربة الجديدة في نظري، أخلص إلى طرح إشكالية،والتي ستكون محور الدراسة والتحليل في الفصل الموالي إن شاء الله.

-فما مظاهر،وما مستويات خط الباب العالي،ومن خلاله أتراك الجزائر،والمخزن العلوي،في تطبيقاتهم للعلاقات؟

الفصل الرابع

مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي 1171-1204هـ/1757-1790م

أولا : العوامل المؤثرة في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين:من الانفتاحية إلى التعاونية

ثانيا:العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح السياسي .

ثالثا:العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح الدبلوماسي .

اصطبغت العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري/النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي،بتطورات متباينة عمّا كانت عليه في حقبة الأشراف السعديين والسلاطين الثلاث العلويين الأوائل.

إن مكمن التغيير،والسير وفق سلوك نهج جديد؛كان نتاجا،لعوامل مؤثرة في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين.

لذا تراوح التطور والنضوج الجديد في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين،من الانفتاحية إلى التعاونية؛ أي من الانفتاح السياسي والدبلوماسي إلى التعاون العسكري.

فما هي أبرز التطورات الداخلية المستجدّة في البلدين المؤثرة في ذاك النضوج والتطور؟

وكيف تجلّى ذاك النضوج والتطور على مستوى العلاقات السياسية بين البلدين؟

وما المقاربة الجديدة في العلاقات السياسية بين البلدين بخلاف ما كانت عليه في القرنين السادس عشر والنصف الثاني من القرن السابع عشر الميلاديين؟

أولا:العوامل المؤثرة في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين:من الانفتاحية إلى التعاونية

أ) تأزم أوضاع المغرب سياسيا بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل العلوي

1- الصراعات والفتن بين أبناء المولى إسماعيل وأحفاده:

تكاد تتفق أغلب المصادر التي أرّخت للأحداث التي شهدها المغرب الأقصى بعد وفاة المولى إسماعيل العلوي،على ميزتين اثنتين:الميزة الأولى صراع البيت الحاكم من أولده على السلطة،وأما عن الميزة الثانية،فهي ميزة الفتن والهرج بالمغرب الأقصى[1].

وفي هذا الصدد يحدّثنا المؤرخ القادري عن مآلات مغرب ما بعد المولى إسماعيل العلوي،إذ يقول:"...ومن وفاته -رحمه الله- إلى تمام العام وهي خمسة أشهر وجميع العام الذي بعده كان في ذلك قتال عظيم وحروب،وتراكمت فتن في جميع أقطار المغرب وسفك الدماء مما لا يحصى،أفضت إلى فناء خلائق لا تحصى،ووقع نهب كثير في الأموال لا يحاط به،وكاد أن يهلك من في المغرب لو لا لطف الله ورحمته بالمؤمنين..."[2].

---

[1] حول هذا ينظرالملحق رقم:(5).

[2] القادري:المصدر السابق،ج3،ص ص292-293.

وبموته لم تتكشف الفتن لأهل المغرب فحسب،بل ثلمت في تاريخ الإسلام ثلمة عظيمة،وكأن بالإسلام يفقد أحد دعاته،وبالمسلمين أحد خلفائه،يقول الضعيف:"...ولقد انصدع بموته الإسلام، ورزئ بموته جميع الأنام..."[1].

ومن باب التنويه على قضية مهمة في تاريخ المغرب؛ أن خاصية التمرد والعصيان في المغرب الأقصى، لم يكن مرتبطا بالفترة التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل العلوي،ولكنها تبدوا للمتحري في هذا المجال مشكل طبيعي بالنسبة للممالك المغربية،ومن الطبيعي فيها التمرد وادعاء الملك[2].

إن طبيعة التمرد،تتمثل في ظاهرة ثورات الإخوة والأبناء[3].ولئن كان عهد المولى إسماعيل العلوي عهد بناء وأمن واستقرار،فإنه كان يحمل في طياته جذورا للأزمة التي اندلعت مباشرة بعد وفاته[4].

ولقد كان السلطان إسماعيل العلوي على علم بها وبمعالمها،فقد راسله أبوعلي اليوسي ناصحا له،ومبيّنا له اعوجاج سياسته،حيث يقول:"..فلينظر سيدنا.فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية.فأكلوا اللحم وشربوا الدم .وامتشوا العظم .وامتصوا المخ..."[5].أي أن بذور الأزمة كانت تتلخص في فرض جبايات وضرائب أثقلت كاهل الرعايا،ومن ثم كانت وفاته خلاصا لهم من ربقته.

وأما نواة الأزمة أيضا،فنستشفها من رسالة اليوسي له حيث يقول:"....فقد ضاع أيضا وذاك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة الثغور،وسيدنا قد غفل عنها،فقد ضعفت اليوم غاية..."[6].

---

(1) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص98.

(2) عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ج3،ص9.

(3) عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ج3،ص9.

(4) عبد الكريم الريفي:المصدر السابق،ص24.

(3) الحسن بن مسعود اليوسي:رسائل ابن علي اليوسي،ط1،تح:فاطمة خليل القبلي،د.ث،الرباط1401هـ/1981،2ج،ج1،ص239.

(6) الحسن بن مسعود اليوسي:المصدر السابق،ج1،ص240.

لقد كان لهذه السياسة المتغافلة في عمارة الثغور،ومن ثم التضييق على النصارى،عواقب وخيمة على السكان،ولأجل عمارة الثغور بالمحلات وتحريرها فيما بعد،ولأجل هذا فرضت عليهم اهانات كما يسميها بعض المؤرخين،وأسيء إليهم إساءات كبيرة؛ألحقت بالسكان كفرض الجبايات[1].

أيضا ساهم ظلم وجور عمال وقواد في استفحال بذور الأزمة ،على غرار قائده الخطير "أبو علي الرويسي" الذي ولاه على فاس،فبلغ بإساءاته مبلغا عظيما[2].

لقد عبّر عن هذا (اليوسي)، حيث يقول:"...فقد اختل أيضا لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم،وهم المشتغلون بظلم الناس فكيف يزيل الظلم من يفعله،ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي..."[3].هذا عن وجهة نظر المصادر المحلية المغربية؟.

إن بوادر الأزمة كانت موجودة في حياة المولى إسماعيل العلوي،وهي تعكس مستويات العلاقة بين جهاز المخزن،والرعية سواء في المراكز والهوامش المغربية.فكيف صورت لنا المصادر الغربية ذلك؟

وبما أنني أتناول بالدراسة خلال الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري/النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي،أرى من الضروري أن أركز عليها هي فقط،وفي هذه المرة من وجهة نظر غربية،ولكنها ليست كباقي المصادر الأجنبية[4]،لماذا؟

ويعود ذلك حسب تقديري،إلى سببين:

---

(1) عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ج3،ص17.

(2)المرجع نفسه،ج3،ص17.

(3)الحسن بن مسعود اليوسي:المصدر السابق،ج1،ص241.

(2)أسجل هنا أن المصادر التي أعنيها ،هي مصادر الأدب الجغرافي،ولذا كل مايرد في الصفحة أعلاها وبعدها،يمكنني تسجيل ملاحظة عليه،وهو أنه يظل فقيرا بالنسبة لإفريقيا،تقول فالنسي لوسيت:"...الأدب الجغرافي أو الاثنوغرافي(وصف الشعوب)يظل فقيرا،ولئن ظهر تذوق ما للبلاد العربية،فإن إفريقيا الشمالية ليست على ما يكفي من التوحش لتستحق الانتباه..."،ينظر:

- Valenci Lucette: Op.Cit,p18.

-**السبب الأول:** هو أن صاحبها ليس فرنسيا ولا اسبانيا،ولا انكليزيا،ولا حتى هولنديا،ولكنه كان البولوني جون بوتوكي(Jean Potocki)(1175-1229هـ/1761-1815م)،وهذا أمر لم يألفه المغاربة أنفسهم في مجال المصادر الأجنبية،ونعتقد أن هذا الثراء والتنوع من شأنه أن يجلّي الحقيقة التاريخية في مثل هكذا مواضيع.

-**السبب الثاني**:أن قيمة هذا المصدر في نقطة العلاقة بين المخزن والرعية،وقف عليها بعد حدوثها،ولذا قدم لها من زاوية أخرى،زاوية مشاهدة ومعاينة الانعكاسات،وهي خير دليل على تقييم المجهود البشري في سياساته.وتاريخ تأليف هذه الرحلة كانت في صيف سنة1205هـ/1791 م[1].

يقول الباحث (سعيد توتاي)،عن طبيعة العلاقة بين المخزن والرعية:"...وبدوره سار الرحالة البولوني جون بوتوكي على هذه النمطية في حديثه عن النظام السياسي المغربي الذي وصفه بالاستبداد في إشارة إلى حضور الإكراه المادي في إعطاء هذه العلاقة ماهيتها عبر الحركات التأديبية،واعتماد الجيش والشرطة لإخضاع القبائل المتمردة،مستدلا على ذلك بشكل العلاقة بين الحاكم والمحكوم،السلطان والرعية حيث تعتبر هذه الدراسات أن الموجه في هذه العلاقة هو الاستغلال الذي يمثله الاستعباد،إذ تحدث بوتوكي عن كثرة الإماء والعبيد في قصور السلاطين خاصة المولى إسماعيل..."[2].

---

[1] سعيد توتاي:"المغرب بعيون بولونية ،رحلة الأمير البولوني جون بوتوكي في القرن18"،ط1، ورقة علمية قدمت ضمن كتاب جماعي:المغرب والعالم المتوسطي، د.ت.ع.د.م.(ق16و20م)،تن:سعيد عدي،د.آ،الرباط2014،ص54.

[2] سعيد توتاي:المقال السابق،ص57،نقلا عن:

-Jean Potocki: Voyages en Turquie et en Egypte ,en Hollande ,au Maroc ,Fayard1980,pp35-234-244.

إن طبيعة العلاقة بين المخزن المغربي ورعاياه، لم تكن نظرة أحادية موجهة من طرف أجهزة المخزن،وإنما وجدنا في بعض المصادر الغربية،التي أرّخت للمجتمع المغربي،أن نظرة الرعايا كذلك كان يتخللها سوء فهم وانسجام مع المخزن المغربي،مما جعل هاته العلاقة في كثير من الأحايين تصطبغ بطبيعة العداء والتنكر له.

وعبر عن طبيعة هذه العلاقة الأب بوسنو(Dominique Busnot)،الذي زار المغرب ثلاث مرات في بداية القرن الثامن عشر[1].وممّا قاله عن الرعايا المغاربة:"...يميلون إلى القسوة،يثورون باستمرار..."[2].

ونعتقد أنا هذه الميزة أقرب إلى واقع المغاربة زمنئذ،فهذا رحالة جزائري،يقف على حالهم،ويقول بلسان حالهم:"...أنهم أنسوا الفتنة والهرج،ونحن قريب من المرج..."[3].

وهذه الصفة وجدت في نفوس المغاربة،ولكن حسب تقدير الدارسين لدرجات ومستويات هذه العلائق؛الحاكم والمحكوم،لن تكون مكتملة الصورة،إلا إذا بينا ماهية العلاقة بين البادية والريف،وبين الحواضر والبوادي،أو بين المراكز والأطراف

يقول العارفون بهذا الشأن:"...وتتسم(أي علاقة المجموعات القبلية)علاقتها بالحواضر بالتوتر والعداء..."[4].وعليه فالأزمة السياسية المغربية في الفترة المدروسة،تشعبت أطرافها،وتنوعت طبيعتها،واختلف في مستخرجاتها،الأمر الذي أعطى مؤشرا للمخزن المغربي،إعادة النظر في سياسته؛ومنها

---

[1]عبد الإله الدحاني:"مصادر المعرفة الأوروبية حول المغرب خلال القرن الثامن عشر"،ورقة علمية قدمت ضمن كتاب جماعي:الرحلة وصورة الآخر قراءات في نصوص الرحالة الأوروبيين حول المغرب،تق:كريم بجيت،د.آ،الرباط2013،ص30.

[2]عبد الإله الدحاني:المقال السابق،ص32،نقلا عن:

- Dominique Busnot: Histoire du règne de Moulay Ismail, Rouen 1731,pp149-151.

[3]عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:رحلة ابن حمادوش الجزائري،المسماة:لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال،تح:أبو القاسم سعد الله، ع.م،الجزائر2011،ص75.

[4]إرنست كلنير:السلطة السياسية والوظيفية الدينية في البوادي المغربية،ط1،تر:عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق،في ندوة:الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي،د.ت،دار البيضاء1988،ص45.

السياسة الخارجية،والتي يجب حسب تقديره متكيفة مع معطيات المجتمع ما بعد الفترة الإسماعيلية،ووجوب فهم الأحر الإقليمي،جيرانه أتراك الجزائر،هذا الفهم تجلى أكثر في عدم اعترافه بسياسة موطن دولتهم،ولذا فقد أرسى ما يسمى بالمشروع الانفتاحي مع الأتراك العثمانيين.

هذه الخواطر إن صحّ التعبير عنها في مثل ماسطّره الرحالة الأجانب في كتبهم،لا يمكن سوى وصفها،بأنها عبارة عن تمثلات ذهنية عن رجال القرن الثامن بقدر ما عن الواقع[1].

وقد كتبت المصادر المغربية في شأن الصراعات بين أبناء المولى إسماعيل وأحفاده،ما تنوء به ورقاتي التي أكتبها،وإذا ما حاولت فإنّي لن أوفي هذه النقطة حقّها،وهذا لاعتبارات أذكر منها:

– أن غرضي الأول هو التأكيد على العلاقة بين السياسة الداخلية والخارجية للبلدين،وما لذلك من آثار وتجليات على مقاربتنا للموضوع.

– حسبي أني أركّز في مثل هذه الجزئيات،على أنها ظواهر،أخذ منا التوصيف التاريخي فقط،دون الشرح والتتبع المضني لها.

وللمؤرخ (الناصري) عبارة تنم عن نوايا أولاده وهو حي،إذ يقول:"... ويقال:أن البعض من أولاده كانوا يستبطئون موته و يعبرون عنه بالحي الدائم..."[2].

وهناك مسألة أخرى هي في غاية الأهمية،أرى بسطها في هذا المقام وهي أن المولى إسماعيل هل أمر بالأمر لمن يخلفه وينوبه؟

وهي مسألة مختلف فيها،أوردها الناصري،إذ يقول:"...قال في البستان:كان السلطان المولى إسماعيل قد عهد بالأمر إلى ولده المولى أحمد المذكور، وكان يعير عنه بولي العهد،وأنكر أكنسوس أن يكون

---

(1) Valenci Lucette: Op.cit ,p22.

(2) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص99.

السلطان المذكور قد عهد لأحد من أولاده..."[1].ولكن في بعض المراجع الحديثة التي عدت إليها، وجدتها تقر بمسألة ولاية العهد،وأنها كانت أحد مسببات الأزمة[2].ولكن ما يؤخذ على هذه الدراسة عدم ذكر عزو المعلومة،بالرغم من أنها دراسة متخصصة!

وأعتقد أنه ربما شغور العرش من ولي عهد،فجر الأزمة،وبالتالي أدخل البلاد في صراع دموي أتى على منجزات الدولة،حيث عرفت هذه الأزمة بأزمة الثلاثين عاما،والتي هزت وقوّضت أركان الجهاز المخزني وتوابعه المجتمعية،وأحسن صورة لهذه الأزمة،تصدع البيت العلوي وتتالي تمرد الإخوة والأبناء[3].

في تاريخ المغرب هناك مأثورات شعبية،توحي بضرورة عدم الاطمئنان لها،ومنها:المخزن،النار،والبحر[4]،وجراء سياسات المخزن لحقت به وبالمجتمع أزمات.

فما هو السبب الحقيقي في حدوث أزمة الثلاثين عاما؟

وقد عبّر صاحب كتاب الضعيف في تاريخه عن ذلك،وفي نفس الوقت يصف مستويات الأزمة،حيث يقول:"...وعاد وصفان سيدي البخاري يعبثون بالأشراف،يبابعون وينكثون ويخلعون ويقتلون،وسبب ذلك لحق الدولة الهرم،وكانت دولة أبيهم من أعظم الدول في الإسلام وبهجة في جميع الأيام..."[5].

ووافقه في هذا الرأي (الناصري)من بعده،حيث يقول:"...ولم يعهد لأحد(أي إسماعيل في قضية توليته لولي من بعده)وإنما العبيد كانوا يقدمون من شاؤوا،ويؤخرون من شاؤوا..."[6].

---

(1) المرجع نفسه،ص100.

(2)دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص30.

(3)المرجع نفسه،ص30.

(3)عبد الأحد السبتي:عنف الدولة:تصورات وممارسات، ندوة عنف الدولة،هيئة الإنصاف والمصالحة،مراكش2004،ص5.

(5) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص110.

(6) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص101.

وأثناء تتبعي لإفرازات هذه الأزمة،وجدت أنها تحوي على مقاربة كانت مستترة وغائبة في موضوع العلاقات بين البلدين،حيث أنه بنهاية الأزمة،نراها أنها غيّرت في عملية بناء المخزن،وعطلت في أجهزته،وأتت بأجهزة أخرى،كانت هي الأساس الحقيقي في تغيير ملامح العلاقات السياسية.

هذا الملمح الجديد، تمثل في إقصاء المؤسسة العسكرية عن واقع العلاقات،ولذا رأينا أن معدل الحملات العسكرية كان طافحا في سياسة المغرب الإسماعيلي،وعلى إثره ظهرت وبدت مؤسسة دينية-مدنية، وماكان لهذه الأخيرة في تقديري من تغيير طبيعة العلاقات من الصدامية إلى الانفتاح بمختلف صوره.

وقد يتساءل آخر عن جوهر التغيير في موضوع العلاقات، إلا أن جوهر التغيير في هذه المرة قد مسّ الجانب الرسمي والشعبي على حد سواء، فإشراك الطرف الديني والمدني عزّز من الحضور الشعبي في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب،وهذا التعزيز كان طبعا تحت رعاية وإشراف السلاطين العلويين.

وجاءت إفرازات الأزمة على الشكل الآتي:"...ويستنتج منها استنتاجين هامين:الأول منهما مؤداه أن مبادرة الإصلاح جاءت من القصر،بل دفع بعض الأمراء أنفسهم ثمنا في سبيل تحقيق ذلك،وأن هذا الإصلاح لقي استجابة واسعة من لدن قطاع عريض من المغاربة،وكأنهم إنما كانوا ينتظرون الفرصة المواتية للتعبير عن آرائهم.و أما الاستنتاج الثاني، فمؤداه أن السلاطين الذين تزعموا تلك الحركة الإصلاحية،استندوا في عملهم على المؤسسات المدنية،وفي مقدّمتها مؤسسة الزوايا،الأمر الذي جعل طبيعة الإصلاح تأخذ منحى مدنيا-دينيا،وجعل للمؤسسة الصوفية مكانة مرموقة في البلاد،من جديد..."[1].

ويعلّق أحدهم على ارتكاسات تلك الأزمة،واصفا ذلك بدولة الفوضى والعبيد،فيقول:"... من وفاة السلطان إسماعيل سنة1139هـ/1727م إلى ولاية حفيده السلطان محمد بن عبد الله

---

[1]أحمد الوارث:"الأزمة في المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل العلوي ومحاولة تأسيس طبائع جديدة للملك"،ورقة علمية نشرت في:م.م.م.ع.ش.د.أ.ع،المغرب(د.ت)،ص10.

سنة1171هـ/1758م تغيّرت الدولة في 31سنة تغييرا كبيرا ومفاجئا،من الاستقرار والأمن وسلطة الدولة إلى فوضى الدولة وسلطة العبيد.فقد تولى في هذه الفترة القصيرة التي لا تعدو نصف مدة ولاية إسماعيل عدد من الإخوة من أبناء إسماعيل يحتار التاريخ في تتبع بداية ولاياتهم ونهايتها،فقد تولى أحمد(الذهبي) ثم عبد الملك، ثم عبد الله، ثم علي الأعرج، ثم محمد(ابن عربية)،ثم المستضيء ،ثم زين العابدين.سبعة من السلاطين لم تكن لهم جميعا أية مبادرة جدّية ولا توفيق سياسي لإقامة دولة..."[1].

وقد احتفظ لنا (ابن حمادوش)بظاهرة التقاتل بينهم،فيقول:"...ثم لما لم يمكّنه ذلك(أي عامل تيطوان أحمد بن عبد الله الريفي) والحال أنه قد خرج عن مولاي عبد الله،فبعث إلى عسكر العبيد بمشرع الرملة وقال ننصروا مولاي المستضيء بنور الله حتى نصروه.وبقي بمكناسة ومولاي عبد الله في فاس..."[2].

ومما زاد في تفاقمها،هو امتداد الأزمة وخروجها من داخل البلاط،بل تجاوزته لتشمل القبائل العربية التي كانت تلجأ إلى مساندة الأمراء الذين كانت أمهاتهم من تلك القبائل،فمثلا نجد قبيلة بني مالك تتحالف مع مولاي عبد الله،وتعلن الحرب على قبائل الحيياينة،ثم ضد العبيد عند رجوعهم بالبيعة لأحمد الذهبي[3].

ب–تدخلات المؤسسة العسكرية (جيش عبيد البخاري)في الشؤون السياسية:

يتبادر إلى ذهن الباحث في البداية طرح التساؤل الآتي: ما المقصود بجيش عبيد البخاري،وما هو مشرع الرملة؟وهل فعلا تم إقرار الأمن والوحدة في المغرب بفعل هذه المؤسسة المستجدة؟

جاءت فكرة إنشاء هذا جيش،من اختراع محمد بن القاسم عليلش المراكشي،فهو الذي أوجد لهذا الجيش ديوانا وقدّمه عدوا الله؛ أي عليلش كما يقول الضعيف، للسلطان الجليل مولانا إسماعيل بن

---

[1] عبد الكريم غلاب:المرجع السابق،ج3،ص ص19-20.

[2] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:المصدر السابق،ص75.

[3] عبد الكريم الريفي:المصدر السابق،ص25.

الشريف[1]،وعندما أعجب هذا الأخير بالفكرة بعث لكاتبه أبا عبد الله محمد بن العياشي المكناسي إلى قبائل الغرب وبني حسن وأمره بجمع العبيد بها،وبذلك خرج واستقصى كل أسود[2].

وكان هذا الديوان عبارة عن دفتر يضم أسماء العبيد، الذين كانوا في معسكر المنصور،وعليلش كما يقول الناصري،كان من بيت رياسة؛حيث كان والده كاتبا لدى المنصور ومع أولاده من بعده[3].

سأل المولى إسماعيل عليلش عن أثار هؤلاء،فأجابه:"... نعم،كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير،ولو أمرني مولانا بجمعهم لجمعتهم.فو لاه أمرهم..."[4].

وأودّ أن أبيّن أن مسألة تأسيس هذا الجيش لاقت معارضة كبيرة،سيما من طرف ساكنة وفقهاء فاس،يورد لنا في هذا الشأن القادري،ما نصه:"...وفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية من عام أربعة عشر ومائة وألف خرج السيد محمد اعليلش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء ما أراد على شأن الحرّاطين..."[5].

وأما عن سببب تسميتهم بعبيد البخاري،نجد تفاصيلها كاملة عند الناصري،حيث يقول:"...وأما سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري:فإن المولى إسماعيل رحمه الله لما جمعهم وظفر بمراده بعصبيتهم واستغنى بها عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله تعالى وأثنى عليه،وجمع أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم:"أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه

---

(1) محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص85.

(2) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص57.

(3) المرجع نفسه،ج7،ص56.

(4) نفسه،ج7،ص56.

(5)القادري:المصدر السابق،ج3،ص145،أثارت مسألة التجنيد هذه حفيظة علماء المغرب،ولاسيما علماء فاس،وكان من نتائجها إلى إقدام المولى إسماعيل تصفية بعض منهم،كالعالم "جسوس"،حول هذه المسألة ينظر:الحاج ساسيوي الفيلالي:"العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى"مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل نموذجا(1672-1727م)"،في مجلة كان التاريخية،دورية محكمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية،الكويت2012م،السنة الخامسة،ع15،ص ص70-76.

المجموع في هذا الكتاب،فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل"فعاهدوه على ذلك،وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدمونها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل،ومازال الأمر على ذلك إلى هذا العهد فلهذا قيل لهم عبيد البخاري..."[1].

جاء عند صاحب كتاب (زهر الأكم)،في التعريف بمشرع الرملة:"...مشرع الرمل من تأسيس مولاي إسماعيل،وهو عبارة عن معسكر يقيم فيه عبيد البخاري،ويقيم فيه ديوانهم،ويقع على جانب واد تيفلت قريبا من سيدي يحي..."[2].

وجاء في سلسلة مدن وقبائل المغرب، مايلي:"...يمر واد (تيفلت)عبر سيدي يحي ليختفي في المرجة(مرجة بني حسن)قرب مشرع الرملة،عند واد تيفلت ،على بعد 11كلم جنوب مشرع الرملة،كانت تقوم،قديما،مدينة بناها جيش العبيد سنة1674،وخربوها سنة 1746،لازال منها بقايا دور وقصور كان يستوطنها قادة هذا الجيش..."[3].

وتحديدا للموقع[4]،يقول فيه صاحبه أنه الأقرب للحقيقة،حيث يقول:"...اتفقت الإشارات التاريخية إلى أنه كان يقع في قبيلة بني حسن شمالي مدينة سلا..."[5].

فصحيح أن الفضل الكبير في تغيير وجه المغرب العلوي،من الضعف والتمزق،ومن الانفصال إلى الوحدة،وجمع الكلمة على السلطان إسماعيل العلوي،يعود إلى جيش عبيد البخاري،ولكن هذا لا يغفل دور الفئات الشعبية،ومدى تأطير السلطان له.

---

(1) الناصري:المرجع السابق،ج7،ص ص58-59.

(2)عبد الكريم الريفي:المصدر السابق،ص182،ها رقم:(461).

(3)المصطفى البوعناني:"مشرع الرملة"،ط1،،ورقة علمية قدمت في كتاب تكريمي لمحمد حجي:متنوعات حجي،د. غ.إ،بيروت1998،ص234،نقلا عن:

-Mission Scientifique du Maroc : Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région,t3,pp254-261.

(4) في قضية تحديد مكان مشرع الرملة،فقد وردت فيه ثمان روايات،ينظر: المصطفى البوعناني:المقال السابق،ص ص233-235.

(5)المقال نفسه،ص233.

وفي هذا الصدد يقول الباحث (إبراهيم حركات):"...ولكن هذا الجيش بمعونة النضال الشعبي الذي لا مراء في مردوديته،وبقيادة حازمة وعنيدة من العاهل الكبير،استطاع أن يحقّق افتتاح عدد كبير من الثغور،واستخلاصها من المستعمر الأجنبي،وأن يضع حدا لثورات الأمراء،وبتالي للمحاولات الانفصالية المستترة بظل هؤلاء الأمراء..."[1].

فما هي مميزات هذا الجيش؟

وصف بعض من المؤرخين هذا الجيش،بقوله:"...ولم يكن لهذا الجيش الإفريقي عاطفة وطنية ولا أية خطة إصلاحية أو تنظيمية..."[2].

يكتسي هذا الجيش خاصية الحداثة،وكان منتميا منذ تأسيسه لذات السلطان،وبالتالي ولد فيه انعزالية عن المجتمع[3]،على أن أهم ميزة ميزت هذا الجيش،اعتماد مؤسسه في تكوينه،وضبطه،على النمط التركي؛الجيش الإنكشاري[4].

وتؤكد في نظرنا استلهام تجربة إسماعيل العلوي في تكوين جيشه،على جوهر مقاربتنا،إذ بهذا نجده يدشن طبيعة الانفتاح في علاقاته بالأتراك العثمانيين،وهو في ذلك سابق لحفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله،في مقاربته للعلاقات بين الجزائر والمغرب،وتأكيده على الانفتاح والتعاون العسكري داخل منظومة العلاقات السياسية بين النظامين.

يضاف إلى ذلك أن أهم ميزة لهذا الجيش، هي ميزة بلورة الدولة العلوية فوق القبلية وفوق الطرقية[5].

ما أسباب تحرك المؤسسة في اتجاه الفوضى وشل المؤسسة السياسية؟

---

[1] إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص60.

[2] المرجع نفسه،ص63.

[3] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص29.

[4] المرجع نفسه،ص29.

[5] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص29.

كان لوضعيته المادية المزرية أثر فعال في تحركاته ومؤامراته ضد النظام الحاكم بعد وفاة مؤسسه مولاي إسماعيل[1].

تجلى الدور السياسي لعبيد جيش البخاري،أن أضحوا من أهل الحل والعقد،وبذلك تسلطوا ولأول مرة في تاريخ المغرب،و انتقلوا من مؤسسة عسكرية،إلى مجلس عسكري سياسي بيده سلطة تشريعية وتنفيذية،أو بالأحرى كونوا مجلس وصاية[2].

لمعت أسماء من قادة هؤلاء في المجال السياسي، نذكر منهم إجمالا:

-الباشا مساهل بن مسرور الدكالي،-ابن النويني،-سالم الدكالي،-القائد الحوات،-فاتح الدكالي،-الباشا بوعزة مول الشربيل[3]،-فاتح بن النوبي[4].

إن هذا الدور الخطير الذي أدى أدواره جيش العبيد،قد أدخل المغرب العلوي في أزمة حقيقية،امتدت أفقيا وعموديا،وحرمت المخزن العلوي من أن يمارس سياسته وسيادته على مستوى العلاقات الخارجية،ومن بين الملحوظات في هذا الجانب حسب تقديري،واطلاعي على هذه الزاوية بالذات،أستطيع أن أقول بأن المغرب العلوي في هذه الفترة قد خسر جزءا كبيرا من سيّادته الخارجية،وانكفأ بذلك دوره في المنطقة المغاربية،وحتى الدولية.

ولهذا ومن باب الموضوعية،المغرب العلوي في هاته الفترة كانت صورته باهتة في المجال العلائقي،سواء مع الأتراك العثمانيين،أو مع الباب العالي.

---

(1) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص63.

(2) المصطفى البوعناني:المقال السابق،ص228.

(3) المقال نفسه،ص ص229-230.

(4) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص77.

ولذا لم يقدم في سبيل تطوير العلاقات الإسلامية في المغارب أي جهد،وما سجلناه في علاقاته الخارجية، كان موجها ومقيدا من طرف الأتراك العثمانيين.

استطاع الباحثون أن يرصدوا لنا موقف الباب العالي من المغرب العلوي عقب أزمة الثلاثين عاما،حيث تجلى هذا الموقف في ستة رسائل وجهت من الباب العالي[1]؛ أربع رسائل للمولى عبد الله بن إسماعيل (27صفر1147/1142هـ/مارس1735/1729م)،واثنتان للمولى عبد الملك بن إسماعيل(1140هـ/1728م)[2].

من خلال تصفح عدد من الرسائل العثمانية، يمكن أن نستخلص بأن الباب العالي كان يبحث عن موطئ قدم له في رسم سياسة المغرب العلوي المتهالك،والمنقاد من جيش العبيد كما مر معنا أنفا،ولهذا ومن خلال التنقيب سجل لنا المؤرخ بنحادة،موقف الباب العالي،والمتمثل في احتوائه للمغرب العلوي،وبذلك أصبح من مشمولاته،وأقر بتبعيته وبخلافته،إذ يقول:"...ولا مراء في أن الباب العالي حاول أن يشغل بعض الظرفيات السياسية الصعبة لإخضاع المغرب وهو ما نجده واضحا في رسالة موجهة من مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل العلوي إلى الباب العالي،والتي تبين ولاء وتبعية المغرب لاسطنبول من خلال إلقاء خطب الجمعة باسم الخليفة العثماني..."[3].

شكّلت الجزائر،للسلاطين العلويين أثناء أزمة الثلاثين عاما،منطقة لجوء سياسي،وفي هذا أيضا دلالة على تبعية المغرب العلوي للباب العالي،ومن أمثلة ذلك ما حدث للمولى علي الأعرج بن

---

[1] عبد الرحيم بنحادة:من مصادر...،مقال سابق،ص133.

[2] المقال نفسه،ص133،ولفهم لماذا لا يريد المغاربة إقرار هذه الحقيقة؟،الإجابة عليها في نظرنا،مكمنها أن المغاربة يفصلون بين تبعيتهم للباب العالي،وبين تبعيتهم لأتراك الجزائر،هذا أولا،وثانيا:أن المغاربة استشعروا قضية مهمة جدا في موضوع العلاقات؛وهي أن الحكم العثماني للمغارب ومنها الجزائر في تلك الفترة،كان يعبر عن المنطقة أكثر من تعبيره عن النظام العثماني،فلهذا هم حسب تقديرنا يرفضون الثاني،ويقرون بالأول، عن إشكالية تمييز الحكم العثماني ببلاد المغارب،ينظر:رقية شارف:المقال السابق،ص140.

[3] عبد الرحيم بنحادة:من مصادر...،مقال سابق،ص ص133-134.

إسماعيل(1147-1149هـ/1735-1736م)،حينما وجد في الجزائر،وبالضبط بتلمسان موطنا ومقاما له كلاجئ سياسي هو وأربعين رجلا تابعين له[1].

أدى الأتراك العثمانيون دورا بارزا، في تجسيد رغبة بعض سلاطين وعمال وقواد المغرب العلوي في انضوائهم تحت رايتهم،ومن خلالها راية الباب العالي؛وذلك عن طريق ورقة اللجوء السياسي،أو ورقة الاعتراف الرسمي بالولاء لهم،كما أثبتته الوثائق العثمانية.

وفي هذه الصدد،نورد وجهة نظر صاحب كتاب(التقييدات)، التي تثبت وتتلاقى فيه مع الوثائق العثمانية،حيث يقول صاحبه فيه:"...لأن في هذه المدة وقعت غريبة.اجتمع حاكم تطوان وحاكم تونس هنا وصلوا جميعا في المسجد الكبير،أحدهما بإزاء الآخر.كان ذلك سابقا على أن يجتمع حاكم تونس وحاكم تطوان على الجزائر فسبق اللطف،فكان تحت أمر حاكمنا لا فوقه[2].

وهذا من الألطاف الخفية.لأن هنا محمد باي وأخوه محمود باي فارين من تونس من ابن عمهم علي باي،وهنا القائد عبد الواحد ابن الباشا علي بن عبد الله الريفي،فار من مولاي عبد الله حين قتل أباه..."[3].

---

[1] إبراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص70.

[2] حسب كتاب التقييدات لابن المفتي،فإنه يعطينا فكرة عن هذا الحاكم،هو الباشا إبراهيم خوجة الخزناجي،الذي حكم بعد إبراهيم باشا(1145-1158هـ/1732-1745)،ينظر:ابن المفتي حسين بن رجب شاوش:تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها،ط1،تح:فارس كعوان،ب.ح،الجزائر2009.،ص ص62-63.

[3] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:المصدر السابق،ص134،وهنا ملاحظة نسجلها للقارئ،حيث أن المرحوم أبو القاسم سعد الله،لاحظ واستدرك على مؤلف"لسان المقال"،ما يلي:"...في هذه الأسماء بعض الخلط.فإذا كان عبد الواحد هو ابن المقتول فيكون المقتول هو أباه أحمد الريفي وليس علي بن عبد الله.وإذا كان عبد الواحد هو أخ المقتول فيكون الصحيح هو أخاه(أحمد الريفي)."،ينظر:نفس المصدر والصفحة،ها رقم:(427).

2-الوضع السياسي في الجزائر خلال عهد الدايات

أ-نظام الحكم في عهد الدايات:

لعل أهم ما يمكننا أن نستهل به حديثنا عن نظام الحكم في عهد الدايات[1]،أن بداياته الأولى ومع أول دولاتلي،تقلد زمام السلطة الحاج محمد التريكي1082هـ/1672،اتسم بحسن التسيير،وتقديم هذا الداي المصلحة العامة[2].

تعليل ما قام به الداي،أو الدولاتلي الحاج محمد التريكي،يتمثل في انتمائه إلى طائفة رياس البحر،فما وجه المقاربة هنا بين هاته الطائفة وتقديرها للصالح العام على الأقل في بدايات هذا النظام؟

وتؤكد بعض الدراسات التي اختبرت جوهر الدايات،على أن هاته الطائفة لم تكن منضوية،ولا خاضعة خضوعا تاما للنظام الإداري[3].وبالإضافة إلى أن فلسفة هؤلاء كانت نابعة من إرساء سبل كسب مودة السكان[4].

وفي أثناء فترة حكم الداي علي باشا شاوش(1122-1130هـ/1710-1718م)، أقبل على استحداث مجلس حكومي،بديوانيه الخاص والعام،وبذلك أضاف إلى نظام الإيالة بعدما كان عسكريا،النظام المدني، وأصبحت للإيالة معالم جمهورية[5].

وفي عهدهم تمّ تمدين القبائل بفضل مشاركتهم في النشاط البحري،وبها استطاع الدايات ربطهم بالوطن والذود عنه،يقول حمدان بن عثمان خوجة:"...ثم تمكنوا بالتدريج من تمدين القبائل بواسطة

---

(1) الدايات مشتقة من كلمة الداي بالتركية :أي الخال أطلق على أجناد الإنكشارية العثمانيين في شمال إفريقيا.صار فيما بعد أحد مراتب السلطة في الدولة العثمانية منذ عام 1671م في الجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي1246هـ/1830م ،عرف هذا النظام كذلك في تونس وطرابلس الغرب.ينظر:مصطفى عبد الكريم الخطيب:المرجع السابق،ص175.

(2)ورد عند ابن المفتي تحت اسم"حسن قبطان التريكي"،ينظر: ابن المفتي:المصدر السابق،ص55.

(3) محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق،ص42.

(4) المصدر نفسه،ص42.

(5) Ernest Watbled :Pachas – Pachas – Deys,in ,(R. A) 1873, N°17 ,PP.439 –441.

إشراكهم في النشاط البحري، حيث كانوا يحاربون بشجاعة وإقدام موقنين بأنهم إنما يستشهدون في سبيل الدين..."[1].

شهدت الجزائر في عهدهم بروز سلطة محلية مستقلة،والتي مثلها الآغوات ابتداء من 1069هـ/1659م ثم الدايات ابتداء من 1081هـ/1671م[2].وتشكل هذه السلطة؛بداية الانفصال أو الفكر الاستقلالي، حيث بدأ يتبلور ويتجسد لدى حكام إيالة الجزائر أكثر فأكثر في عهد الدايات[3].

وخلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري /السابع عشر ميلادي انفصلت الجزائر بشكل خفي عن سلطة الأتراك العثمانيين [4]،إذ تعد سنة1069هـ/1659سنة الانفصال الحقيقي عن الدولة العثمانية ،حيث لم يبقى للباشا من سلطة ونفوذ على إيالة الجزائر سوى مقاطعة دار السلطان[5].

وفي عهدهم انفرد العسكريون بحكم الجزائر،وتنقسم فترة الحكم العسكري هذه إلى مرحلتين[6]؛

---

[1]حمدان بن عثمان خوجة: حمدان بن عثمان خوجة:المرآة،تح:محمد العربي الزبيري،منشورات(ANEP)،الجزائر 2006،ص ص76-77.

[2]ابراهيم حركات:المرجع السابق،ج3،ص13.

[3] وأما عن فكرة الاستقلال الواضح فقد عبر عنها" أوجين بلانتي" (Eugène Plantat) بقوله:"..لقد أخذ الجزائريون ابتداء من سنة1671م،ينتخبون بأنفسهم رئيس دولتهم ،مدشنين بذلك عهد الدايات بدون إذن من الباب العالي،ولم يعودوا يتركون لمبعوثي السلطان إلا وظائف شرفية،ثم ابتداء من سنة1710م،أخذ الداي ومساعدوه يطردون بالقوة ممثل السلطان،تاركين للدايات وحدهم السيادة المطلقة في السلطة.."،ينظر:

-Eugène Plantat: Op,Cit ,T2,pp333-334.

[4]عبد اللطيف الشادلي:الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م،م.ك.آ.ع.إ.ر،س.أ.ر،الرباط1982،ص33.

[5]دار السلطان مقره الجزائر وهو يمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ،وساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا،وتضم إقليمي :الساحل ومتيجة،ويخضع مباشرة لرؤساء السلطة التركية العثمانية،وتنقسم إلى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش،وكل وطن يتكون من دواوير،ينظر حنيفي هلايلي:أوراق في تاريخ ...،مرجع سابق،ص146.

[6]جميلة معاشي:الإنكشارية والمجتمع بباياك قسنطينة في نهاية العهد العثماني،رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،(غ.م)،إشرا:كمال فيلالي،جامعة منتوري ،قسنطينة2007-2008 ،ص37 .

مرحلة الآغوات[1](1069-1081هـ/1659-1671م)،

ومرحلة الدايات(1081-1246هـ/1671-1830م).

لقد رسّخ الدايات إلى نظام أقرب بالحكم الاستبدادي،بعدما أنهوا، أو غيّروا نظام حكم القلة(oligarchie)[2]،وفي هذا الباب نسجل أن موقع هؤلاء من سابقيهم في الحكم،تجلى في أن الأوائل من الدايات،والبايلربايات،والبشاوات،كانوا يحصلون على سلطتهم من الخارج بواسطة نجاح النشاط البحري أساسا[3]. في حين كان الأواخر منهم يقررون ذلك من الداخل وبقوة وشدة[4].

كلمة من الداخل قصد بها مؤلفها،توجيه أنظار الدايات إلى فرض جبايات وضرائب كتعويض عما خسروه من عوائد النشاط البحري،وهذا أمر مشروع في عقود قيام الدول،شرقها وغربها،ولكن ما يبدو لي أنه أمر مبالغ فيه،لفظة وبقوة وبشدة!.

وذلك أن كلمة القوة والشدة لا تفهم ،إلا في إطار طبيعة العلاقة بين الدايات والسكان[5]،ولكن لا لا بأس أن نبيّن وجه الصواب في هذه القضية،مادمت أنني استشهدت بهذه العبارة.

---

[1]الآغوات لفظة فارسية مشتقة من:آقا أو أفا وهي بمعنى الأب أو العم أو الأخ الكبير،استعملها الأتراك لدلالات كثيرة عبر تاريخهم الطويل منها:آغا الإنكشارية ،آغا استانبول،وترد عند الأتراك أيضا بمعنى السيد الآمر،ينظر:مصطفى عبد الكريم الخطيب:المرجع السابق، ص ص 11-12.

[2]أمين محرز:الجزائر في عهد الأغوات(1659-1671)،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،(م)،إشرا:عائشة غطاس،جامعة الجزائر،الجزائر2007-2008،ص154.

[3]محمد شاطو:نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،(غ.م)،إشرا:عمار بن خروف،جامعة الجزائر،الجزائر2005-2006،ص83.

[4] محمد شاطو:المرجع السابق،ص83.

[5] هاته الطبيعة أدرجتها في العنصر الموالي تحت مسمى: مستويات العلاقات بين الجانبين:المركزي والمحلي في عهد الدايات.

إن جوهر الشدة والقوة ينطبق حقيقة وواقعا،على القبائل المحلية؛قبائل المخزن والقبائل المتعاونة، والتي كانت مكلّفة بجمع الضرائب وفقا لرغباتها ومصالحها،لا على شدة الأتراك العثمانيين؟[1].وكما أن العيب ليس في النظام الضريبي،بقدر ما هو مرتبط بالأعوان المكلفين بهاته المهمة[2].

وقد عبّر (ابن الفكون) في نوازله عن هذه القضية،واصفا مجالات سلطة الفئات الحاكمة باسم الأتراك العثمانيين،من تصرفهم في كل شيء كالرواتب،الزواج،النيابة عن السلطة في عملية بيع الأراضي[3]،ويبن لها موقف أهل قسنطينة منهم،إذ يقول:"...بأن أهل قسنطينة كلهم عاما أو خاصا..ولذلك لم يكرهوا غيره من القواد ولا من أولاد عرب المخزنية..."[4].

أيضا لا ننسى أن التركيبة الإدارية،وحتى التركيبة البشرية في البايلك كانت متعددة،فعلى سبيل المثال لا لحصر، مقر باي البايات[5]،جعل له الأتراك العثمانيون خليفة وأعوانا وأغوات:

أغا الدوائر،وهم من الأعراب،وأغا الصبايحية،وهم من الأتراك[6].

كانت بعض الأوطان،تحكم بصفة انفرادية؛مثال ذلك قائد سباو، لم يكن له خليفة مثل البايات[7].

---

[1]أرزقي شويتام:المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519-1830م،رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،(غ.م)،إشرا:عمار بن خروف،جامعة الجزائر ،الجزائر2005-2006 ،ص347 .

[2] أرزقي شويتام:المرجع السابق،ص347.

[3]بلخوص الدراجي:جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايليك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 10-11هـ/16-17م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،(غ.م)،إشرا:مختار حساني،جامعة الجزائر،الجزائر2012،ص70.

[4] بلخوص الدراجي:المرجع السابق،ص70،نقلا عن:نوازل ابن الفكون،و:208،ها رقم:(3).

[5] المقصود به ولاية الجنوب،وهو باي التيطري،أسس في سنة 947هـ/1540م،وعاصمته المدية،وهو أصغر بايلك،وأولى ولاية بعد ولاية الجزائر العاصمة،ينظر: محمد بن ميمون الجزائري:مصدر سابق،ص36.

[6]أحمد الشريف الزهار:مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر(1168-1246هـ/1754-1883م)،تح:أحمد توفيق المدني،ش.و.ن.ت،الجزائر1974،ص35.

[7]كانت عمالته زواوة،ينظر: أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص ص35-47.

ولتقصي نوع العلاقة بين المركزي والمحلي،في فترة الأتراك العثمانيين،يلاحظ أنها تكون حاضرة أكثر،ومكتملة الصورة،في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي،حيث أن نشاط البحرية الجزائرية تراجع،وبالمقابل اعتمد الأتراك العثمانيون على عائدات الجبايات،وأصبحت بذلك الممون الوحيد لهم،مع تنوعها وقلة ثروات السكان،فإنها ارتبطت بوضعية الأرض واستغلالها،وطبيعة علاقة السكان بالحكام العثمانيين[1].

لقد حاول الأتراك العثمانيون في هذه المرحلة العمل على إنعاش بحريتهم،ولكن هذه المحاولات لم تؤتي ثمارها،إذ تأكد التراجع والتقهقر،وسبب التدهور هو عدم مسايرتهم للتطورات العلمية والتكنولوجية في مجال العسكري،ولا أدل على ذلك من استعمالهم سفن من نوع:الغليارة،الشباك والغراب،في حين لو نظرنا لأوروبا،من حيث مجالات استعمالاتها،نجد أنها كانت تستعمل للصيد البحري[2].وماكان مستعمل عندئذ في أوروبا في مجال البحرية،سفن من نوع يدعى السفن العالية(Ship Of Line)[3].

وفي ختام هذه الجزئية لابد من تسجيل ملاحظة هامة جدا،ألا وهي أن الجزائر في القرن الثامن عشر فترة الدراسة،بالرغم ما قيل عنه من تأخر في جميع المجالات،لكنني هنا بالذات أسجل نقطتين هامتين:

-النقطة الأولى:أن الجزائر فيه عرفت نوعا من الاستقرار السياسي واستكملت بذلك وحدتها السياسية باسترجاع مدينة وهران في عهد باي الغرب (الباي محمد الكبير 1784-1799م)[4].

-النقطة الثانية:وهي كتحصيل حاصل للنقطة الأولى،تتمثل في أن الجهة الغربية التي كانت في نظرنا كخط الليمس إن صح التعبير بين الجزائر والمغرب،حيث أن بايلك الغرب اكتسب أهمية جغرافية وتاريخية

---

[1]محمد الخداري:"بلاد المغارب تحت الحكم العثماني نموذج الجزائر في عهد الدايات(1671-1830)"،في مجلة كان التاريخية،دورية محكمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية،الكويت1435هـ/2013م، ع22،ص30.

[2]قرباش بلقاسم:الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،(غ.م)،إشرا:ودان بوغفالة،جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر ،الجزائر2015-2016 ،ص292 .

[3]قرباش بلقاسم:المرجع السابق،ص292.

[4]فتيحة الواليش:الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،(غ..م)،إشرا:مولاي بلحميسي،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1993-1994،ص179.

امتاز بها عن الفترات السابقة،إذ امتاز الإطار الطبيعي بثراء عناصره كما ساد هذا الأخير نوع من الانسجام والتكامل[1].

فما طبيعة العلاقة بين السكان والدايات؟

ب–مستويات العلاقات بين الجانبين:المركزي والمحلي في عهد الدايات:

من بين القضايا التاريخية المهمة،ونحن نعرض جوانب ومستويات العلاقات بين السكان والأتراك العثمانيين،التأكيد على أن محور العلاقات في الغالب الأعم كان عموديا وأفقيا طوال العهد العثماني؛إذ نقصد بالعلاقات العمودية تدخلات الأتراك العثمانيين فيها،وبالعلاقات الأفقية تدخلات السلطة المحلية في البايللك.

ولهذا جاء كتاب (ابن الفكون) حافلا،ومشحونا بالأحاديث عن تدخلات السلطة في أمور الناس،سواء سلطة الجزائر العاصمة(الأتراك العثمانيون) أو سلطة قسنطينة المحلية[2].

إن العرض لمستويات العلاقات بين ما هو مركزي؛السلطة الحاكمة،وبين ما هو محلي؛سلطات محلية،وحتى رعايا،يمكننا ليس من معرفة طبيعتها فقط،وإنما يطلعنا أيضا على مقاربات تعكس انعكاسات حالة الصدام والعداء بين الجزائر والمغرب خلال فترة الدراسة.

وفي هذه الجزئية،جزئية نفور وتبرم السكان من الأتراك العثمانيين،نعتقد أيضا أنه ناجم عن بعض أخطاء الجهاز الإداري للأتراك العثمانيين،ولكن هذا السبب ليس هو الموجه الرئيسي لها فحسب،بل لاحظنا أن للمغرب دور كبير في تغذية حالات الشعور السلبي تجاههم.فهذا حمدان خوجة يحدثنا عن طبيعة العلاقات بين سكان الجهة الغربية من الإيالة والأتراك العثمانيين،إذ يقول:"...وأن العرب لا يقبلون

---

(1) فتيحة الواليش:المرجع السابق،ص177.

(2)عبد الكريم الفكون:منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،ط1،تح:أبو القاسم سعد الله،د.غ.إ،بيروت 1408هـ/1987،ص9.

أبدا في صفوف الميليشيا،ونتيجة هذا التمييز تولد بين الصنفين(الأتراك العثمانيون والعرب)،في تلمسان،حقد مازال إلى يومنا هذا وكثيرا ما يؤدي إلى صراع بينهما في وسط المدينة..."[1].

هذا الرأي لا يفهم ،إلا في إطار سياسة السلطان عبد الرحمان بن هشام(1237-1276هـ/1822-1859م)،الذي أوكل له الفرنسيون مهمة الحد من هذا الصراع،فما كان منه إلا أن عبّر على نوايا المخزن العلوي في احتوائه للجزائر،وعن طريق اللعب على تاريخية العلاقات بين العرب والأتراك العثمانيين بالجهة الغربية[2]،وأما عن المؤرخ الناصري،فقد ذكر أن المهمة لم توكل له من طرف الفرنسيين،وإنما أتته رغبة أهل تلمسان في مبايعتهم له[3]،وبذلك أمّر عليهم واليه ابن عمه المولى علي بن سليمان،وعامله القائد إدريس[4].

كانت طبيعة العلاقات بين السكان والأتراك العثمانيين،تتحكم فيها عدة عوامل،منها أن تقسيمهم إلى فئات كانت تتحكم فيه عدة أهداف سياسية ومادية مشتركة[5].وتبعا لهذا نجد أن أنماط العلاقات تختلف من فئة إلى أخرى،ففئة السكان في المدن كانت أكثر انسجاما ووحدة،بفعل الخطر الخارجي[6]،عكس سكان الريف الذين كانوا أكثر انسجاما من حيث تركيبته السكانية[7].

هذا عن مستويات العلاقات داخل الفئات ذاتها،وإذا أردنا أن نوصف على الأقل طبيعة،أو علاقة كل فئة من الفئات بالسلطة،نجد أن هذا يتعثر في حالة عدم استحضار الموقع الجغرافي لكل فئة،فالعلاقة بينهما يحددها موقعها الجغرافي[8].

---

(1) حمدان خوجة:المصدر السابق،ص56.

(2) المصدر نفسه،ص56.

(3) الناصري:المصدر السابق،ج9،ص ص27-30.

(4) المصدر نفسه،ج9،ص ص27-29.

(5) أرزقي شويتام:المرجع السابق،ص346.

(6) المرجع نفسه،ص346.

(7) نفسه،ص346.

(8) أرزقي شويتام:المرجع السابق،ص346.

يرى المتخصصون في هذا أن مستويات العلاقة بين السكان والأتراك العثمانيين،تراوحت بين المجالات الاقتصادية ،والاجتماعية ،والثقافية،وهذا مثلته طائفه الحضر في المدن،مع تسجيل ضعف أدوراها السياسية داخل منظومة الأتراك العثمانيين،مع إمكانيتهم أخذ أدوارهم السياسة لو أرادوا[1].

وربما هذا يبرر ما سمّاه البعض سياسة التهميش المطبقة من طرف الأتراك العثمانيين، من أنها كانت متداخلة مع إرادة السكان،إذ يمكن لنا أن نركن إلى أن هاته السياسة الإقصائية قد ساهمت فيها حتى الرعية نفسها.

وأما عن مجالات العلاقة الاقتصادية البحتة بين السكان والسلطة، فقد مثّلها المجتمع الريفي أحسن مثال[2].

الحديث عن نوعية العلاقة بين المركزي والمحلي،يفضي بنا إلى طرح تساؤل:

ما نوعية الحكم العثماني للإيالات؛المغاربية والمشرقية على حد سواء؟وما هي المجالات الترابية لحكم الأتراك العثمانيين بالجزائر؟

ولفهم واقع الحكم العثماني للبلاد العربية وعبر مراحل تاريخها الطويل ،ومراعاة لخصوصية كل منطقة نورد هنا رأيّا للمؤرخ (ناصر الدين سعيدوني)حيث يقول:"...فقد عرفت المجتمعات العربية في الفترة الحديثة أسلوبين مختلفين وطريقتين متباينتين من حيث طبيعة الحكم العثماني ونوعية الروابط بين الولايات العربية ومركز الدولة العثمانية (اسطنبول)،فخضعت البلاد العربية في مجملها في الفترة الأولى من العهد العثماني (القرنان العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس والسابع عشر الميلاديين) لحكم عثماني مباشر ،لم يحاول المساس بمقومات الشعوب العربية الحضارية ولم تؤثر على بنائها الاجتماعي وخصوصياتها الثقافية ،بل حرص على إبقائها بعيدة عن الانشقاقات المذهبية والنزاعات الطائفية والحركات المتطرفة فظلت بنيتها الاجتماعية وذهنيتها الثقافية متماسكة ،فكان الحكم العثماني بمواصفات تلك الفترة نموذجا

---

[1] أرزقي شويتام:المرجع السابق ،ص ص346- 347 .

[2] المرجع نفسه،ص347.

موفقا حافظ على انسجام وترابط الشعوب في إطار الرابطة العثمانية ممثلة في السلطة المطلقة للسلطان العثماني..."[1].

ويتبين من هذا أن الحكم العثماني للبلاد العربية كان حكما مباشرا،وبدون استثناء المشرق عن المغرب وفق العادات والتقاليد ومراعاة خصوصية كل منطقة ،يضاف إلى ذلك الظروف الدولية ؛الصراع الدولي بين الدولة العثمانية والإمبراطورية النمساوية خلال قرن ونصف من الزمان مع بداية مطلع القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي،الذي وصف حقيقة بقرن المأساة[2]؛نتيجة كثافة المواجهات التي عرفها وقامت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط.

ترى هل بقي حكم للأتراك العثمانيين ملائما ومناسبا في ثوب الحكم المباشر أم تغير الحال والوضع ؟.

نرى من المفيد أن نقتطف فقرة للمؤرخ (ناصر الدين سعيدوني)،كإجابة على هذا السؤال، حيث يقول فيها:".. وأما في الفترة المتأخرة في العهد العثماني (القرنان الثاني والثالث عشر الهجريين/الثامن والتاسع عشر الميلاديين)،فقد عرفت خلالها أغلب الأقطار العربية حكما عثمانيا غير مباشر في إطار سلطة الحكام المحليين[3]،كان نتيجة تطور داخلي سمح بتبلور التقاليد القطرية المحلية للأقطار العربية ،فتحولت بذلك التنظيمات العثمانية إلى أنظمة حكم محلي ،وهذا ما سمح للكيانات المحلية أن تنظم شؤونها بنفسها دون انتظار تعليمات السلطان وتدخل السلطة العثمانية المركزية.وبهذا كان الحكم العثماني غير المباشر حلا ملائما لحالة الدولة العثمانية ولواقع البلاد العربية ،خاصة إذا ماذا استثنينا منطقة الهلال

---

[1] ناصر الدين سعيدوني:"نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث :مناقشة مفاهيم وعرض تصورات "،في مجلة أفكار وأفاق ،مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة الجزائر2 ،الجزائر 2011، ع1،ص 58.

[2] Braudel :La méditerranée...,:Op.cit,T2, p122.

[3] منهم على سبيل المثال:آل الجليلي بالموصل،وآل العظم بالشام،وآل شهاب بلبنان،وظاهر العمر وأحمد الجزار بفلسطين،وحسن باشا وداوود باشا ببغداد والبصرة،وعلي بك الكبير ومحمد أبي الذهب بمصر،وآل القرمانلي بطرابلس الغرب،والبايات الحسينيين بتونس،والدايات الباشوات بالجزائر :ينظر:ناصر الدين سعيدوني:نحو مقاربة...،مقال سابق.

الخصيب[1]،إذ بقي على الرابطة العثمانية وأكد الخصوصية القطرية للولايات العربية وأخر من تفكك من الولايات العربية،قبل أن تصفى تركتها في الحرب العالمية الأولى..."[2].

تلك هي إذا طبيعة الحكم العثماني بالبلاد العربية،ولا يكون الحكم عن طبيعة العلاقات بين العثمانيين والسكان،سواء في المغرب أو المشرق،دونما استحضار لطبيعة الحكم العثماني بالبلاد العربية.

لقد ترسخ عند الأتراك العثمانيين،في علاقاتهم بالسكان،ظهور فكرة المواطنة والاعتزاز بها.يقول وليم شالر معلقا على هذا:"...ومن الغريب أن أعضاء هذه العصابة يعترفون بأنه لا يوجد وطن لهم غير الجزائر،حيث يريدون أن يستقروا ويتركوا ذرية لهم..."[3].

وهذا ما أشار إليه (مصطفى الأشرف)،في معرض حديثه عن تشكل الكيان الجزائري،فهو يرى أنه وجد قبل المستدمر الفرنسي،وفي نفس الوقت يركز على عامل الوطنية،على غرار عامل الدين في عمليات تبادل الأدوار بين البادية والريف في مهمة الدفاع عن الجزائر،إذ يقول:"...إن الجزائريين رغم كل هذا كانوا يشعرون شعورا واضحا،وبحكم الفطرة،أنهم يولفون كيانا قوميا،وأنه لابد من اليقظة الدائمة من أجل الدفاع عن وطنهم..."[4].

وأمام هذا ينبغي لنا أن نعرف حدود أو مجال سلطة تواجد الأتراك العثمانيين في إيالة الجزائر.

نبدأ استعراضنا كمحاولة للإجابة على تساؤلنا السابق، بما قاله المؤرخ (أبو القاسم سعد الله)ومما جاء فيه:"...وخلال فترة حكم الأتراك للجزائر بقيت منطقة الجنوب الغربي وباقي المناطق الصحراوية الأخرى

---

[1] هو مصطلح جغرافي أطلقه عالم الآثار الأمريكي "جيمس هنري برستد"على حوضي نهري دجلة والفرات والجزء الساحلي من بلاد الشام ،والمتتبع للخريطة يلاحظه على شكل هلال.قامت على أرضه أولى المدن ،حول هذا ينظر:سيار الجميل:"هل سيختفي الهلال الخصيب؟"،في مجلة آراء،مجلة أسبوعية عامة تصدر عن مؤسسة شفق،العراق2009، ع45،ص22.

[2]ناصر الدين سعيدوني:نحو مقاربة...،مقال سابق،ص58.

[3]وليام شالر:مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)،تر:إسماعيل العربي،ش.ون.ت،الجزائر1982،ص51.

[4]مصطفى الأشرف:الجزائر:الأمة والمجتمع،تر:حنفي بن عيسى،د.ق.ن،الجزائر2007،ص8.

بعيدة عن منال السلطة فضعفت تبعا لذلك بما كان يعرف بقبائل الرعية[1]وليس قبائل المخزن...بينما اقتصر ولاء مناطق الجنوب على تقديم الضرائب فقط..."[2].

وأما الباحث (عمار عمورة)، فأوضح عن وجود مناطق في الجزائر كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مثل القبائل والمناطق الصحراوية[3].ولعل هذا ما جعل أحد المؤرخين الفرنسيين يعلق بقوله:"... لم تكن السلطة التركية الفعلية تشمل سوى سدس مساحة الجزائر الشمالية في حين ظلت حدود الجزائر جنوبا غير واضحة ... "[4].

هذه الوضعية سبقت الوجود العثماني في الجزائر وبالضبط مع القرن التاسع الهجري /الرابع عشر الميلادي ،إذ حينما تضعف سلطة الملوك[5] تتنمر القبائل العربية وتتمتع باستقلال فعلي في اقطاعاتها ،فعندما احتل الأسبان الجزائر كانت مجزأة إلى نحو خمسة عشر جزءا،الكل تهيمن عليه قبيلة عربية أو بربرية[6].

---

[1] هنا يجب التفريق بين القبائل المتواجدة أثناء الحكم العثماني،فمنها القبائل النائية التي لا تصلها السلطة العثمانية،وهناك القبائل ذات الاستقلال الذاتي التي تدفع الضريبة،وهناك قبائل الرعية ،وهذه بدورها أنواع ؛الخاضعة خضوعا جزئيا ومنها الخاضعة خضوعا تاما وتسمى قبائل العازل أو العبيد،وأخيرا هناك قبائل المخزن وهي المتحالفة مع السلطة العثمانية وتمدها بالمال والرجال .ينظر:أبو القاسم سعد الله:محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)،ط3،ش.و.ن.ت،الجزائر1982،ص52.

[2] أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830،ش.و.ن.ت،الجزائر1981،ص504،ونفس الكلام ذهب إليه المؤرخ السوري محمد خير فارس إذ يقول: "..أن الحكم التركي بالجزائر كان ظاهريا أكثر منه سطحيا ،وأما عن المناطق النائية فكان مجال تدخل السلطة يتضاءل نسبيا.."،ينظر محمد خير فارس:تاريخ الجزائر...،مرجع سابق،ص54.

[3]عمار عمورة:موجز في تاريخ الجزائر،ط1،د.ر.ن.ت،الجزائر2002،ص105.

[4] L.Rinn : le Royaumme d'Alger sous le dernier Dey ,in,(R.A)N°41,1897,p137.

[5] المقصود بهم بنو عبد الواد أو بنو زيان في المغرب الأوسط(تلمسان) كانت حدودهم من إقليم الجزائر شرقا إلى منطقة ملوية غربا(642-960هـ/1236-1554م).

[6]المهدي البوعبدلي:"أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"،في مجلة الأصالة،مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر 1392هـ/1972م،السنة الثانية، ع8،ص276.

وفي ظل هذه الحالة أقام الأتراك العثمانيون حكمهم لبلاد المغارب على علاقات إقطاعية[1] ساعدتهم على تثبيت حكمهم ، وفي ظل تلك الأوضاع ساد التمايز الطبقي[2].

إن تحديد المجالات الترابية لبلاد المغارب في الفترة العثمانية،من شأنه أن يسهم في رسم صورة أقرب في نظرنا للواقع للعلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب،وإذ نحن في هذه الجزئية،سنحاول أن نعطي وجهة نظر،إذ تتمثل في أن حدود المغارب شرقا وغربا،رسمته سلّط؛الأتراك العثمانيون بالجزائر،الأسرة المرادية والحسينية بتونس،الأسرة السعدية والعلوية بالمغرب،تلك المرحلة،وهي حدود تعبر من وجهة نظرنا عن موقف الرسمي لتلك السلّط.

والموقف الرسمي هنا لا مراء فيه،وهو واضح وجلي.ولكن ما هو غير واضح في المجالات الترابية لبلاد المغارب،الموقف الشعبي،وأعني به موقف قبائل الجهات الجنوبية غير المستقرة،وهي في حد ذاتها تضعنا أمام إشكال لازال في حدود اطلاعي مبهم!.

لماذا قلت الموقف الشعبي وأردفته بقبائل الجنوب من بلاد المغارب؟

بالنسبة للقبائل في المناطق الجنوبية من المغرب الأقصى،كانت تحت مسمى بلاد السيبة،وبلاد السيبة عند الباحث (عبد الله العروي)،تعني أن الإدارة السلطانية للمخزن المغربي كانت إدارة غير مباشرة[3]،وهو ما يوحي لنا بأن الموقف الشعبي في نظرته للعلاقات بين الجزائر والمغرب،كانت مختلفة ولا تعكس رؤية الموقف الرسمي في البلدين.

---

[1] أبقى العثمانيون على الوضع التقليدي إذ منحوا امتيازات للقبائل المساندة لهم والمتحالفة معهم كتوزيع الأراضي عليهم وجمع الضرائب واستتباب الأمن.

[2] عبد الملك خلف التميمي:أضواء على المغرب العربي رؤية عربية مشرقية،د. ب.ن.ت،الجزائر2011، ص ص104-105.

[3] سعيد بنسعيد العلوي:"صورة المغرب في الإستشراق الفرنسي المعاصر"،ورقة علمية قدمت في:الندوة السادسة للقيم الروحية والفكرية،م.أ.م.م،س.ن،مراكش1413هـ/1993م،ص56.

وخاصة إذا عرفنا أن طبيعة العلاقة بين المخزن والسيبة من منظور المستشرقين الأجانب، كإدموند دوطّي(Edmond Doutté)وميشو بلّيير(Michaux Bellaire)،كانت عبارة عن مؤسستين متصارعتين[1]،رغم عدم الاطمئنان إلى هذا الرأي من طرف المؤرخين المغاربة المحدثين[2].

وأما بالنسبة للمناطق التي قطنت المجال الترابي للجزائر،فهي أيضا كانت نظرتها للعلاقات بين الجزائر والمغرب،وهي بالضرورة لا تنم عن موقف الأتراك العثمانيين في علاقاتهم بالعلويين.فما دواعي ذاك الاختلاف في الرؤى بين الموقف الرسمي والشعبي بالجزائر للعلاقات بالمغرب؟

ربما هذا يعود إلى اختلاف طبيعة علاقاتها بسلطة الأتراك العثمانيين من حيث موقعها في قضية الولاء والنفور،وهناك سبب وجيه في نظرنا،وهو يعكس في هذه الجزئية بالذات ربما توجيه الموقف الرسمي،للموقف الشعبي في مسألة العلاقات السياسية.

إن هذه الجزئية تظهر أيضا إفرازات النظام الإداري والعسكري للأتراك العثمانيين في بلورة نظرة السكان للعلاقات بين البلدين،خاصة إذا علمنا أن من نتائج الأساليب المنتهجة من طرفهم في حكمهم للجزائر أرضا وشعبا،تمخض عنه أثر خطير وسلبي على الحياة الاجتماعية بالجزائر،حيث تمثل هذا الأخير في اختفاء نظام القبيلة ليترك مجاله لجماعات صغيرة تتمثل في جماعات الرعية التي يتصرف فيها القادة[3].بينما في الجهات التي استعصت على الأتراك العثمانيين،كالقبائل النائية ظل بها البناء القبلي يحافظ على مظهره،ويتميز بخصائصه التي تجعل من القبيلة وحدة اجتماعية واقتصادية،بل وحتى سياسيا في قضية ولائها لسلطة الشيوخ؛عبر سلطة أبوية وعصبية تقومان على الولاء للجماعة[4].

---

[1] سعيد بنسعيد العلوي:المقال السابق،ص56.

[2] المقال نفسه،ص56.

[3] ناصر الدين سعيدوني:"الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري/من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي"،في: ح.آ.ع.إ ،الكويت1431هـ/2010م،ح 31،ص71.

[4] ناصر الدين سعيدوني:الأوضاع الاقتصادية...،مقال سابق،ص71.

ثانيا:العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح السياسي

أ) مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح السياسي

1)-بدايات تشكل سياسة الانفتاح بين البلدين سياسيا؛بين التجربة السعدية والعلوية:

نستهل حديثنا في هذه الجزئية،بطرح تساؤل:هل كانت تجربة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي(1171-1204هـ/1757-1790م) في سياسة الانفتاح السياسي مع الأتراك العثمانيين مستحدثة،أم قديمة متجددة ؟

إن المتتبع لحركة التدوين التاريخي في عهده،يدرك أن سياسته كانت مستوحاة ومقتبسة من أسلافه،ولكن أي أسلاف؟

تطلعنا المصادر التاريخية أن سيدي محمد بن عبد الله العلوي كان من ذوي السياسة والرياسة،وفي تحقيق أمور السياسة لا يمارى[1].هذه الميزة اكتسبها عن طريق اهتمامه بمسألة تحصين وتشييد الثغور والحصون المغربية،يذكر لنا صاحب مخطوط(الروضة السليمانية):"...وما وفقه الله إليه من البر والاعتناء بأمر الجهاد...وما ينفقه في الجهاد على الرؤساء والبحرية والطبجية[2]،وما ينفق على المراكب الجهادية والآلات الحربية التي ملك بها بلاد المغرب ..."[3]،حيث نجم عنها نتيجتين مهمتين في بناء ما أسميناه بالانفتاح السياسي[4]:

- تأمين الحماية اللازمة للبلاد؛

-الانفتاح على العالم الخارجي بعقد معاهدات وإرسال سفارات إلى دول أوروبا الغربية والشرق الإسلامي؛

---

[1] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص164.

[2]المقصود بها سلاح المدفعية.

[3]أبو القاسم الزياني:الروضة السليمانية،مخ،م.م.ع،الدار البيضاء(د.ت)،و.ظ،و:217-218.

[4]محمد رزوق:دراسات في تاريخ المغرب،ط1،إ.ش،الدار البيضاء1991،ص121.

وسياسة الانفتاح السياسي في عهده،تركزت أساسا في تعزيز الروابط الودية مع العالم الإسلامي[1]،بحكم أنه كان ميالا للمهادنة[2].

وما ميز انفتاحه الخارجي على الشرق الإسلامي؛تعاطفه الكبير على العثمانيين،حيث يعتبر أول سلاطين المغرب في ذلك[3].

يشير في هذا الصدد أحد الباحثين الغربيين،قائلا:"...كانت المجهودات الدبلوماسية لسيدي محمد بن عبد الله اتجاه(حيال) مقر حكم السيد الأعظم(الباب العالي)للقسطنطينية (اسطمبول)،خلال الفترة الأولى لسلطنته(حكمه)كنتيجة جيدة لانقطاع حاجز اللامبالاة (عدم الاكتراث)والتجاهل التي قامت منذ زمن،بين السلاطنة العثمانيين،والعلويين(العلاويين)..."[4].

---

[1] عبد العزيز بنعبد الله :تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة،م.م،الرباط(د.ت)،2ج،ج2،ص 39.

[2] عبد العزيز بنعبد الله:المرجع السابق،ج2،ص 38.

[3] محمد رزوق:المرجع السابق،ص128،نقلا عن:محمد بن تاويت:تاريخ سبتة،ص190،هـا رقم:(21).

[4] Ramon Lourido Diaz: Relaciones deI ᶜAlawi Sïdï Muhammad B. ᶜAbd Allah con el imperio turco en el segundo periodo de su sultanato (1775-1790) ,in(H.T),Université Mohammed V, RABAT1986, (Vol. XXIV) , P 231.

ولعلّ بهذا الفعل نال السلطان سيدي محمد بن عبدالله لقب"سلطان الشرق وسلطان الغرب،كما ذكره ممثل فرنسا لويس شينييه[1](Louis Chénier) في المغرب سنة1781م "بسلطان الغرب"[2].

وما يمكن ملاحظته على طابع الانفتاح السياسي أنه كان انفراجا مؤقتا[3]،ولعل هذا ما يجعلنا نميل إلى أن هذه السياسة لم تكن من إنشائه ومجهوده،بل كانت نتيجة ظرفية المغرب آنذاك،وهذا ما أشار إليه (الناصري)،بقوله:"...كان الناس قد سئموا الهرج والفتن،وأعياهم التفاقم والاضطراب ،وملوا الحرب وملتهم،إذ كانت أيامه(يقصد هنا فترة والده عبد الله)لاسيما أخرياتها كأيام الفترة التي ليس فيها سلطان،وكانت حال الرعية معه مثل الفوضى الذين لا وازع لهم، فكان ذلك من أقوى الأسباب التي صرفت وجوه أهل المغرب كله إلى بيعة السلطان سيدي محمد رحمه الله..."[4].واستفاد من وفاء القوى المحلية الإقليمية في بناء السلطة العلوية على أسس جديدة[5].

ناقش باحثون مغاربة،الأسباب التي جعلته يتبنى طرح الانفتاح المؤقت هذا،إذ يرجعونها إلى حجته في سنة 1143هـ/1730م،التي من خلالها استطلع أحوال العالم الإسلامي،وأمكنته من التقرب من

---

[1]هو القنصل الفرنسي بالمغرب والممثل لها مابين(1767-1782م)،مارس عمله على شطرين:الشطر الأول منها برتبة القنصل العام لفرنسا بالمغرب،والشطر الثاني برتبة القائم بالأعمال.صدر له وهو على قيد الحياة سنة 1787م،كتاب بعنوان:"أبحاث تاريخية عن الموريين وعن تاريخ إمبراطورية مراكش"،وهو كتاب ضخم في ثلاثة مجلدات،وفي نفس السنة أعقبه بتأليف كتاب وسمه ب:"تاريخ الدولة العثمانية وأسباب انحطاطها".وله أيضا كتاب آخر عبارة عن مراسلات وثائقية،عنونه محققه (بيير كريون)بعنوان:"مراسلة القنصل لويس شنييه 1767-1782)سنة 1970م.وطبعا اشتغال كريون بها،كان في إطار إعداده لرسالة دكتوراه في موضوع"القرصنة المغربية في القرن الثامن عشر"سنة1951م.حول مستويات الكتابة عنده،ينظر:إبراهيم بوطالب:"لويس شنييه ممثل فرنسا بالمغرب فيما بين سنة 1767-1782 قنصلا ومؤرخا"،في مجلة المناهل،مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية،المغرب1407هـ/1987م، ع36،ص ص154-198.

[2]Ramon Lourido Diaz: Op.cit,n:(1),p231.

[3]محمد القبلي:المغرب تركيب...،مرجع سابق،ص429.

[4]الناصري:المرجع السابق، ج8،ص3.

[5]محمد القبلي:المغرب تركيب...،مرجع سابق،ص430.

واقعه،حيث جعلته لاحقا يتخلى عن الصراع مع الباب العالي،ولو أنه بقي على جانب كبير من الاحترازية والحذر من أتراك الجزائر باستمرار[1].

وربما هذا ماعناه (القادري)،بقوله:"...فكانت في هذه السنة المباركة حجته،وحمدت بتوفيق الله في كل حركته وجهته...وكان الله له في حركاته وسكناته..."[2].

وقد أورد (ابن زيدان)،عبارات ليست بالطويلة،نقلا عن الزياني في كتابه(الترجمان المعرب)،ولكن بعد رجوعي للكتاب وتفحصه، لم أجد أثرا لذلك الاستشهاد[3]!،يقول فيه:"...وكانت حركة نزهة وراحة صيد أقام بها نحو(أغمات)الشهرين يقلب في تلك البسائط،وينزل في منازل المنصور رحمه الله،ويقول:هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا..."[4].

ومما يستشف من هذا النص،أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله استلهم تجربة المولى أحمد المنصور الذهبي؛أي سياسته الداخلية والخارجية،ومنها موضوع العلاقات الخارجية،وبالضبط علاقاته بالعثمانيين في الباب العالي،وبأتراك الجزائر،ولذا نراه لم يخرج عن خطه مطلقا.

ويستطرد(ابن زيدان)،في ذكر استنساخ تجربة المولى أحمد المنصور في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله،حيث يقول:"...وفي الجيش وغيره أنه كان يتخلق كثيرا بأخلاق المنصور الذهبي السعدي ويعجبه حاله وأخباره،يتحلى بسيرته ويستحسنها ويتتبعها أكلا ولباسا،وترتيب دولة وضبط أوقات،فكانت أوقاته

---

[1] محمد القبلي:المغرب تركيب...،مرجع سابق ،ص429.

[2] القادري:المصدر السابق،ج3،ص336.

[3] نص الزياني،ورد فيه مايلي:"...ورجع وفي رجوعه توجه لزيارة أغمات وإلتزمه على ولد النقسيس وأقام يتقلب تلك البسائط مدة ومعه جماعة من الفقهاء والكتاب ومنها وقعت هدية قاضي أغمات الكبش الشهير..."،ينظر:الزياني:الترجمان المعرب...،مصدر سابق،ص77.

[4] ابن زيدان:إتحاف...،مصدر سابق،ج3،ص183.

لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها،وعوائده مقررة لا تختلف،تأسى به في مشوره وسائر حركاته وسكناته،ويصرح بأنه أستاذه وقدوته في شأنه كله..."[1].

وأما عن وسيلة تأثّره به،أنه حينما كان واليا على مراكش من قبل والده، وهو في سن الخامسة والعشرين،قدم له كتاب(مناهل الصفا)، لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي،حيث كان لهذا الكتاب وقع كبير عليه،وبها تأثر بسيرة المولى أحمد المنصور،وبلغ به التأثر حد التعلق بهذا الكتاب،فلم يفارقه قط[2].

وتمثلت سياسة الانفتاح السياسي في عهده،مع أتراك الجزائر،حيث أنه لم يعد هناك احتكاك حدودي بينه وبينهم،وبذلك توطدت الروابط الودية،وانتظمت سياسة جديدة[3].

ومن مظاهر الودية بينه وبين الباب العالي،أنها تجلّت في إقدام السلطان سيدي محمد بن عبد الله،على إرساله تقريرا مفصلا عن أوضاع بلده،يقول (الزياني) في هذا،ما نصه:"...راسل السلطان سيدي محمد بن عبد الله السلطان عبد الحميد يخبره بحاله وما هو عليه من العقوق[4] ويوصيه ألا يقبله إذا قدم لبلاده..."[5].

السبب في نجاح سيدي محمد بن عبد الله دون غيره من سلاطين المغرب، ربما من وجهة نظري،أن الهندسة السلمية في العلاقات توارثها عن سياسة تبناها الأتراك العثمانيون منذ وفاة جده اسماعيل1139هـ/1727م، وإلى غاية وفاة أبيه عبد الله 1171هـ/1757م؛إذ عقب التاريخيين المذكورين سابقا،دار صراع على الحكم في المغرب بين ستة سلاطين[6]،الأمر الذي جعلهم لا يشكلون

---

[1] ابن زيدان:إتحاف...،مصدر سابق،ج3،ص183.

[2] محمد القبلي:المغرب تركيب...،مرجع سابق،ص429.

[3] عبد العزيز بنعبد الله :المرجع السابق،ج2،ص ص33-34.

[4] المقصود به تمردات ابنه اليزيد،فحدث في سنة1189هـ/1775م أن ثار ضده،حكم المغرب من سنة(1204-1206هـ/1790-1792م)،حول فترة حكمه، ينظر: الناصري:المرجع السابق،ج8،ص ص 76-86.

[5] الزياني:الترجمان المعرب...،مصدر سابق،ص74.

[6] عزير سامح إلتر:المرجع السابق،ج1،ص497.

مصدر تهديد للحدود الجزائرية،وبقت بذلك حرة وخالية من أي هجوم مغربي[1].ترتب عن هذا سياسة تمثلت في عدم الاهتمام تماما بما يدور من مشاكل في فاس[2].

لذا نجد السلطان سيدي محمد بن عبد الله يسلك هو أيضا سياسية مماثلة لما سبقه إليها الأتراك العثمانيون؛سياسة الانفتاح السياسي،وأيضا ما انجر عنه من انفتاح في الدبلوماسية والتجربة العسكرية.

فما هي نوايا وخلفيات السلطان سيدي محمد بن عبد الله من هذه السياسة؟

تفيدنا المراجع التاريخية،التي بنت تحاليلها للأحداث والوقائع على دفتر مهمات الديوان الهمايوني[3]أنه ما قصد ذلك إلا لتحقيق هدفين :

أولهما: نيله مركزا مهما ومرموقا،وإكسابه العظمة .وثانيهما: إبعاد خطر المطالبين بالحكم[4].

فمسألة المبالغة في سياسته الانفتاحية،وكما مر معنا كانت جراء سياسات الأتراك العثمانيين في تلك الفترة،والتي هي من هندستهم هم أنفسهم ،فضلا عن استنساخه تجارب السعديين والعلويين من

---

(1) عزير سامح إلتر:المرجع السابق ،ج1،ص497.

(2) المرجع نفسه،ج1،ص497.

(3) تكتب بالعثمانية(ديوان همايوني سجللري)؛أي سجلات الديوان الهمايوني،وهي دفاتر تضم قيود خلاصات الفرمانات والبراءات التي أعدت في الديوان الهمايوني وصدرت عنه مرتبة حسب تواريخها.وجميع هذه الفرمانات والأحكام كانت حتى عام 1649م تقيد في الدفاتر التي تسمى(دفاتر المهمة) وحدث بعد هذا التاريخ أن سجلوا في دفاتر المهمة الأمور التي تخص الدولة فحسب،ونظموا دفاتر أخرى للمسائل الشخصية سميت (دفاتر شكاية)،أما بعد عام 1742م فقد سجلت هذه الشكاوى في دفاتر الإيالة التي وقعت فيها الشكوى وسميت هذه الدفاتر (دفاتر الأحكام)أو(دفاتر أحكام الشكاية)،وعدا هذه الدفاتر كان يوجد أيضا (دفاتر الرؤوس؛أي الخاصة بأمر المنح والمأموريات والوظائف الخاصة بالأوقاف)،و(دفاتر التحويل؛أي الخاصة بضبط الزعامات والتيمارات)،و(دفاتر الرسائل الهمايونية؛أي التي تسجل فيها المكاتبات الجارية بين الدولة العثمانية وأشراف مكة ورؤساء الدول الأجنبية والمعاهدات ومعاملات السفراء)،و(دفاتر النظامات؛أي الخاصة بالنظم الصادرة عقب إعلان التنظيمات)،و(دفاتر المقاولات؛أي التي عقدت مع الأشخاص الحقيقيين والاعتباريين)،و(دفاتر الامتياز)،و(دفاتر المقتضى) وغيرها،ينظر:نجاتي أقطاش وعصمت نينيارق:الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول،تر:صالح سعداوي صالح،إشرا وتق:أكمل الدين إحسان أوغلي،م.ك،الأردن1986،ص473.

(4) عزير سامح إلتر:المرجع السابق،ج1،ص ص497-498 .

قبله.ثم إن هذه الأعجوبة!!على حد من تبناها وأقرها،ما هي إلا سياسة ظرفية ومؤقتة،أيضا كانت عن طريق املاءات خارجية ،في حين غياب منطلقاتها الداخلية.والأكثر من هذا أنها لم تكن سوى سياسة مصلحية ونفعية في مجمل معالمها،ولم تقدم اعتبارات للثوابت المشتركة،ولا لرهانات العصر يوم ذاك.

كانت ربما أيضا سياسته بفعل اختلاف إيديولوجي ميز السلاطين العلويين[1]،فالاختلاف الإيديولوجي قصد به هنا مسألة الخلافة والندية للأتراك العثمانيين،ومن دون أن نلحظ رؤية بعض المصادر المغربية؛رؤية احترام وإشادة بخلافتهم وسياستهم،ويذكر صاحب(الرحلة الناصرية) في هذا المعنى،مانصة:"...ولا عجب في ذلك فإن السلطان سليم[2] رحمه الله كان معروفا بإصابة الرأي وثقابة الذهن وجودة التدبير في

---

[1] شهرزاد بوترعة:الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)،تخ:التاريخ المغاربي،إشرا:محمد يعيش،جامعة محمد بوضياف بالمسيلة،الجزائر2014-2045،ص26.

[2] كانت فتره حكمه للدولة العثمانية مابين(918-926هـ/1512-1520م)،لقبته بعض المصادر المملوكية بابن عثمان،كني "بالياوز" ؛أي القاطع هذا حسب صاحب كتاب (تاريخ الدولة العلية العثمانية)،أما المؤرخون الأتراك فيرون أن معناها الشديد،وهذا حسب المؤرخ(يلماز أوزتونا،وأنا أميل إلى هذا المعنى.في عهده مد من رقعة الدولة العثمانية إلى العالم العربي والإسلامي،وأسقط بذلك دولة المماليك في دمشق ومصر،وبذلك الحدث خرجت الخلافة لأول مرة من أيدي العرب إلي أيدي العجم(العثمانيين).و أما عن أوصافه الخلقية،فقد وصفه ابن اياس بقوله :"...كان مربوع القامة،واسع الصدر،أقنص العنق،مكرفس الأكتاف،في ظهره جنيّه،مترك الوجه،واسع العينين،ذرّية اللون،وافر الأنف،ملئ الجسد، حليق اللحية ليس غير الشوارب،كبير الرأس،عمامته صغيرة دون عمايم أمرائه..."،وأيضا عن أهم منجزاته فقد وصفه ابن إياس كذلك بقوله:"...ملك القاهرة عنوة بقائم سيفه،وقد حصل له سعد عظيم مالا حصل لآبائه ولا أجداده من قبله...فتصدى إلى قتال اسمعيل الصوفي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة...ثم تصدى إلى قتال الملك الأشرف قانصوه الغوري وتلاقى معه على مرج دابق في رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة،فلم يحمل معه غير خمس درج وانكسر،ومات قهرا في وسط الحرب..ثم توجه إلى القاهرة فتلاقى مع الأشرف طومان باي على الريدانية فوقع بينهما قتال هيّن، فلم يكن إلا مقدار خمس درج وانكسر الأشرف طومان باي وولى مهزوما،وقتل من الأمراء والعسكر مالايحصى عددهم،وآخر الأمر ملك مصر والقاهرة عنوة بقائم سيفه..."،ينظر في هذا: محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي المصري: بدائع الدهور في وقائع الزهور،تح:محمد مصطفى،هـ.م.ع.ك،القاهرة1404هـ/1984م،5ج،ج5،ص ص74-151-152،محمد فريد بك المحامي:تاريخ الدولة العلية العثمانية،ط1،تح:إحسان حقي،د.ن،بيروت1401هـ/1981م،ص188،يلماز أوزتونا:المرجع السابق،3مج،مج1،ص213.

المملكة،وبه فخمت دولة بني عثمان وهو المستولي على الممالك الشامية والمصرية والحجازية وما والاها من البلاد..."[1].

يذكر أحد الباحثين حول قضية إيديولوجية الاختلاف ،مانصه:"...واعتبر نفسه مساويا للسلطان العثماني،كما كان يفعل والده تماما،فمسألة الخلافة لاتزال تعتبر النقطة الرئيسية والأساسية في الخلاف الدائر بين سلاطين فاس وبني عثمان،فسلاطين فاس يعتمدون على شرعية الخلافة من خلال تأييد الأشراف لهم،بينما يعتمد بنو عثمان على قوتهم..."[2].

وتجلّى ذلك في عدم الاحتكاك الحدوديبينهم[3]،حيث كانت الحدود في عهده مع أتراك الجزائر تقف عند مدينة وجدة ذاتها،يقول في هذا سفيره(محمد بن عبد الوهاب المكناسي):"...ثم سافرنا من هذه المدينة(تلمسان)فمررنا على قرية وجدة فأقمنا بها،بل بتنا بها فقط عند عامل سيدنا ومولانا أمير المؤمنين،وهي أول أهل طاعته ورعيته أدام الله تعالى نصره..."[4].

---

[1]أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي:الرحلة الناصرية (1709-1710م)،ط1،تح:عبد الحفيظ الملوكي،د.س.ن.ت،الإمارات العربية المتحدة2011،ج1،ص ص626-627.

[2] عزيز سامح إلتر:المرجع السابق،ج1،ص ص497-498.

[3] حسب ما اطلعت عليه أن نقطة الاحتكاك الحدودي كانت تخوم تلمسان وهذا ينسحب على جميع فتراتها،حيث يقول صاحب مخطوط (كعبة الطائفين) في هذا الشأن ما يلي:"... وخصها الله بكثرة العناب وحب الملوك فكذلك صارت مطمعة للملوك وهي الآن انتهاء مملكة العجم من جهة المغرب والعلم بها يفور ويغور..."،ينظر: محمد بن سليمان الصائم الجزولي:كعبة الطائفين وبهجة العاكفين،مخ،رقم 8110،جامعة الملك سعود1957،و:14،غير أنه حينما رجعت لما كتبه الباحث المرحوم أبو القاسم سعد الله،وجدته اعتمد لعنوان هذا المخطوط عنوانا:"كعبة الطائفين،وبهجة العاكفين،في الكلام على قصيدة حزب العارفين"،ينظر:أبو القاسم سعد الله:أبحاث وآراء...،مرجع سابق،ج1،ص159.

[4]محمد بن عبد الوهاب المكناسي:رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785،ط1،تح:،محمدبوكبوط د.س.ن.ت،الإمارات العربية المتحدة2003،ص ص331-332.

وأما عن مصادرنا المحلية،فنجد حمدان بن عثمان خوجة،يحدد لنا حدود إيالة الجزائر في فترات النظام العثماني فيها،قائلا:"...هي التي مكنت الأتراك من السيطرة على هذه الرقعة الشاسعة التي تمتد من وجدة غربا،إلى الكاف في الجنوب التونسي..."[1].

نجم عن سياسة الاحتكاك الحدودي بين البلدين اختراق نسيج القبيلة بريف بايلك الغرب،مما جعلها تعيش في وضعية خاصة،مع حركية مستمرة لم تختفي إلا بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر[2].

ويلاحظ المتتبعون سياسة سيدي محمد بن عبد الله الخارجية،أنها كانت غائبة فيما كتبه المغاربة،أو كانوا قاصرين عن فهمها،وحتى سفراؤه كانوا يتكتمون عن ذلك،ويعدونها من الأسرار التي لا يجوز البوح بها إلا لسلطانهم[3].

إن هذا الرأي يستشف منه أن تشكل الانفتاح السياسي في الفترة المدروسة،كانت فعلا مقتبسة من أسلاف العلويين؛أي السعديين،وأيضا الغرابة تكمن إذا علمنا أن تدبير هذه السياسية في عهد سيدي محمد بن عبد الله،كان مرهون ومرتبط في أول الأمر لتاجر فرنسي،وفيما بعد أوكلت إلى ملك فرنسا[4].

---

(1) حمدان خوجة:المرجع السابق،ص74.

(2) كمال بن صحراوي:أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث (غ.م)،إشرا:دحو فغرور،جامعة وهران ،الجزائر2012-2013،ص ص340-341.

(3) عبد الوهاب بنمصور:"إطلالة على وثائق السلطان سيدي محمد بن عبد الله المحفوظة بمديرية الوثائق الملكية"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة للوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع ،الريصاني 1991،ص18.

(4) لقد أثر اليهودي(بوزاكلوا الباز) ،في تنمية الحس السياسي عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله،فعرفه عن أساليب الحكم والسياسة والحرب والتجارة،ينظر:حسن أحمد الحجوي:العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي(1757-1912)،ط1،م.ث.ع،المغرب2003،ص36،نقلا عن:عبدالقادر تيمول في كتابه:

-Le Maroc à travers Les chroniques maritimes ,p245,n:(2).

عبد الوهاب بنمصور:المقال السابق،ص24.

ولهذا استطاع ربما المغرب العلوي لأول مرة في عهد سيدي محمد بن عبد الله التغيير من نظرته الشوفينية،بفعل عامل خارجي،وبذلك تحركت سياسته،من نظرة شزراء إلى نظرة منمطة سياسيا بقالب أوروبي.

وعبّر عن هذه الوجهة،الكاتب(حسن أحمد الحجوي)،بقوله:"...ويمكن تعريف هذه المرحلة بكونها مرحلة تنامي الشعور لدى المخزن بضرورة التمسك بسياسة الانفتاح على العالم الأوروبي،فقد قرر المخزن لتنظيم الدبلوماسية المغربية جمع التمثيليات الأجنبية بمدينة طنجة التي أضحت العاصمة الدبلوماسية للملكة إلى حين قرب فرض الحماية على المغرب..."[1].

ذهبت بعض الأقلام المغربية،بانتهاج سلطانهم المذكور سابقا سياسته الانفتاحية،إلى نعته بما يلي:"... صانعا حقيقيا للمغرب الحديث الذي طالما تحدثت عنه كتابات عديدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر..."[2].

هذه ربما يتقبلها الباحث،خاصة إذا سلمنا بدوره في تكوين،وليس صناعة المغرب الحديث؛على مستويين:

– **المستوى الأول**:مثل هذا الحضور للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في تكوينه للمغرب الحديث،هو ماثل فقط في الكتابات الأجنبية[3]،وقد رأينا سابقا أن سياسته الخارجية لم تحض بعناية المغاربة أنفسهم؛

---

[1] حسن أحمد الحجوي:المرجع السابق،ص15.

[2]دانييل شروتر:تجار الصويرة المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب 1844-1866،ط1،تع:خالد بن الصغير،م.ك.آ.ع.إ،الرباط1997،ص17.

[3]كانت مظاهر تكوينه للمغرب الحديث،أو المخزن الحديث،تتمثل في:إعادة إحياء مؤسسات الدولة الجديدة وتمكن من تحديد معالمها الأساسية عندما كان ينوب عن والده في مراكش،ينظر: شرف موسى:"السياسة الدينية في المغرب الأقصى خلال القرن(12هـ/18م) عهد السلطان محمد بن عبد الله نموذجا"، في مجلة الدراسات التاريخية التاريخية،مجلة دورية محكمة يصدرها قسم التاريخ،جامعة الجزائر2،الجزائر1437هـ/2015م، ع19،ص185.

– **المستوى الثاني**:ما يجعلنا نقر بأن له سياسة خارجية موجهة،ولكنها في نفس الوقت استأثرت بالجانب الأوروبي،على حساب العالم الإسلامي[1]؛

وهو ما يجعلنا لا نسلّم بما يقوله المؤرخون المغاربة،من أنه حقيقة هو المؤسس الحقيقي لسياسية الانفتاح على العالم الإسلامي.إن هذه الحقيقة لها ما يبررها في ثنايا تساؤلي اللاحق: هل حقيقة تطورت،وتبلورت سياسة سيدي محمد بن عبد الله إلى معاملات وممارسات ديبلوماسية[2]؟.

ب–طبيعة الانفتاح السياسي:

قبل البحث في تضاعيف الانفتاح السياسي بين البلدين،أرى من الضروري وكمدخل لفهم هذا الوليد في العلاقات؛أي الانفتاح في حد ذاته.طرح تساؤل مهم: هل اهتم الأتراك العثمانيون بالعمل الدبلوماسي،أو بالأحرى تلمذة بعض الشخصيات على أبجديات العمل الدبلوماسي؟

ذهبت دراسة جادة،ومستفيضة في هذا المجال،وذلك بعد استنطاق الوثائق،إلى تبني رأي،وجدته يعبر عن وجهة نظري،جاء في معناه،أن الأتراك العثمانيين لم يولوا اهتماما لهذا الموضوع،وذلك عن طريق عدم تكوينهم لشخصيات دبلوماسية،بالإضافة إلى توارث هؤلاء تكوين كسبي تقليدي[3]، لم يطور هو

---

[1] يرى بعض الباحثين أن المغرب الأقصى كان يتبع الدولة العثمانية في إطار الثقافة الإسلامية،ينظر:رقية شارف:المقال السابق،ص139.

[2] الإجابة على هذا الإشكال،سترد بإذن الله تعالى في العنصر الثاني من هذا المبحث.

[3] بليل رحمونة:القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)،إشراف:دحو فغرور،جامعة وهران،الجزائر2010-2011،ص295،وهنا نفس الباحثة لم تشر إلى السفير كمنصب،وإنما اكتفت بالنشاط الدبلوماسي عموما، ولكن أثناء قراءتي فيما أورده الباحث المرحوم أبو القاسم سعد الله ،وجدته يقر للجزائر بمنصب السفير،فمثلا في سنة 1756م وجه سفير من الجزائر إلى لندن ليفاوضها وبنفس المعاملة مع الدول الأخرى،ويقدم فيها مصالح الجزائر كدولة ومؤسسات،وردت هذه المعلومات في تقرير يعود للقرن الثامن عشر ميلادي،تحت عنوان"وجهة نظر مقارنة بين دول المغرب العربي"،حوله ينظر:أبو القاسم سعد الله:أبحاث...،مرجع سابق،ج2،ص ص318-319.

كذلك أيضا.وإذا سلمنا بمواصفات دبلوماسية لدى الأتراك العثمانيين ،فإنه قد كان معتمدا بنسبة كبيرة على أهل الذمة ولاسيما العنصر اليهودي[1].

كانت رغبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في هذا المجال تقتضي منه عقد معاهدات وفاق وتعاون مع غالب دول عصره[2].انعكس الانفتاح السياسي على العلاقات بينه وبين العثمانيين،أن كانت مثالية[3].

وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين الغربيين،بقوله:"...لقد أظهر العاهل الجديد مقدرته عندما كان نائبا عن أبيه في مراكش فكان تقيا ميالا إلى السلم والعدل اللذين كان المغرب الأقصى في أمس الحاجة إليهما بعدما قاساه من اضطرابات طيلة ثلاثين سنة..."[4].أي أن رغبته كانت وليدة ظروف وتحديات داخلية وخارجية،حيث أن هذه الأخيرة هي التي ألهمته ذلك الخيار السياسي.

كانت الجزائر في بدايات حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله تمر بأزمة سياسية في تلمسان،إذ بلغ الحد بأهلها إلى أن أصبحت شبه مستقلة بأمورها،يحكمها القائد رجم بن البجاوي،فكان من دايها علي باشا بوصباع[5](1748-1766م)أن جيش له جيشا نجح في استلابه الحكم منه،ووطد الأمن بها،وأعادها إلى حكم الداي بعد اقتياد رجم بن البجاوي إلى الجزائر وإعدامه في سنة1171هـ/1757م[6].

---

(1) بليل رحمونة:المرجع السابق،ص295.

(2)محي الدين عبد الحميد الباعمراني:"نظرة على الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية في عهد السلطان محمد بن عبد الله"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1991،ص ص184-185.

(3) محي الدين عبد الحميد الباعمراني:المقال السابق،ص187.

(4)شارل أندري جوليان:المرجع السابق،ج2،ص309.

(5)لقب ببوصباع لأنه تبارز مع تركي أيام شبابه فقطع أصبعه،لقب أيضا ب"بناكسيس"،ينظر: أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص18،هـا ،رقم:(1).

(6)المصدر نفسه،ص18.

وأما في عهد الداي محمد بن عثمان باشا(1766-1791م)فقد اكتمل التنظيم الإداري،وظهر في شكله النهائي[1].الأمر الذي جعل منه عامل تثبيت للنظام العثماني بالجزائر،رغم ما نعرفه من أن الأوضاع السياسية والاقتصادية آنذاك كانت غير مواتية لذلك .وددت أن أشير من خلال هذا الرأي،حسب وجهة نظري أن الناظر بعين الاستقصاء للطبيعة العلاقات الجزائرية المغربية حقبة البحث،يستنتج أن محركها لم يكن في كثير من الأحايين،وفي أغلب الوقائع،وجميع تمظهراتها،موجها من طرف المركز،وإنما كان من موجها من تطبيقات البايلك،بايلك الغرب بالخصوص،ومنه إلى الهوامش والأطراف؛البادية والريف[2].أي أن العلاقات الجزائرية المغربية كانت تطبق وتمارس إذا صح التعبير بالوكالة،أو النيابة.

لوحظ عن العالم الإسلامي،ومنه الجزائر والمغرب الأقصى بدءا من القرن السابع عشر وإلى غاية القرن التاسع عشر، أنهما اشتركا في ميزة المعاناة المالية والاقتصادية،مما شكل في نهاية القرن التاسع عشر سببا كذلك اشتركا فيه،ألا وهو التدخل المباشر الأوروبي فيهما[3].

---

[1] شاعو كمال:بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة "1641"المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171-1207هـ/1757-1792م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث(غ.م)،إشرا:مختار حساني،جامعة الجزائر،الجزائر2004-2005،ص101.

[2] البادية ليست هي الريف،إذ الريف لغة:يعني الخصب والسعة في المآكل،والريف ما قارب الماء من أرض العرب وغيره،وجمعه أرياف،وريوف،والبادية:هي خلاف الحضر،وهي اسم للأرض التي لا حضر فيها،والحاضرة القوم الذين يحضرون المياه وينزلون عليها،والبادية سميت بذلك لبروزها وظهورها، وأما اصطلاحا:؛فالريف مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش ،وهو الذي يحدد النشاط الاقتصادي ،والوضع المجتمعي لأي منطقة من المناطق.والبادية اصطلاحا:تشكل المجال الحيوي للقبائل البادية والظاعنة،في حلها وترحالها،ينظر حول التعريف اللغوي للريف:أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري:لسان العرب،م.ب،مصر1300هـ،20ج،ج11،ص68، وينظر حول التعريف اللغوي للبادية:ابن منظور:المصدر السابق،ج18،ص72،وحول التعريف الاصطلاحي. ينظر:عميور سكينة:ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م-دراسة اقتصادية واجتماعية،مذكرة ماجستير في التاريخ(غ.م)،تخ:تاريخ الريف والبادية،إشرا:إبراهيم بكير بحاز،جامعة قسنطينة 2،الجزائر1433-1434هـ/2012-2013م،ص ص5-6.

[3] Djilali Sari: Les Ottomans Et La Méditerranéen Occidentale Au XVI Siècle ,in(R.M),Alger1986,pp7-16.

كما تتجلى مظاهر الانفتاح السياسي لهذا السلطان المغربي في تطبيق حلمه،وذلك عن طريق مشاريعه السياسية الجبارة وأن يسود أو يحكم كل المناطق الإسلامية الغربية على حد تعبير المؤرخ لوريدو دياث[1].وهذا الأسلوب أشار إليه القنصل لويس شنييه في نعته للسلطان سيدي محمد بن عبدالله بالأناني والفردانية في طبيعة سياسته الخارجية[2].

يا ترى هل هذه السياسة الانفتاحية مرت بمراحل ؟

وفي هذا الشأن بالذات،يورد لنا المؤرخ(لوريدو دياث) بقوله:"...فالمرحلة الأولى كما نراها هي الانفتاح على أوروبا التي وضع فيها سيدي محمد بن عبد الله يده على كل الوسائل التي مكنته من دخول المسرح السياسي-التجاري الأوروبي؛أما المرحلة الثانية فتمثلت في السعي إلى توحيد البلاد والبحث عن المساعدة،وشراء الأسلحة من أوروبا،قصد استرجاع الجيوب التي كانت ماتزال تحت السلطة الإسبانية،والمرحلة الثالثة والأخيرة كرست لتنمية العلاقات التجارية،وخلالها بدا واضحا تحمس سيدي محمد بن عبد الله لكسب قوة سياسية واقتصادية تؤهله للتأثير في توجهات العالم الإسلامي،وبشكل محدد في جناحه الغربي الذي هو شمال إفريقيا..."[3].

من خلال ما مر معنا يتبين لنا،وكما أثبتناها سابقا أن سياسته الانفتاحية كانت موجهة أوروبيا،وأيضا الرغبة من ذلك كله توجيه العالم الإسلامي،ومنها الجزائر بالخصوص لإرادته السياسية.حيث أراد من هذا الخيار السياسي،إخضاع داي الجزائر لحكمه على الأقل بطريقة غير مباشرة[4].

لنرى الآن ما كانت عليه نظرة الباب العالي للمغرب وسلطانه وسياسته، يبدوا لي بعد اطلاعي على وثائق عثمانية نشرها المؤرخ(عبد الرحمان المودن)أن الباب العالي رحب بالمبادرة،وعلى إثرها وجد في وثيقة

---

(1) Ramon Lourido Diaz: Op.cit,n:(6),p233.

(2) Louis Chénier :Op.cit,T3, p458.

(3) رامون لوريدو دياث:السياسة الخارجية للمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر(على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله)، ط1،تر:مولاي أحمد الكمون وبديعة الخرازي، إشرا:عبد الكبير العلوي الإسماعيلي،ن.ج،الدار البيضاء2013،ج2،ص248.

(4) Ramon Lourido Diaz: Op.cit,p232.

من أرشيف اسطنبول تعود لمنتصف القرن الثامن عشر،تنص على:"...هذا سجل التراخيص التي تمنح لسفير سلطان المغرب ومرافقيه الذين أتوا إلى سمو الدولة محملين بهدايا(مبعوثه من سلطان المغرب)..."[1].

أيضا مما استخلصه مترجم الوثائق المؤرخ عبدالرحمان المودن أنه من خلال هذه التراخيص،يتبين لنا:"...إشعار واحد وتنبيهين في التسمية العثمانية الرسمية في التوجه إلى حكام المغرب في هذه الجملة الطويلة:الحاكم وصف بالعاهل(السلطان)وسمي البلد (المغرب) في حين كان الاستعمال النظامي والمتردد منذ القرن 16م و حاكم فاس،حاكم إمارة فاس..."[2].

يستشف من هذا أن الباب العالي، قد آمن بالسياسة الانفتاحية للمغرب،ولذا نراه يرحب بالفكرة،ويعزز ذلك على المستوي التطبيقي لها،فهاهو يضفي تسمية المغرب على كل مشمولاته الجغرافية،ويعطي الأولوية للسفارات المغربية للباب العالي.

ونفس الكلام يؤكّده القادري،من أن الباب العالي تبادل مع المغرب سفارات سياسية،وبإيعاز من المغرب،حيث تخلل هذه السفارات مواضيع عسكرية وتقنية[3].

ويمكن للباحث القول بأن طبيعة الانفتاح السياسي،أيضا لم تكن من وحي المغرب،وإنما كانت واقعا معاشا جسده العثمانيون في بلاد المغارب.ومن ثم لم يجد المغرب بدا من نهجها تأمينا لمصالح بلاده الضيقة!.

إن المتتبع لطبيعة السياسية الجزائرية،وهي حتى في حروبها مع المغاربة،التي كثيرا ما افتعلوها هم ،يجد أن الجزائر وحكامها،كانوا يسايرون الوجهة السلمية السياسية في كثير من الوقائع التي مارسوا فيها تطبيقاتهم الأنفة الذكر.

---

(1) Abderrahmane Moudden:The Sharif and the Padishah...., Op.cit,p7.

(2) Ibid, Op.cit,p7.

(3) القادري:المصدر السابق،ج4،ص ص209-210.

فعلى سبيل المثال نجد الداي شعبان وهو في حروبه مع إسماعيل العلوي،يقدم ما أعتقد أنه انفتاح سلمي؛تجلى ذلك في إرغام الداي شعبان غريمه إسماعيل العلوي على التوقيع على اتفاقية السلم[1]،ومما سجله المؤرخون الغربيون عن الداي شعبان:"...كما أن الداي كان متشوقا لإنهاء هذه الحرب في أقرب وقت،والتي كان من الممكن أن تستمر بلا شك بالتفوق ودون الخوف أيضا من ثورات المغاربة القاطنين في مملكة الجزائر..."[2].

ربما حتى السنوات فعلت فعلها في توجيه العلاقات بين البلدين إلى ذاك التوجه الانفتاحي،وذلك أنه من 1147-1165هـ/1733-1757م لم نعد نسمع عن علاقات بين الباب العالي والمغرب[3].

ولأجل هذا كتب المغاربة عن بلاط سلطانهم،ما يلي:"...وهكذا أصبح بلاط المولى محمد بن عبد الله من خير ما عرف تاريخ المغرب علما وجمالا وروعة وصلاحا وعظمة،حتى أنه ليمكن القول بأنه كان أكثر تركيزا من بلاط آل عثمان الذي كان يجلهم تواضعا منه وبعثا لسلطان الإسلام،ونشر قوته في الأرض..."[4].

---

[1] Laugier de Tassy: Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam ,Henri du Sauzet ,(S.D),p302.

[2] Laugier de Tassy: Op.cit,p302.

[3] عبدالرحيم بنحادة:المغرب والباب العالي...،مرجع سابق،ص167.

[4] أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار...،مصدر سابق، ص19،وهنا وللباحث ملحوظة على هذا النص،فالشق الأول يعتبر صحيحا إلى حد كبير،أما مسألة البلاط المغربي أكثر تركيزا من البلاط العثماني أعتبرها شخصيا مغالطة تاريخية،وتجن كبير على منظومة النظم العثمانية بشتى أنواعها؛كالإدارية والسياسية والعسكرية.

ثالثا:العلاقات الجزائرية المغربية:الانفتاح الدبلوماسي

أ) مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح الدبلوماسي

1) –بدايات تشكل سياسة الانفتاح بين البلدين دبلوماسيا:

أردت أن أضع يديّ على جوهر القضية،أو مربط الفرس في مقاربة العمل السياسي وكذا الدبلوماسي بين المغرب والجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي،في هذه الجزئيات المتبقية من البحث،وهذا ما رأيته ربما حسب وجهة نظري مجسدا في الإشكالية المطروحة سالفا،والتي كانت كالآتي:

هل حقيقة تطورت،وتبلورت سياسة سيدي محمد بن عبد الله إلى معاملات وممارسات ديبلوماسية؟

لعلّ بدايات التشكل في سياسة الانفتاح الدبلوماسي بين الجزائر ومن خلالها الباب العالي،والمغرب الأقصى تأخذ هنا بالذات حسب رأيي رمزية تاريخية جديدة على مستوى العلاقات السياسية بين البدين فترة القرن الثامن عشر الميلادي،ذلك أنه حسب اجتهاد بعض المؤرخين المختصين أفرز نتيجة مهمة جدا؛إقرار محاضر جلسات خاصة بالسفارات الدبلوماسية عقدت بالباب العالي[1].

هذه البدايات صاحبها أيضا إدراج ملحوظات المغرب الأقصى المتعلقة برسميات وبروتوكولات تنظيم العمل الدبلوماسي عبر سفرائه،فكان يومها أن اشتكى واحد منهم من ضيق مقر إقامتهم بالباب العالي،عن هذا الموقف نجتزئ كلام الباحث(عبد الرحيم بنحادة)،حيث يقول:"....وكان مكان إقامة السفراء المغاربة يطرح مشاكل بالنسبة للإدارة العثمانية فقد اشتكى أحد السفراء المغاربة (وهو من أقرباء

---

[1] ترتب عنه إقامة استقبال خاص من طرف السلطان العثماني(سليم الثالث) للسفير المغربي(الطاهر بنعبد السلام السلاوي،الذي يعتبر أول سفير مغربي حضي بذاك الاستقبال) ،ينظر:عبد الرحيم بنحادة:"فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1991،ص 246.

حاكم فاس) من ضيق قاعة الاستقبال فصدر الأمر الهمايوني بنقله إلى قصر اسما سلطان الذي كان مخصصا للسفراء المغاربة..."[1].

ومن خلال وثيقة منشورة في الأرشيف العثماني،وجدت إيحاءات ايجابية،ومواقف حسنة،وردود فعل من طرف الباب العالي؛إذ تعطينا حقيقة صورة واضحة وحقيقية عن مدى قبول وانفتاح الباب على العالي على الرحلات السفارية،والبعثات الدبلوماسية المغربية،وفي بعض الأحيان الإشادة بعملها[2].

وفي هذا المعنى أيضا،نجد الزياني يبرز لنا مواقف الباب العالي من سفارته لأسطمبول؛حيث يذكر عن الوزير العثماني،وما كان لهذا الأخير من عناية خاصة بسفارته،حيث يقول:"...فأول ما بدأني به،قال قل للأفندي أني أوحشتك ،وما أردت أن أكلفك المشقة إلى بيتي،وأوصيت خير الدين أن يأتي بك إلى بيته،وأكون أنا الوافد عليك،والساعي إليك،ولولا أن المانع الذي هو قانون عندنا،لأتيت لبيتك فسامحني في تعبك..."[3].

هذا الأمر يدعونا للتساؤل عن مرد ذلك؟

إن أدبيات الرحالة المغربية خلال القرن الثامن عشر كانت في أغلب أدبياتها تدعوا إلى سلوك نهج التقريب بين مهمات وأهداف السفارت بين المغرب والباب العالي؛واقع دولي محموم ساهم في تبني الخيار الموضح سلفا،وفي هذا يقول أحد الباحثين مانصه:"...وقد نمت الرحلة بين عامي 1766-1767م،في عهد السلطان أبي عبد الله محمد بن عبد الله،إلى ملك اسبانيا (كارلوس الثالث).وكذا رحلتي محمد بن عثمان المكناسي:(الإكسير في فكاك الأسير[4]) إلى كارلوس الثالث سنة1779م،و(البدر السافر لهداية

---

[1] عبدالرحيم بنحادة:فترة السلطان...،مقال سابق،ص250.نقلا: (H.H.7857).

[2] ينظر نص الوثيقة في الملحق رقم:(6).

[3] أبو القاسم الزياني:الترجمانة الكبرى...،مصر سابق،122.

[4] محمد بن عثمان المكناسي:الإكسير في فكاك الأسير،ط1،تح:محمد الفاسي،م.ج.ب.ع،الرباط1965م.

المسافر إلى فكاك الأسارى من يد الكافر)إلى مالطا سنة 1781م.وفي هذا الجو المشحون بالحذر وتوالي الاعتداءات والحالة المزرية للأسارى والصراع الديني وموقف الفقهاء ضد النصارى المعتدين..."[1].

نقطة أخرى ركّز عليها المؤرخون المغاربة في البرنامج الإصلاحي والسياسي للسلطان محمد بن عبد الله؛نقطة رعايتة وإشفاقه على أسرى المسلمين،ولأجل ذلك نجده يرسل بالسفارات إلى بعض الدول الأوروبية[2]،هذا الاهتمام منه جاء على خلفية إرسال الجزائريين له إمدادهم بالعون لجهاد الاسبان،وتحرير الحصون الواقعة بشواطئ أرض المسلمين الممتدة بسبتة إلى وهران[3].

إن ما يلاحظ بعد قراءاتي المتواضعة لمراسلاته مع الإسبان،أن السلطان لم يذكر الموقف الرسمي؛أتراك الجزائر،وإنما اكتفى بذكر الجزائريين،أي الموقف الشعبي،فهل هذا حدث بالفعل؟أم تعمد السلطان سيدي محمد بن عبد الله إقصاء الأتراك العثمانيين من المشهد السياسي للمغارب وقتها؟

يبدوا أننا من خلال قراءتنا لمراسلة أخرى له مع الإسبان،وبعض ما كتبه أحد المتخصصين الغربيين في سياسة السلطان سيدي محمد بن عبد الله،استنتجت أنه سعى من جهة حماية مصالحه،وإدامة وده مع الإسبان هذا من جهة ولو على حساب قضية الأسرى،ومن جهة ثانية أن تهميشه للموقف الرسمي يعتبر إلى حد كبير ديدنه الحقيقي؛لأجل ذلك نجده يركّز على الجانب الشعبي للاستقطاب من جهة،ومن جهة ثانية اختياره لموقف يجعله يحقق ذلك؛مسألة الجهاد وتحرير الثغور المحتلة.

وأما عن النقطة الأولى استوضحناها من خلال رسالة له إلى الملك كارلوس الثالث[4] بتاريخ 26جمادى الثانية1198هـ/2ماي 1784م،جاء فيها رغبة كاتبها في تأخير حملة عسكرية كان قد

---

[1]عبد النبي ذاكر:"مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات السفارية المغربية من القرن 18 إلى مطلع القرن 20"،ورقة علمية قدمت إلى:ندوة الرحالة العرب والمسلمون،اكتشاف الآخر،المغرب منطلقا وموئلا،ن.ج،الدار البيضاء2003،ص373.

[2]أطلقت عليهم لفظ السفراء،نظرا لمهماتهم،ولكن من يتساءل عن أحقيتهم عن هذا الإسم!؛أي هل فعلا هم سفراء؟عن هاته الإشكالية، أي عن السفراء،ينظر:: عبد المجيد قدوري: سفراء المغرب في أوروبا1610-1922،ط1،م.ك.آ.ع.إ.ر،الدار البيضاء1955،ص8.

[3] ينظر الملحق رقم:(7).

[4] تولى الحكم مابين(1759-1788م).

شرع فيه من طرف الإسبان تجاه الجزائريين،وذلك بعد النظر إذا هم مع شرط الصلح أم لا،ومؤكدا بأنه مع الصلح طوعا أم كرها،وهذا في نظره أن الصلح هو عمل لنية السلطان العثماني[1].

النقطة الثانية، نستوضحها من ما ذهب إليه (رامون لوريدوا دياث) في قوله:"...ومع هذا لا أوّد المضي قدما بدون أن ألمح إلى الحملة(الفتنة) الماكرة التي وضعها(نشرها) سيدي محمد بن عبد الله بين الجزائريين البرابرة والسكان العرب بهدف أن تكون (إلى جانبه) لصالحه عندما يقوم بالتدخل بقوة السلاح في الإيالة.

وانطلاقا من هذا فإننا نفسر بأن نوايا سلطان المغرب لم تكن بكل بساطة نظيفة في تحريض سكان الجزائر الأصليين ضد السلطات التركية،وهذا لأن مثل هذا التمرد يسهل له بشكل كبير تدخله.(أي ضد إيالة الجزائر)..."[2].

وقد اعتمد هذا خاصة في سفارته[3] للسلطان عبد الحميد الأول[4] لما توفي أخوه مصطفى الثالث[5] سنة 1186هـ يهنئه فيها بالملك ويجدد المودة،والمودة[6].وممّا ذكره في هذه الرسالة قضية ظلم حكام أهل الجزائر وما هم عليه من الجور،وبيان وفود أهل الجزائر عليه عارضين عليهم شكاواهم،وما كان من هؤلاء إلا العنت وعدم الانصياع لذا وجه هذه السفارة هو الآخر شاكيا حكام أهل الجزائر[7].

---

[1] ينظر الملحق رقم:(8).

[2] Ramon Lourido Diaz: Op.cit,p261.

[3] وجهها عن طريق:(القائد علال الدراوي، والقائد قدور البرنوصي).

[4] تولى الحكم مابين(1188-1203هـ/1771-1789م)، عن سيرته وأعماله،ينظر:محمد فريد بك المحامي:المرجع السابق،ص ص341-362.

[5] تولى الحكم مابين(1203-1222هـ/1789-1807م)،عن سيرته وأعماله،ينظر:محمد فريد بك المحامي: المرجع السابق،ص ص363-393.

[6] هنا حسب ابن زيدان يقصد بها سياسة الانفتاح والتعاطف حسبه تجاه العثمانيين،ينظر:ابن زيدان:إتحاف أعلام الناس...،مصدر سابق،ج3،ص352.

[7] المصدر نفسه،ج3،ص352.

فدعوى السلطان سيدي محمد بن عبد الله في توجّه الجزائريين إليه لأمر الجهاد،هو في رأي أكبر تجني مزعوم على التاريخ وصناعه في إيالة الجزائر،وللتدليل على كلامنا،نرد على زعمه بنقطتين،نقول أن الجزائر تكلم عنها هو في القرن الثامن عشر،كيف كان وضعها السياسي والعسكري يا ترى؟

وفي هذه النقطة نجتزئ نصا للباحث (شكيب بن حفري) ،حيث يقول فيه:"...لاشك أن القرن الثامن عشر الميلادي بالنسبة لتاريخ إيالة الجزائر العثمانية فترة قائمة بذاتها،لأن إيالة الجزائر عرفت فيها أوج قوتها البحرية وكمال وحدتها السياسية في عام 1792م-وللمرة الأخيرة- من استرجاع مدينتي وهران والمرسى الكبير من أيدي الإسبان...مما جعلها تنعت بصفة"دار الجهاد"و"إيالة الجزائر المحروسة"كما كان يرد الإشارة إليها في الفرمانات التي كان يرسلها الباب العالي..."[1].

وفي نفس الإطار نجد أن الجزائر عسكريا كانت حاضرة، حتى في الأرشيف التاريخي لما وراء البحار للشبونة،المؤرخ في سنة 1785م،تحت اسم:"خريطة القوات البحرية الجزائرية"[2].كما لا أنسى في هذا المقام ما كتبه أحد المؤرخين المغاربة،وحتى غير المغاربة عن دور أتراك الجزائر في إذكاء روح الجهاد،وإعادة بنائها لدى العلويين.

فنجد عند أحدهم أن الدولة استطاعت ،أن تقوي أحد مبادئ قيام العلويين؛تنقية الثغور من رجس ونجاسة الكفار ورد الكيد عنه[3].وعند آخر تجلى ذلك في ضغوطات العثمانيين في اتجاه تصعيد الجهاد ضد النصارى الذي ظل غائبا[4]،و في رأي باحث أخر أن صنيع العثمانيين وفق إسماعيل العلوي في هذا

---

[1] شكيب بن حفري:"العلاقات الإسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوط عثماني"،في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية-قسنطينة،الجزائر 1423هـ/2002،ع1،ص ص119-120.

[2] رامون لوريدو دياث:المرجع السابق،ص72،نقلا عن :

-.Sec. Noret de Africa ,caixa3.

[3] لأفراني:نزهة...،مصدر سابق،ص306.

[4] محمد المنصور:الضغوط العثمانية...،مقال سابق،ع5،ص27.

هذا المسعى إلى حد كبير،فقد وصف كأكثر السلاطين العلويين اهتماما بتحرير الثغور،وواضع اللبنة الأولى لهذا المشروع؛النشاط البحري[1].

وبعد هذه الأدلة التاريخية المتنوعة يتبيّن لي أن الرغبة الشخصية والمصلحة الذاتية للسلطان محمد بن عبد الله، قد أدت دورها في الخط السياسي الذي تبناه،وهو في هذا كان لا يمت بصلة لما عرف بالجامعة الإسلامية مطلقا،هذا الاستنتاج ليس من كيسي وإنما مستقى ومثبت في مصادر ومراجع متخصّصة.

لكن يبقى الاستفسار والتعجب في آن واحد!هو كيف رضي السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يمرر مشروعة الانفتاحي المزعوم على العالم الأوروبي،ولكن في هذه المرة لم يكن لحصب مادي،ولا مشروع تجاري اقتصادي،وإنما عمله ووجهته هذه اعتبرت بحق خطوة عملاقة نحو تخطي الحواجز القائمة على أسس عقائدية[2].

وفي رسالة كتبها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى قناصلة الدول الأوروبية المعتمدين بالمغرب بتاريخ 17رمضان 1188هـ/22نوفمبر1774م،حيث أن هذه الرسالة جاءت بعد إعلان ملك اسبانيا(كارلوس الثالث) على المغرب،وجدت فيها انفصام كلي عما أراده السلطان من مسألة الجامعة الإسلامية؛إذ كما أسرد مقتطفا من رسالته،سجلت تهربه وتملصه التام من مسألة لوازم وضرورات السلطان في الإسلام،أي أنه مستخلف،وبما أنه مستخلف وجب عليه نصرة ثغور الإسلام والمسلمين،فموقفه هنا أيضا يحتاج لإعادة نظر وتأمل.

وممّا جاء فيها:"...غير أنه فيما يخص الجيوب الواقعة بشواطئ إيالتنا والتي يزعم ملك اسبانيا أنها من ممتلكاته فهي في حقيقة ليست لنا ولا له،بل إنها لله للواحد القهار الذي يملّكها لمن يشاء..."[3].

---

[1] يحي جلال:المولى إسماعيل وتحرير...،مقال سابق،ع3،ص ص7-35.

[2] رامون لوريدو دياث:المرجع السابق،ص73.

[3]محمد بن عزوز حكيم:"عزل الوزير الغزال بين الأسطورة والتاريخ"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1991،ص55.

إننا في هذه الجزئيات بالذات،ومع جزئية الانفتاح السياسي للمغرب الأقصى في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله،توصلنا إلى عدم تصديق خبر هندسته لها،وإنما كانت موجودة عند أسلافه،أو اقتبسها من العثمانيين أنفسهم.

ربما من هنا سجل عن عهد السلطان محمد بن عبد الله من طرف الباحثين المغاربة،هذا الانطباع الرامي إلى:"...علاقة المغرب بالإيالات التركية في منطقة شمال إفريقيا(تونس- الجزائر-طرابلس)،وهو جانب لم يحظ باهتمام كبير من طرف المؤلفين الذين تناولوا عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالتأليف،والذين انصب اهتمامهم على سياسية السلطان الخارجية وإنجازاته الثقافية والعمرانية وعلاقات المغرب بالدول الأجنبية والدولة العثمانية باصطمبول..."[1].

قد يخيل للقارئ أنه حكم،ولكنه في حقيقة الأمر انطباع شخصي دّعم بآراء لباحثين لهم قصب السبق في هذا الشأن،نذكر هنا نصا للمؤرخ (عبد الله العروي) يعرض فيه للأطر العامة التي انتهجها السلطان سيدي محمد بن عبد الله لبناء دولته،ومن خلاله استنجت الانطباع السابق،يقول فيه:"... أعاد تأسيس الدولة العلوية على غير القواعد السابقة.كان مبدعا في إطار التقليد.

1-وظف النسب العلوي الهاشمي بكيفية أوضح،على الأقل في الداخل؛2-اعتراف بحقوق القيادات المحلية في حدود معينة؛3-اعتمد في إعادة بناء الجيش على عناصر متأصلة في قبائل مخزنية محررة من النوائب؛4-قنع بمداخيل الجمرك لتموين الخزينة وإقامة الجيش..."[2].

لعلّ هذا في نظري هو ما جعل لويس دوشنييه يعبر بقوله عنه:"...لم يرث صلابة أجداده ..."[3].فعدم وراثة صلابة أجداده هنا تعني عندي مسايرته للموقف العثماني في التأسيس للعلاقات

---

[1] زهراء النظام:"علاقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالإيالات العثمانية في شمال إفريقيا(طرابلس-الجزائر-تونس)"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،م.د.ب.ع،الريصاني 1991،ص236.

[2] عبد الله العروي:مجمل تاريخ....،مرجع سابق،ج3،ص503.

[3] Louis Chénier :Op.cit,T3, p240.

السياسية والدبلوماسية بالمغارب طيلة العصر الحديث،وأيضا خروجه عن المألوف مقارنة بأسلافه،إذ أنه بمنطق العثمانيين في بناء العلاقات السياسية والدبلوماسية،نجده يعتمده في البناء لها.

ب–طبيعة الانفتاح الدبلوماسي:

عمل السلطان سيدي محمد بن عبد الله من خلال توثيقه لرابط العمل الدبلوماسي في جوانب علاقاته السياسية مع أتراك الجزائر ومن خلالهم الباب العالي،على تجسيد فكره الجامعة الإسلامية[1]،وهذا له في رأيي داع لذلك، تمثل في طرحه كبديل لعالم الشرق في وجه العالم الغربي آنذاك.حيث كان ذلك الزخم الدبلوماسي ممثلا في كثافة عدد سفرائه؛البالغ عددهم الأربعة عشر سفيرا[2].

بالباب العالي مقارنة مع مثلياتها المتعلقة بالدول الأوروبية.

ولكن هذا البديل لم يمنعه من إقامة شبكة علائقية توزعت على دول أفرو–أسيوية[3]؛تتحكم فيها المصلحة الفردية،وتغيب معها قضية المبادئ والقواسم المشتركة بين بلاد المغارب وقتها.

---

[1] محمد الضعيف الرباطي:المصدر السابق،ص193،هـا رقم:(1311).

[2] توافد على الباب العالي من فترة(1761–1790)عددا من السفراء المغاربة،نوجزهم فيمايلي:–1761 كانت فيها سفارة الحاج عديل الخياط–1764 كانت فيها سفارة الطاهر بن عبد السلام السلاوي– 1765 كانت فيها سفارة عبد الكريم راغون التطواني–1775 كانت فيها سفارة عبد السلام(ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله) –1778 كانت فيها سفارة الطاهر فنيش–1782 كانت فيها سفارة مكي بركاش–1783 كانت فيها سفارة القائد علال الدراوي والحافي–1784 كانت فيها سفارة عبد الكريم العوني–1785 كانت فيها سفارة ابن عثمان المكناسي–1786 كانت فيها سفارة عباس(؟)–1786 كانت فيها سفارة أبو القاسم الزياني–1787 كانت فيها سفارة عبد الملك بن ادريس–1788 كانت فيها سفارة محمد الزوين ومكي بركاش–1790 كانت فيها سفارة الطاهر بن عبد الحق ومحمد الشيباني،ينظر:ابن زيدان:إتحاف أعلام الناس...،مصدر سابق،ج3،ص ص349– 359،عبد الرحيم بنحادة:المغرب والباب العالي...،مرجع سابق،ص ص168–169.

[3] ينظر الملحق رقم:(9).

ففكرة الجامعة الإسلامية صحيح نادى بها هو،لكنني استنتجت من خلال تتبعي لهذه الفكرة وجدت أنها من أولويات العثمانيين في إقامة علائقهم مع غريمهم المغرب الأقصى منذ الطلائع الأولى للإخوة باربا روسة[1].

جاءت في تطبيقات السلطان لها كتطبيق نلمس منه أنه جزئية صغيرة في إطار ما يسمى بفكرة الجامعة الإسلامية،إن كل تطبيقاته كانت تتعلق بجزئية العمل العسكري،أكبر منها في الجانب السياسي والدبلوماسي،وهنا أسمح لنفسي تسجيل ملاحظة غابت عن أعين متتبعي سياسيه الخارجية؛تطبيقاته من الانفتاح ركزت في أغلب مظاهرها على الجانب العسكري،وما جاء في جوانب أخرى كان عرضا ليس إلا. حيث كانت تطبيقاتها تندرج في عدم عقده لأي اتفاق ولا وفاق مع الروس تضامنا مع السلطان العثماني[2].

لكن هل يمكن أن نسميه تضامن حقيقة؟ولما؟

أعتقد هنا أيضا في هذه النقطة مبالغة فعلا لم تصل إلى التضامن الحقيقي،ذلك أن عدم الاتفاق مع الروس حينها، لم يكن سوى لأغراض دنيئة[3]،ولنترك للباحث (رامون لوريدو دياث) التعليق عليها،حيث يقول:"...وقد تلت هذه الاقتراحات التي كانت تستجيب في العمق للنزعة الإنسانية عند السلطان،اقتراح آخر عن طريق القنصل الهولاندي،نص على السماح لكل الدول المسيحية التي مازالت لم تعقد معه أية معاهدة،مثل روسيا،وسردينيا،ومالطا،ونابولي،وهنغاريا،وجنوة،وألمانيا،والولايات المتحدة الأمريكية،بإرسال سفنها لموانئه لمزاولة التجارة بكل حرية..."[4].

---

(1) عولجت هذه المسألة من طرف وجهة الباحث في جزئيات الفصل الثاني.

(2) عبد الله العروي:مجمل تاريخ....،مرجع سابق، ج3،ص503.

(3) رامون لوريدو دياث:المرجع السابق،ص62.

(4) المرجع نفسه،ص62،نقلا عن:

-CAILLE :Les accords internationaux ,p223,y en HOST C:Den Marokanske Kaiser Mohamed ben Abdallah s ,p183 s.

ويورد نفس الباحث في مقال آخر،يعلّق فيه بقوله:"...وكذلك لم يستطع الاستناد على الوسائل الحربية المحدودة في نجدة(مساعدة) مجموعات الجيوش التركية المهزومة يوما بعد يوم والتي تنازلت (تركت) أراضي كبيرة(مساحات كبيرة)مقارنة بالانتصارات المتقدمة لجيش كاتالينا II الروسي..."[1].

انكفاء السلطان سيدي محمد بن عبد الله عن المساعدة،هو في رأيي الحفاظ على مصالحه التجارية،لذا لم يولي اهتمام لهم،مخافة أن تتعرض أرباحه التجارية للمضايقة والمصادرة،جراء نكبات غير متوقعة مرجعها وأساسها البحر أو الارتكاسات الانتقامية من الدول المتضررة[2] ،من عمله الجهادي مع العثمانيين.

طبعا هذا يبقى اجتهاد شخصي من طرف الباحث،حيث رأيت أنه لا تفسيرات لحد الآن-في حدود اطلاعي- قدمت لمعرفة دوافع وتداعيات امتناعه عن مفاوضة الروس،وهنا كذلك أقول امتناعه المؤقت فقط.

كتب بعض الباحثين في قضية تعتبر مهمة في مسألة طبيعة الانفتاح الدبلوماسي،رأيت أنها أغفلت تماما من كتابات المغاربة،وانعدامها في الكتابات الجزائرية تماما.جوهر هذه القضية يتمثل في أن كثافة النشاطات الدبلوماسية للمغرب الأقصى مع الباب العالي،قصد بها كسب ود السلطان العثماني،ومن ثم إمداده بدعم عسكري ضد داي الجزائر هذا أولا[3].

وأما عن القصد الثاني فتمثل في رغبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في حرية التصرف ضد الجزائر حسب نظرته الخاصة[4].وفي نفس الوقت مبديا رأيا متناقضا،مفاده:"...معلنا في الوقت ذاته بأنه لا

---

(1) Ramon Lourido Diaz: Op.cit,p231.

(2) Louis Chénier :Op.cit,T3, p467.

(3) Ramon Lourido Diaz: Op.cit,p261.

(4) ibid,p261.

يشرفه أن يحكم هذا الإقليم(أي الجزائر) بحسب ما أمر به..."[1].وصدر أيضا منه رفض وساطة الباب العالي في قضية احتجازه سفن جمهورية دوبروفنيك[2].

وتتمثل قضية الوساطة في الصفح عنهم،بوصفها حامية لهاته الجمهورية[3].

وفي هذا الإطار حاول بعض من المؤرخين المغاربة أن يسجلوا صفحات عن سلطانهم سيدي محمد بن عبد الله،ولكن للأسف دون بيان لطبيعتها الحقة كما مر معنا سابقا،وأيضا دونما البحث في أسباب ودواع سياسته هاته.

ونستشهد من أقوال بعضهم في هذا الباب ما يتفق مع استنتاجات الباحث. وفي هذا الصدد تقول الباحثة(زهراء النظام)،مانصّه:"...وعمل السلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار سياسته الخارجية التي تعتمد على الود والتسامح والتعاون على التقرب من الأتراك العثمانيين لكل من طرابلس وتونس والجزائر وكسب ثقتهم وودهم،لأنه كان يعتبر أن علاقته بهم استمرار لعلاقته الطيبة بالأتراك العثمانيين باصطمبول،وتأكيد للروابط القديمة التي تربط المغرب ببلدان المغرب العربي والتي تقوم على عدد من

---

[1] Ramon Lourido Diaz: Op.cit,p261.

[2] تقع دوبروفنيك على البحر الأدرياتيكي جنوبي دالماسيا،أسست في أواسط القرن السابع الميلادي،وقد أصبحت هذه المدينة مركزا تجاريا كبيرا.كانت تحكم بواسطة ديوان منتخب،شكلت جمهورية مستقلة بذاتها،ولحكم موقعها الجغرافي خضعت للدول التي سيطرت على شبه جزيرة البلقان،ومنها:

-البيزنطيين منذ تأسيسها إلى سنة 1205م.

-البنادقة من 1205-1358م.

-الهابسبورغ من سنة1358-1520م.

-العثمانيين من 1520-1806م،سميت دوبروفنيك في الوثائق العثمانية،كما كانت ترد تحت مسميات أخرى؛الدوبره،أو الظوبرة،وتارة أخرى دوبره بنديق وتارة ثالثة راكوزة أو الراكوزين،ينظر:

-Abderrahim BEN HADDA: documents Ottomans Sur Les relations entre le Maroc et la Turquie du temps de Moulay Sulaiman ,in (H. T),Université Mohammed V, RABAT1993, (Vol. XXX V), Fasc.2,n:7,p13.

[3] Abderrahim BEN HADDA: documents Ottomans Sur Les relations... ,Op.cit,p13.

المعطيات:بشرية،وتاريخية،وثقافية،ودينية ولغوية.فكانت مواقفه تعبيرا عن رغبته في استمرار علاقة الود معهم..."[1].

ومن باب الإنصاف ،أعتقد أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله لم يحسن استثمار تلك الروابط والقواسم في إطار سياسته التي كانت من وجهة نظري فاشلة،وغير بانية لمخزنه،ولا للعالم الإسلامي يومئذ.

وعليه يجب علينا أن نقر بأن سياسته الانفتاحية المستوحاة من العثمانيين أنفسهم،كانت تجربة منغلقة وذاتية وعدائية في أغلب الأحايين.

ولا ضير هنا أن أستشهد بنص للباحث (مكي جلول)،حيث يقدر لنا فيه عن نسب الصلح والسلم بين البلدين،وبعدها أترك الحكم للقارئ الكريم،حيث يقول فيه:"...دام الصراع بين البلدين ما يقارب قرنين ونصف(245سنة)،14 سنة بين الزيانيين والمرينيين،و26 بين العثمانيين والسعديين،و66سنة بين العثمانيين والعلويين،ومدة السلم بين البلدين مايقارب نصف قرن (43سنة)،29سنة بين الزيانيين والمرينيين،14سنة بين العثمانيين والعلويين..."[2].

وإجابة عن إشكالينا السابقة المتعلقة ب:هل نجحت العلاقات السياسية بين البلدين في التطور للعمل الدبلوماسي؟

الإجابة نتركها للباحثة(زهراء النظام) لتستوضحها قائلة:"...رغم الجهود التي بذلها السلطان سيدي محمد بن عبد الله لربط صلته بالأتراك في كل من طرابلس تونس والجزائر فإنه ظل في تعامله معهم حذرا،وظل يتملص من السماح لهم بإقامة سفارة عثمانية أو قنصلية معتمدة بالمغرب كما هو شأنه مع

---

[1] زهراء النظام:علاقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ...،مقال سابق،ص237.

[2] مكي جلول:المرجع السابق، ص ص157-158.

الدول الأوروبية،لأنه كان يدرك أن الأتراك خاصة أتراك الجزائر لم يكونوا جادين أبدا في علاقتهم بالمغرب بما كانوا يبيتون ضده من نوايا سيئة..."[1].

إنني أوافق الباحثة (زهراء النظام)في الجزئية الأولى المتعلقة بعدم إقرار السلطان سيدي محمد بن عبد الله،وهذا في رأي كما أسلفت يعود إلى نفسيته وشخصيته فحسب.أما ما أراه استدلال في غير محله،ولا يستقيم أبدا مع الحقيقة التاريخية،هي الجزئية الثانية المتعلقة باستمرار تطلع العثمانيين احتوائهم للمغرب الأقصى[2] طوال نظامهم ببلاد المغارب فهذا غير صحيح،بل ويكاد يحقق إجماعا بين مؤرخي المعمورة كلها.

نأخذ رأياً لمؤرخ مغربي آخر حول هذه القضية،حيث يبين أنه منذ القرن السابع عشر انكفأ الأتراك العثمانيون نهائيا عن المغرب الأقصى،وما حدث من نزاع بينهما كان في أغلبه مجرد نزاعات حول الحدود[3].كان هذا في القرن السابع عشر،فما بلك بالقرن الثامن عشر!!

إن نفس الباحث يخبرنا بأن رغبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله السلمية،أيضا لم تكن سلمية بالمعنى الحقيقي،حيث يقول:"... المرحلة الثالثة اتضحت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين أخذت أسباب الضعف تلم بالدولة العثمانية وما استتبع ذلك من تزايد الأطماع الأوروبية فيها مما ترتب عليه زوال كل دواعي التخوف القديمة منها وحلول علاقة أخرى تقوم على شكل من أشكال التعاطف الإسلامي..."[4].

---

[1] زهراء النظام:علاقة السلطان سيدي محمد بن **عبد** الله ...،مقال سابق،ص244.

[2]حول هذا ينظر:عمار بن خروف:"إخفاق العثمانيين في احتواء وعثمنة المغرب الأقصى:الأسباب والنتائج"،في:م.ت.م،تونس2004، ع114.

[3] يونان لبيب رزق و محمد مزين: تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912،د.ن.م،الدار البيضاء1982،ص19.

[4] يونان لبيب رزق و محمد مزين:المرجع السابق، ص 19.

إذا والحال هاته،فلما لم يقبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله على فتح قنصلية عثمانية في المغرب الأقصى،خاصة وهو يدرك ضعفهم النهائي الموشك على سقوطهم في القرن التاسع عشر الميلادي!!

أرى أخيرا وليس آخرا، أن الموضوع الذي ناقشت جزئياته في ثنايا هاته الأطروحة،أنه يحمل في طياته بذورا تدعوا للقلق،وبذورا أخرى تدعوا إلى الأمل،وفي هذه النقطة نورد نصا للسيد (خالد أرن)[1]،إذ يقول:"...وسيساعد(أي الموتمر[2]) على تغيير الأفكار النمطية التي نشأ عليها جيلنا نتيجة ترسبات سياسية وإيديولوجية لاعلاقة لها بأصول المنهجية والموضوعية في علم التاريخ.ونحن إذ نقترب من نهاية مدة تبلغ قرنا من الزمان على خروج العثمانيين من مسرح الأحداث التاريخية،أصبحنا الآن في وضع أفضل لتقييم العهد العثماني..."[3].

وكتعليق أخير على النص السابق إيراده،نلاحظ أن الميزة الأولى لازالت طاغية،بل وتطفح بها جل الكتابات التي تعرضت لها الموضوع،وما يزيدها عجبا كتابات حتى العرب وغيرهم ممن هم مسلمون.وأما عن الميزة الثانية فأرى أنها لازالت فكرة ومشروع جنيني لم يولد بعد.

وفي ختام هذا الفصل، ارتأيت أن أنوه بأن تصنيف العلاقات السياسية بين البلدين فترة التواجد العثماني في الجزائر إلى مرحلية[4] تاريخية غير جائز،ذلك أنه تبين لي من خلال هاته المقاربة السياسية أن العلاقات تتحكم فيها نقطتان مهمتان هما أجدى بالتدوين والإشادة

-نقطة تلاقي الطرفان وحصول شبه تناغم بين الجزائر والمغرب طيلة العهد العثماني،كانت عن طريق عوامل تحكمت في صياغة العلاقات السياسية؛عوامل تاريخية،وأخرى طبيعية،وأخرى نفسية وحتى

---

[1] خالد أرن:هو مدير مركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإسطنبول.

[2] يقصد به مؤتمر:"المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني"،المنعقد في الفترة مابين 12و14نوفمبر2009 بالرباط.

[3] ينظر:النشرية الإخبارية، نشرية تصدر مرة كل سنة عن:م.م.ب.ت.م ،الرباط صفر1432هـ/يناير2011م ،ع3،ص8.

[4] طبيعة العلاقات بين العثمانيين و حكام المغرب الأقصى تمثلت في ثلاث مراحل:1-استغرقت أولاها أغلب القرن السادس عشر،2-المرحلة الثانية وقد اتضحت خلال القرن السابع عشر وكانت الدولة العثمانية قد فقدت قوة اندفاعها ولم تعد تشكل بالنسبة للمغرب خطرا كبيرا،3-المرحلة الثالثة اتضحت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين أخذت أسباب الضعف تلم بالدولة العثمانية وما استتبع ذلك من تكالب أوروبي عليها،ينظر:المرجع نفسه،ص ص18-19.

كارزماتية استنتجها من ثنايا الدرس؛أنموذج الكارزماتي في الجزائر مثله كل من: (الداي شعبان،والداي محمد بن عثمان باشا)،وأما عن الأنموذج الكارزماتي في المغرب مثله كل من:(المولى إسماعيل العلوي،والسلطان سيدي محمد بن عبد الله).

إن العوامل النفسية والكارزماتية هي من يجلي الطبيعة الحقيقية للعلاقات السياسية بين البلدين،وهذا حسبي أني حاولت ملامسته بما توفر لي من مادة تاريخية،ومنهج محدد،وموقف حسي نقدي يصبو إلى إضافة الشيء المميز في دراسة مثل هكذا مواضيع حسب اعتقادي.

-نقطة تنافر الطرفان وحصول شبه قطيعة بين الجزائر والمغرب طيلة العهد العثماني،كانت هي أيضا من مستخرجات في غالبها الأعم-دينية- حيث أن هذا المستخرج الديني،تبين للباحث دوره في التلاقي والتنافر على حد سواء،ورغم ماله من أهمية أيضا في فرز الصورة الحقيقية لطبيعة العلاقات الجزائرية المغربية طوال العهد العثماني، لم يحض وللأسف-في حدود اطلاعي-على دراسات تبين مكمن الجمع والتفرقة على مستواه في موضعنا هذا

تبيّن لي أن دراسات سواء سابقة،أو تجرى أنيا،أو حتى مستقبلا.لا تولي لهذه الإشكالية التي طرحتها في ثنايا هذه المقاربة السياسية،بل هي تعتم عن الموضوع،بل وتلبس في فهم خيوط الموضوع.

ولذا لابد من وضع أرضية مشتركة بين الباحثين باختلاف جنسياتهم عن الموضوع،وفحوى ذلك هو إنشاء مخابر بحث مشتركة تشرك جميع باحثين المغرب العربي الحالي،بصفتهم ممثلين لإرهاصات ومستخرجات العلاقات السياسية في بلاد المغارب خلال التواجد العثماني بها.

أعود وأذكر بأن هاته القضية الدينية الجامعة والمانعة في نفس الوقت لعلاقات البلدين خلال التواجد العثماني بالجزائر؛قضية الخلافة أولا،قضية الجامعة الإسلامية ثانيا.

ساقتنا هذه الدراسة وفق ما استنتجتاه في جزئية تقسيم العلاقات السياسية بين البلدين،إلى أن فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لا تختلف عن سابقاتها من حيث الطبيعة والممارسات والمواقف،خاصة

إذا علمنا أنه لم يبني سياسة انفتاحية حقيقية تجعله يتميز في حيزه العلائقي مع الأتراك العثمانيين،ولهذا أرى أنها بقيت رتيبة في نفس مستويات فترات السعديين و السلاطين العلويين قبله.

إن العلاقات السياسية بين البلدين كانت تفتقر إلى آليات تقريب،ووسائل ترتيب.هذه الوسائل والآليات تمثلت في غياب المؤسسة الدبلوماسية؛أي التمثيل الدبلوماسي العثماني في المغرب الأقصى وبإيعاز منه.كل ذلك حكم عليها كما قلت سابقا بعدم التفرد والتميز.

كما أن مظاهر العلاقات السياسية بين البلدين،عبّرت عن طموحات وآراء الطرفين؛ففي المغرب نجده ينسجم مع سياسية الانفتاح وفقا لمقتضيات المصلحة،وإملاء للطموحات الأوروبية. وأما عن الأتراك العثمانيين، فنجد أنهم هم من سلكوا من البدايات سياسة الانفتاح على المغرب الأقصى ،وهذا كما أشرت سابقا كان سابق للمغرب في رؤيته لتلك السياسية.

كما أدّت الأوضاع العامة في كل من الجزائر والمغرب في تلك الحقبة دورا في قولبة العلاقات من الصدامية،إلى الانفتاح والتعاون على المستوى السياسي والدبلوماسي.

ونصل إلى القول بأن المغرب كان يستشعر ضعف الباب العالي،ولهذا حاول ملء الفراغ بمحاولاته السياسية في العالم الإسلامي،وكذا العالم الأوروبي.وأما من جهة الباب العالي، فلم تجد بدا سوى مجارات هذا التحول السياسي الحاصل في المغرب.

الخـــاتـــمـــة

الخـــاتـــمـــة:

توصلت في ختام هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات والملاحظات أوجزها في الآتي:

-تبين من خلال الدراسة بأن العلاقات السياسية بين البلدين خلال القرن الثامن عشر الميلادي كانت نتاجا للأوضاع السياسية في البلدين قبل القرن الثامن عشر الميلادي،حيث كانت متشابهة عموما،التشابه في الظرفية التاريخية، التطابق في المآلات،حيث كانت جنسا واحدا؛تسنّم الحكم وافد خارجي عن البلدين.كما أن معالم أنظمة الحكم في البلدين السياسية والإدارية أوجدت فارقا على مستوى الآليات والوسائل.ففي الجزائر نجد منشأه القوة المادية المستمدة من عظمة الإيالة العثمانية.وأما عن المغرب السعدي والعلوي فقد اعتمد على القوة المعنوية المرتبطة بالنسب الشريف.

- اتضح من خلال البحث تشابه التأثيرات المحلية في البلدين الجزائر والمغرب السعدي كانت شبيهة، فسياستهم انبنت على استقطاب المرابطين والصلحاء في الجزائر أحمد بن القاضي كنموذج.في المغرب السعدي استقطابهم لشيوخ ومرابطي الزاوية الدلائية.

- تأكد من خلال البحث بأن الوجود العثماني في الجزائر ساهم في إبراز شخصيتها السياسية والعسكرية وجعلها قاعدة خلفية ومتقدمة للدولة العثمانية،بينما مساهمات المغرب السعدي والعلوي انحصرت في مكتسبات سياسية ضحلة وتجارية متأزمة غرضها ومبتغاها الأساسي الحفاظ على المجال الترابي المغربي.

- كان من نتائج العوامل الظرفية،أن كانت الصناعة العلائقية حاضرة في أذهان صانعي الحكم في البلدين طيلة العصر الحديث،من خلال جميع تجليّاتها كما مر معنا؛ فكرة ومعطى ومشروعا لدى الطرفين.لهذا جاءت منطلقة من رؤية وموقف كل من العثمانيين والسعديين والعلويين من بعدهم للعلاقات.هذا المنطلق عبر عنه بالأساس الديني العقدي مشروع الخلافة.

-يمكننا أن نعتبر أحداث التاريخ الأوروبي ونتائجه كنقطة بداية لتوجيه العلاقات السياسية بين البلدين حيث نجد مع نهاية العصر الوسيط وبدايات العصر الحديث بالنسبة للمسلمين أنه تشكل نوع من المعرفة

بالآخر بالنسبة للطرفين.وما فتح القسطنطينية إلا دليل على ذلك مراسلات التهاني بالفتح من لدن آخر سلطان مريني وما نتائجها على مستقبل العلاقات بين العثمانيين والمغاربة من علاقات إقليمية إلى علاقات محلية بين ساكنة البلدين، إلا إقرار بحتمية وتجليات الصراع الإسلامي-المسيحي على العلاقات بينهما،وأمام عامل التأثير الأوروبي في العلاقات بين البلدي نجد أن الأتراك العثمانيين يلوحون بضرورة إبعاد هذا العامل فما كان منهم إلا استحضار الوشيجة الدينية بين النظامين في البلدين وتوجيهها التوجيه الصحيح،وذلك عن طريق الضغط العثماني على المغاربة في توجيههم إلى الثغور وتحريرها وهو ما لم تنتبه له الدراسات الأكاديمية لموضوع العلائق السياسية بين العثمانيين بالجزائر والسعديين والعلويين بالمغرب الأقصى!!.

-كان لرافد الوحدة البشرية دور في الصناعة العلائقية في بلدان المغارب، وقد تجلّى في الأصول المشتركة سواء العنصر الأمازيغي أو العنصر العربي مع تسجيل عناصر مشتركة بين البلدين لكنها فرعية كالسودانيين والأندلسيين وغذّي هذا الرافد بفعل الهجرات وانتقال الأفراد والجماعات بين البلدين.

- إن علاقة التأثير والتأثر بين أجزاء بلاد المغارب في العصر الحديث، قد عرفت بصورة أجلى وأوضح في نسق منظومة الطرق الصوفية،كما يمكننا في هذا الصدد أن ننوّه،ونشد على الدور الإيجابي لهاته المنظومة،خاصة في رعاية وتوطيد الجانب الخفي من العلاقات السياسية؛المستوى الشعبي،الذي ظل لزمن غير بعيد يشكل تاريخا مهمشا ومغلقا وانفراد المجال للمستوى الرسمي في الكتابات التاريخية.

-اتضح من خلال هذه الدراسة بأن هناك جملة من العوامل والمعطيات الرتيبة والظرفية ساهمت في التأثير والتأثر على مستوى العلائق بجميع مراتبها.وأدت دورا هاما في نسج ورسم خريطة العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى ،سواء منها العوامل الطبيعية أو التاريخية، كالتغلغل الأوروبي والطرق الصوفية؛(القادرية مثلا)،والتي صقلت وقوت من شأن الاستمداد العلائقي،لترسم في النهاية ملمحا وصورة لكينونة العلاقات السياسية بين الجارتين الجيرة في المكان والزمان وفي الأخوة في الدين.

-من خلال الحفريات المعرفية والمنجية لموضوع البحث ،توصّلت إلى أن محاولة تفكيك خارطة الفعل التاريخي بين البلدين وفي إطار البحث وفق نظرة مقارباتية،انطلاقا من القرن السادس عشر إلى غاية القرن

الثامن عشر الميلاديين،كانت تتقاطع فيها اهتمامات المصالح العثمانية الجزائرية ذات التوجهات الدفاعية، ومصالح المغرب ذات الأبعاد التوسعية.

-تبيّن لي بأن الطموح المغربي؛ ومنها الطموحات الإسماعيلية، التي أوهمت البعض أنها كانت تسعى إلى تأكيد وحدة المغرب العربي، ولكنها في حقيقة الأمر أكّدت الأبعاد التوسعية للمغرب ، من خلال إقرار المولى إسماعيل العلوي مدينة تلمسان – أثناء حملته– مرتكزا له لتحقيق طموحات أسلافه.وتخوف المغرب من أن تمتد إليه قوات الأتراك العثمانيين العسكرية ،وذلك خشية من تجسيد المشروع العثماني لعثمنة المغرب.

-تبين من خلال الدراسة بأن القراءة العميقة لمظاهر العلاقات المغربية الجزائرية، في بُعدها السياسي خلال الإطار الزمني للبحث، تؤكد لنا حقيقة مفادها أن التسوية السياسية هي الحلقة المفقودة في مسار العلاقات بين الجارين. فقد شكل الصراع والتآمر والتنافس، عوامل نزع صمام الاستقرار في شمال إفريقيا.

-اتضح من خلال البحث بأن مظاهر العلاقات السياسية بين البلدين قد شهدت تطورا ونضوجا من الصدامية والتي احتلت حيزا كبيرا في ذهنيات المخزن العلوي وإلى الانفتاح؛فالأتراك العثمانيون كانوا كمبادرين،وأما العلويون فكانوا كظرفية تاريخية و فقط.

-أثبتت التطبيقات التاريخية في حقل المقاربة السياسية للموضوع فشل آليات صناعة العلاقات والحكم على المرحلة بأحكام معلبة سلفا وللأسف الشديد،أصبحت اليوم هاته التجربة تتحكم في صيرورة العلاقات بين البلدين سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي.

– تبين لي أن الدراسات سواء السابقة،أو التي تجرى أنيا،أو حتى مستقبلا.لا تولي لهذه الإشكالية التي طرحتها في ثنايا هذه المقاربة السياسية؛موضوع الخلافة،والتنادي لفكرة الجامعة الإسلامية،هي تعتم عن الموضوع،بل وتلبس في فهم خيوط الموضوع.ولذا لابد من وضع أرضية مشتركة بين الباحثين باختلاف جنسياتهم عن الموضوع،وفحوى ذلك هو إنشاء مخابر بحث مشتركة تشرك جميع باحثين المغرب العربي

الحالي،بصفتهم ممثلين لإرهاصات ومستخرجات العلاقات السياسية في بلاد المغارب خلال التواجد العثماني بها.

– إن سياسية الانفتاح في العلاقات بين البلدين وعلى جميع المستويات،كانت البادرة فيه للأتراك العثمانيين وأما عن المغرب ما كان عليه إلا أن ساير هذه السياسية الجديدة في عهدي المولى إسماعيل والسلطان محمد بن عبد الله العلويين .

–ساقتنا هذه الدراسة وفق ما استنتجتاه في جزئية تقسيم العلاقات السياسية بين البلدين،إلى أن فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لا تختلف عن سابقاتها من حيث الطبيعة والممارسات والمواقف،خاصة إذا علمنا أنه لم يبني سياسة انفتاحية حقيقية تجعله يتميز في حيزه العلائقي مع الأتراك العثمانيين،ولهذا أرى أنها بقيت رتيبة في نفس مستويات فترات السعديين و السلاطين العلويين قبله.

–توضح للباحث بأن العلاقات السياسية بين البلدين كانت تفتقر إلى آليات تقريب،ووسائل ترتيب.هذه الوسائل والآليات تمثلت في غياب المؤسسة الدبلوماسية؛أي التمثيل الدبلوماسي العثماني في المغرب الأقصى وبإيعاز منه.كل ذلك حكم عليها كما قلت سابقا بعدم التفرد والتميز.

-تبيّن للباحث أن جوهر التغيير في العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر خلال القرن الثامن عشر كانت فريدة ومميزة ذلك لأن المغرب كان يستشعر ضعف الباب العالي ولهذا حاول ملء الفراغ بمحاولاته السياسية في العالم الإسلامي وكذا العالم الأوروبي.وأما من جهة الباب العالي فلم تجد بدا سوى مجارات هذا التحول السياسي الحاصل في المغرب.

هذه جملة من الاستنتاجات والملاحظات التي خلصت إليها آمل أن أكون قد أجبت من خلالها ولو بالقليل عن إشكالية البحث أو بالإجابة عن التساؤلات الجوهرية التي تفرعت عن الإشكالية الرئيسية والمتعلقة بموضوع العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثامن عشر ميلادي،ومن ثم أملي كبير في أن أكون قد وضّحت بعض الآراء وصحّحت بعض المفاهيم.

وفي الأخير أجزم أن جهدي هذا هو جهد مقل،ولذا أرجوا أن يكون بداية أو منطلقا لدراسات وبحوث أرحب من طرف الباحثين المهتمين،فالله أسأل لهم التوفيق والسداد.

الملاحـــق:

الملحق رقم (01): خريطة توضح المعالم الإدارية للجزائر في العهد العثماني.

الملحق رقم(02): خريطة علائقية للمغرب الأقصى مع الدول الإسلامية والأوروبية.

الملحـــــق رقـــــم (03):وثيقـــــة عثمانيـــــة حـــــول معركـــــة واد المخازن30جمادى986هـ/04أغسطس1587م،تسميها بـ:"معركة واد السبيل".

الملحق رقم(04):مسألة الحدود؛الإرهاصات،التطورات،النتائج.

الملحق رقم(05):طبيعة رسالة المولى محمد الشريف السعدي إلى الأتراك العثمانيين بالجزائر.

الملحق رقم(06):خريطة توضح الوضع السياسي للمغرب الأقصى في القرن 18م.

الملحق رقم(07):وثيقة عثمانية تبين مدى انفتاح الباب على العالي على الرحلات السفارية،والبعثات الدبلوماسية المغربية.

الملحق رقم(08):رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله الملك كارلوس الثالث،بتاريخ: 15رجب1188هـ/21سبتمبر1774م،يبين فيها مراميه من برنامجه السياسي والإصلاحي.

الملحق رقم(09):رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الملك كارلوس الثالث،بتاريخ:26جمادى الثانية1198هـ/17ماي1784م.

الملحق رقم(10):رسالة من قائم مقام الجزائر محروسة جزاير حالا في تلمسان إلى والي الجزائر 2ربيع الأول1106هـ/14نوفمبر1694م.

الملحق رقم (01): خريطة توضح المعالم الإدارية للجزائر في العهد العثماني[1]

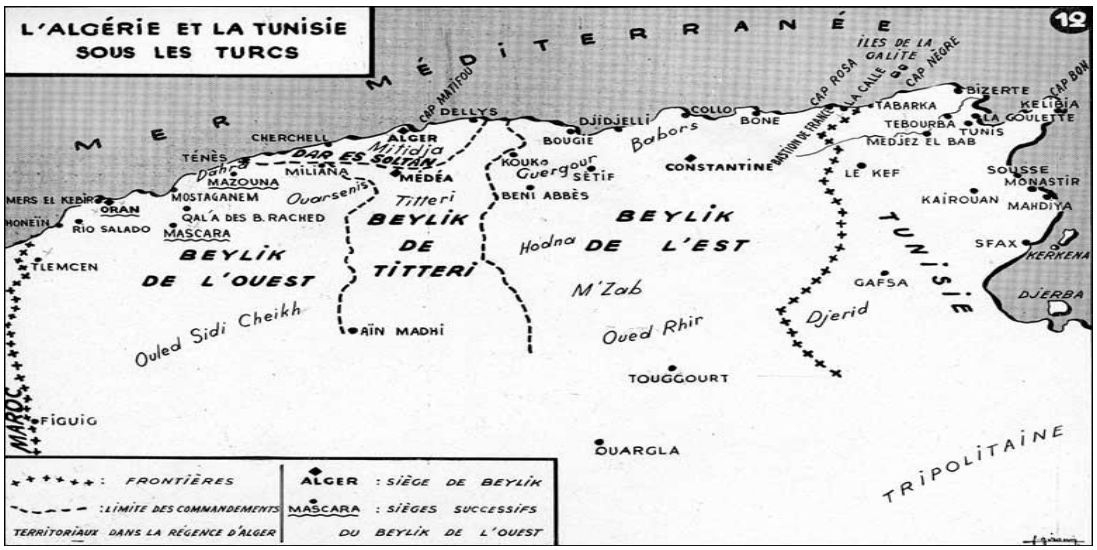

[1] نقلا عن: فتيحة لواليش: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،(غ.م)،إشراف:مولاي بلحميسي،جامعة الجزائر،الجزائر1993-1994م ، ،ص188.

-V: Site Web: Carte de l'Algérie dans l'Empire ottoman.

تاريخ الدخول إلى الموقع:29رمضان1438هـ/24جوان2017م،على الساعة:19:40.

الملحـــــــــق رقـــــــم (02):وثيقـــــــــة عثمانيـــــــــة حـــــــــول معركـــــــــة واد المخازن30جمادى986هـ/04أغسطس1587م[1]،تسميها بـ:"معركة واد السبيل[2]"

أ-الوثيقة بنصها العثماني:

BASBAKANLIK ARSIVI (B.A)

MD. 35: 475, 189

جزاير جاوشلرندن محمد جاوشه ويرلدي

جزاير غرب بكلربكى حسن باشا يه حكم كه :

مكتوب كوندروب أوج أي مقداري واردركه بورتقال قرالى عسكر جمع ايتمك اوزره اولوب وبابا ودوقه فرانجه درت بش بارجه كه جنكى وذخيره تحميل ايدوب بورتقاله معاونت ايجون كوندرمشلردر. وبورتقال قرالى اسبانيه قرالنك سرحدنه واروب بربريله ملاقى اولوب اما تدارك ومشوره لرى نه ايدوكى معلوم اوليوب، واول اثناده اسبانيه قرالى بورتقال قرالنه قزن ويردوكى مقرر اولوب وبورتقال قرالنه معاونت ايجون اون بيك مقدارى عسكر جمع ايديروب وغرب يقاسنه كجورمك ايجون التمش قطعة قدرغه ويرجك اولمشدر ديو استماع أولندي. زيرا برتقال قرالنك سكز قطعه قدرغه سندن غيري كمي يوقدر. اما فكر فاسدلرى نه جانبه اولدوغى معلوم دكلدر. وبعضيلرك جوابلرى بويله دركه اسبانيا قرالى بوقيش فلاندره اوزرينه كتلمك واردر. زيرا كجن ييلدن برو كندوسنه عصيان اوزرنه در. لكن كندوسي فلاندره جانبه كيدسه بوجانبده كندو ولايتي خالي قالور كندو مملكتي خوفندن سدهء سعادتمله بارشمك تداركنه اولدوغي. وبورتقال قرالي مولاي عبد الملك اوزرنه كتمك احتمالي واردر. زيرا قرنداشي اوغلي مولاي محمد كفارة التجا اولان سبته نام قلعة يه واروب، بورتقال قرالي ايله خبرلشوب برقاج دفعه مكتوبى ايله ادملري واروب كلدكد نصكره فكر فاسدلرى نه ايسه ظهوره كتورلمك ايجون بورتقال قرالنه اوج يرار بكلرينه كوندروب، درياده كيدركن مولاي عبد الملك فرقه سى راست كلوب مزبوري طوتوب كوندروب ادواتلري معلوم اولدقد نصكره ايكيسني قتل ايدوب وبرينسي حبس ايليوب، وكندوسي دخى سفر تداركنده اولوب قرنداشى مولاي احمد اون بيك مقداري عسكر ايله مقدم ارسال ايلدوكي وكندوسي قرق الى بيك عسكر ايله طشره جيقوب ولايتك اطراف واكنافنه كوز وقولاق طوتوب تدارك اوزره اولدوغنه، وحالا جزاير عسكرنده بيك بشيوز نفر اون ايكي يرار بكى تعيين اولنوب سرحد جانبه كوندرلدوكن وسنداخي يكرمي باره كمي دونادوب دريا يوزرينه جيقماق اوزره اولدوغك واول جانبده اولان عسكر كندو حاللرنده اولوب هر بري يات ويراقلريله غزا وجهاد حاضر اولوب همان دين ودولته متعلق خصوص دوشه قبودان وباشلرك فدا ايتمكه

ترقب اولدقلرن بلدرمش سن، يوزلري اغ اولسون انلردن دخى او موالاة بوجهله صداقت ايدي. امدي دخى دار الجهاد ولايت جزاير غربده اولان عساكر نصرت مآثرم يرار غازي قوللريدر دايما اغور همايون جان وباشدن فدا ايدوب شجاعتلرى ظهوره كلمش غازيلردر.

بيوردم كه :

وصول بولدقده جمله سي بريره جمع ايدوب كركى كبي استحالت ويروب هربري كا كان يات ويراقللريله مهيأ واطراف اعدايه ناظر اولوب بر وجهله غزا وجهاده ترغيب ايليه سن. وسنداخي غفلت اوزره اوليوب، اطرافه يرار جاسوس كوندروب كفارك اطوار اوضاعي تجسس خالي أوليوب بر جانبه ايدرسه در دولته متعلق اموره بدل مقدور ايليه سن.

---

[1]Abderrahim BEN HADDA:Un document Ottoman Sur La bataille de Wad As-Sabil(4Août1578)…, Op.cit,pp29-32.

[2]هذه طوبونيميا جديدة بالنسبة لمعركة واد المخازن،في رأينا أنها تقدم جديدا في الاسم والمسمى والمدلول بالنسبة للمادة المصدرية غير الأرشيفية العثمانية.

ب–تعريب الوثيقة إلى اللغة العربية[1]: – أعطيت لأحد الجاويشات (محمد جاويش)

حكم إلى حسن باشا أمير أمراء جزاير الغرب:

وردت رسالة إلى دار السعادة جاء فيها أن ملك البرتغال يستعد منذ ثلاثة أشهر لجمع عساكره وأن البابا ودوق فرنسا قاما بإرسال خمس بوارج محملة بالمحاربين والذخيرة لمعاونة البرتغال،كما وصل ملك البرتغال إلى حدوده واجتمع مع ملك إسبانيا ولم يعلم مادار بينهما من مشاورات،وقد سمع أنه تقرر أن يزوج ملك إسبانيا ابنته لملك البرتغال وأن يقوم على وجه السرعة بإعداد عشرة آلاف محارب لمساعدته كما يقدم له ستين قادرغة لمساعدته في العبور إلى شاطئ الغرب لأن ما لدى ملك البرتغال من السفن لا يتجاوز الثمانية،أما عن أفكارهم الفاسدة فلا تعرف توجهاتها ويبدو أن ملك إسبانيا سوف يسير في الشتاء إلى فلاندرة لأنها شقت عصا الطاعة عليه منذ السنة الماضية،ولكنه إذا توجه إلى فلاندرة فسوف يترك ولايته خالية وسوف يضطر إلى عقد صلح مع سدتنا.

ومن المحتمل أن يسير ملك البرتغال إلى مولاي عبد الملك لأن ابن أخيه مولاي محمد التجأ إلى قلعة سبتة التي تحت يد الكفار وتخابر مع ملك البرتغال وحمل رجاله عدة رسائل إليه،وبعد وصولهم إلى تلك القلعة اتصلوا بملك البرتغال وثلاثة من أمراء الحدود وذلك بغية نشر أفكارهم الفاسدة وقد صادفتهم أثناء سيرهم في البحر جند مولاي عبد الملك وألقوا القبض عليهم،وبعد الوقوف على أمرهم تم قتل اثنين منهم وسجن الثالث.

أما مولاي عبد الملك فيستعد للحرب وقد قام بإرسال أخيه مولاي أحمد بصحبة ما يقرب من عشرة آلاف جندي وتوجه هو بصحبة أربعين أو خمسين ألف جندي،واتخذت إجراءات الحيطة في أنحاء الولاية.وعليك حاليا(حسن باشا) القيام بتعيين ألف وخمسمائة من عسكر الجزائر واثني عشر أميرا

[1] من تعريب الطالب الباحث.

وإرسالهم إلى مناطق الحدود،وتجهيز عشرين قطعة بحرية كل منها على أهبة الاستعداد للغزو والجهاد.وقد ذكرت أنهم على استعداد لتقديم أرواحهم فداء للدين والدولة فلتبيض وجوههم-ومولانا واحد منهم- وعساكرنا في دار الجهاد ولاية جزائر الغرب هم عبيد الغازي وعلى استعداد دائما لتقديم أنفسهم و أرواحهم في سبيل العزة الهمايونية وهم غزاة شجعان.

وقد أمرت:

حين تسلمكم أوامرنا أن تقوم بجمعهم وإرضائهم كما يجب أن يكون كل منهم كما كان من قبل مجهزا ومعدا لقتال العدو ولترغبهم في الجهاد والغزو،وأن لا تغفل لحظة وأن ترسل العيون إلى كل ناحية لتتبع أحوال العدو،وأن تبذل ما عليك في سبيل الدين والدولة.

الملحق رقم(03):مسألة الحدود؛الإرهاصات،التطورات،النتائج[1]

"...نشب هذا الصراع بين 37 ملكا وسلطانا وباشا،19جزائريا و18 مغربيا،وأخذ أشكالا مختلفة:8حصارات على تلمسان،و36حملة:10حملات جزائريةو25مغربية،و17لقاء:بين الزيانيين والعثمانيين والمرينيين والسعديين والعلويين،وتمت بينهم 18سفارة:8جزائرية و10مغربية،و11معاهدة:5جزائرية و6مغربية،10استيلاءات:3جزائرية و7مغربية،و3مرات قضي على الدولة الزيانية،والحاق واحد لتلمسان بفاس،وتبعية واحدة لتلمسان إلى فاس...الحملات التي قام بها سلاطين المغرب تمت داخل حدود المغرب الأوسط،والحملات التي وجهها ملوك تلمسان وباشوات الجزائر كانت ردا على الحملات المغربية،دام الصراع بين البلدين مايقارب قرنين ونصف(245سنة)،14 سنة بين الزيانيين والمرينيين،و26 بين العثمانيين والسعديين،و66سنة بين العثمانيين والعلويين،ومدة السلم بين البلدين مايقارب نصف قرن (43سنة)،29سنة بين الزيانيين والمرينيين،14سنة بين العثمانيين والعلويين..."

[1]مكي جلول: مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 331-1263هـ/1234-1847م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،(غ.م)،إشراف:مولاي بلحميسي،جامعة الجزائر،الجزائر1413هـ/1993م ،ص ص157-158.

الملحق رقم(04):طبيعة رسالة المولى محمد الشريف السعدي إلى الأتراك العثمانيين بالجزائر[1]

«الحمد لله الذي رفع حظوة العرب على العجم في الذوات و الاقوال و الافعال، كما رفع دون بهجة النعمان و الجلنار بزهر الخوجم (244)، وموه العمائم بالهمم العوالي على النعال، اخترع الصور ففضل اعتقاداتها و طباعها، و أطلق السنتها فأحصى صنائعها (245) و صنوف أنواعها، و نشهد أنه الواحد للفرد الصمد بالبراهين الباطنة و الظاهرة، و باعث العوالم لمعاد دواهي الساهرة، و نشكره سبحانه شكرا لا يقوم بحقوقه اعتقاد و لا فعل و لا كلام، أشمخة الصحة و الامان و الاسلام، و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد المصطفى و على آله خير الخلق جسوما و مضغا (246) و نطفا، و صحابته مصابيح الاكوان و حماة محارم (247) الشرع المحمود من الوهف و الهوان، و عن التابعين لهم في أتقى مهيع و من قفا أثرهم في كل وهدة و مطلع.

هذا، و إن الجواب الاجمل الزاهر لعصمان باشا و كافة ديوان الجزائر، سلام عليكم ما كلا (248) الكمي فرسه و فتكاته و رحمته تعالى و بركاته، فقد كاتبناكم من غرة جبين الصحاري و صرة أمصار شؤون الشرق و الغرب، و مغنمهم من غاية العوالي و تجار ثغر البربر و العرب، لقبها قديما كنز البركة، حالتي السكون * و الحركة، فنبه المهيمن ناسها و سموها اسعدها سجلماسة، ليست حاضرة البحر فتعاب بحدود العمارة، و لابحريجة الحمى فتعوزها امور الامارة، صان الله بأسوار السر أبوابها، و أسكن العز و أسعد (249) أمصارها و مصاريها و مناها (250)، و لا زائد بعد حمد الله المتجاوز عن خبائث المسلم الحانث والرافث، الفارس نسل النبوءة في سام دون حام و يافث، عدا أن مرقومكم المنمق بانظام الاقلام، الخادشة مخالبه (251) في الاكناف انكى كي وكلام، تصفحنا ما احتمله من حشو الحروف و النقط، فالفينا فوائدكم فيه غباوة وغيا و غلطا و سوءالكم المسلوب الستر سهوا و وهما و سقطا و تزعمون أن رأيكم ينضبط بهذا الديوان و ترتبط به بينكم أخوة والاختيار على خوان، كلا لقد أخطأت خطوات شوطكم المقصد، و انصرف وجه صوابكم عن حدة المرصد، و اعتمدتم على ركن الرأي و التدبير، و فصمتم (252) العرى عن ركن العلي الكبير، إلى أن عادت عوائد طبعكم في الجنود و الرعايا عللا (253)، و لا لما غرستموه في الغالب غناء و لا غللا، تغدرون (254) الاخوان و الاصحاب و تفقرون من الاقارب الذخائر و الرحاب، حتى صرتم كالدهر و المنية، لا يوثق (255) منها بأمان و لا نية، فبأي وجه أعاتب على جبايا الجولان بشن

[1] أحمدالضعيف الرباطي: تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعدية1165-1233هـ)،ط1،تح:أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط1986 ،ص ص24-27.بالنسبة للحواشي الواردة في الرسالة ينظر:ملاحظات المحقق في نفس الكتاب والصفحات.

الغارات و أخذ الاعادي بجنايات التارات ؟ تلكم لو علمتم من ذخائر الخصال (256)، و فواخر من صال بالصوافل و النصال، لو ساعدتم الارداف و الاكتاف و البطون لفعلتم دون سلامة من لا له مُقيل الا المظلة و القيطون.

و قولكم هجمت العرب فيا في المجاهل، و كدرنا عليكم ورود صفاء الغدران و العناصر و المناهل، نعم، لولا جولتنا عليهم في أي أوان، ما انحازوا و انحاشوا على الرغم لديكم بالديوان، تختار فيهم هذه حبارى و هذا كروان، و أن العرب طيور على أغصان، لا يفتك صيدهم الا مضية الصبح بالصارم و الحصان، و من هو نظيركم عجائز لا يحلب الا البقر بلا قرون، بليد، (257) لا يمتطي سوى اليدون و الحرُون (258)، انتم في الحقائق زاق (259) الاكفاك كالعناكب، لا تصطاد الا الذباب الضعيف المناكب، من عوائدكم الصعاب ترعون الشعاب و تعتمدون الجعاب، و مع هذا فنحن و العرب اخوان النسب و ممن يراعي * همة الحرمة و الحسب، و لا لكم علينا فضل الا في غرائب الشريد و الفريد، و شهاوي القهوة الغاصة في حبك الوريد، لو صمتم (260) مما (261) سطرتم لنا في الكتاب ما افرطناكم قبل المغيب بغير هذا الكتاب، لكن الخير بالخير و البادي أكرم، و الضير بالضير و البادي أظلم، و إشارتكم اننا نعبنا مرسى سيدي سليمان (262) و لا راعينا له حرمة و لا أمان، فحاشا و كلا أن نجرد ثوب الصون على مرابط أو عالم أو طالب، أو نرد راغبهم عن مغناما خائفا أو خائبا، سيما و نحن و الحمد لله حفدة من منح العوالم بهذا الدين، ثم إنما أمثالكم (263) في الرعايا معتدين، و ما أكرمنا الكريم الا بدروع (264) كفرة و هوان (265) مع بني عامر، و فتكنا في فور (266) رماتكم و أهل الجوار، ما برحتم جوامح القضايا و الاقدار، هم عرضوا اعراضهم للفلاك فأوقعهم شريكهم الشيطان في مهاوي الشباك، اولاد طلحة بهداج و خراج، لم تمنعكم (267) منها بلازم خرج و لا خراج. و الاعراب كما قدمنا كالجراد لا تفيدها ناحية و لا بلاد، و مع هذا فخدام جدنا مولانا علي و مولانا الشريف، لكن لا يردوننا (268) إلا من خريف إلى خريف، وآل تلمسان ما أثارهم إلا جورهم في الاموال و البنين، مع مكابدتهم جمرة الصبر على مسير السنين.

و قولكم إن الحجر لا يدق بالطوب، و الخاطف لا يطأ بسط الخطوب، تيقنا ان السهم و الرمح لا يقومان بقوة الكبريت و الملح، و نحن أعرف منكم بأصناف البارود و المدافع، و ما أودع الباري فيها من أسرار المضار و المنافع (270)، و الغارات لا تقاومها الضعاف الرماة، و لا لها راحة إلا في مقام المقامات، و لا ادخل (271) لكم الوسواس و الجساة لا بنو (272) سنوس و لا مضغوة و لا تزاة (273) و إنما تعديكم هو الذي شجع الطباع الى أن عادت الضباع سباع.

و قولكم لا تغتروا بما في ابن الحاج و السيوطي و علي بادي (274) و اليوسي و رسالة سكان سبتة للمريني، ذلك الطيف بعيد من مضجع رقادكم، و من محال المحال أن يصر على الاعتماد عليه اعتقادي، فالحازم المتكل على الغني الغفار لا يغتر باشارة كاهن و لاجفار، (275) و قلع أوتادكم مع الروم بعون الله من الغرب على يد إيالتنا دون طعن و لا ضرب يطير لله عمالكم يعدوا له أعمالكم على * البلدان كالجراد المطرود ريحا من القدان. و رمز طلع الميم بالسين و عكسها (277) هو توئية محمد و خلفه بسالم

و سليم أو سليمان، و تخالفهما يرتقبوا المخافة بعد الامان، و لئن غرسني الله كما أشرتم لهذه الايالة قاعدة و أساسا أول، فعلى الله سبحانه الاعتماد و المعول، و قولكم ابذل الجهد في نزع البربر من الامصار، ليس ذلك مني قلة أعوان و لا أنصار، و لا من صم أذان أو عمي بصائر و أبصار، و إنما العاقل لا يتعب (279) نفسه فيما لا يفيده (280) و ما فاتنا من الكرامات يذكها الاخ أو الابن أو الحفيد.

و قولكم اجتنينا وجدة وجهة تلمسان و أحواز ساحتها برماة و لا فرسان، هذا منكم بله ساكن أو وارد كالضارب في الجديد الصلب البارد، فالضيغم لا يحجر بالساجور، و البدر المنير لا يحجب غرته الديجور معائشنا (281) بالمناقر (282) و المخالب، و العقاب لا يعود للوكر خائفا (283) أو خائبا، و أنتم بالانذار احرسوا منا الاطراف و الاواسط، قبل أن تصيروا انتم تنظرون (284) على أبراجكم شماطيط.

و إن ما (285) استفدتموه من الغرب (286) إنما غلبة و غصبا، إذ ورثتم (287) دوله (288) حيلا و خدعا (289) و مكرا، رفعا و خفضا و نصبا، و نحن بما خلفوه أولى براهف صدقت لنا الفعل و الاعتقاد و القول، إذ هم في الحقائق كبراء بربر المغرب و عمال (290)، غالبهم مخازنية الغرب (291) : فدولة الغرب تونس الخضراء هنتاتة، و بنو زيان تلمسان اخوة سدراتة و لواتة، فلم تزالوا تنسخوا (292) الاخطار قريبا و لا وعص لكم في الحلقوم الا بنومرين، و أيضا من جهة مولانا ادريس الذي اسلموا على يده و هم يونانيون و مجوس، قبح الله العلج عروج المؤسس لكم بتلمسان أجمل برج، و حملتكم جهلة الخنزير على الذبح إلى أن اخترمتم المخاطر بالنفس مولانا محمد الشيخ الأكبر، و جدد حسنكم الحركة من الجزائر بالجنود والأموال و البدن، إلى أن أناخ الكلكل على أكناف وادي اللبن، فهزم و الله عزائمه من طرف (293) صنهاجة و شرع مولانا عبد الله يدرج درج جانبه (294) كالدجاجة، إلى أن بلغ سالما بعد الخامس و السادس لمرسى ريف الفرسان بادس. لو شاهدتم * منا صقور الفيافي و الفجاج، لعلم من بقي كيف يعيد العجائب في جزائر الأعلاج. و آل الأمر لمولانا أحمد الذهبي فصرف وجهة همته لاجتلاب الإبريز و إماء السودان، و تعامى على وطنكم عناية البلدان، و عتاب السيد أحمد بابا (295) فيه * كفاية له، و لو أغلق عن مخاطرة الخلق في الخوالي أبوابا و لا له غزوة ولا اختطاط جسر أو مصر تكون له شاهد التأييد و النصر، و لو كان من قبلنا ذا سمة وهيبة (296) و بنية، لبذل ذاته (297) في

أخذه منكم ثأر أبيه، و امتدت خطاه في استخلاص أرض الجريد و لا يدع فيها كمن سلفه من الأمراء كل شيطان مريد، يصنع فيها ما يريد، فخلتم أن تعدونا من أبناء هذا النمط، و لا غنيمة عرضكم إلا فيما التقط مما رفع أو سقط، اطمحوا بأبصاركم دون سمعة (298) و لا فخر و لا رياء يظهر لعيانكم برق الثرى من الثريا. و أصحابكم يقصون عليكم ما نظروا لنا من الحزم في الجهاد، و هل لنا جفون تهوى (299) من الغفلة بالاكتحال بغير مراود السهاد. و الله سبحانه يؤيدنا و ولاة الاسلام لمعونته (300) و نصره، و لا يكلفنا فوق الطاقة من أعباء خطبه (301) و أمره، و السلام. كتب مخترعها عبد الله سبحانه محمد بن مبارك بن حفيد الحسني بحضرة الفقيه الوجيه السيد أحمد التجموعتي (302) وقاضي الوطن أبي نعيم السيد رضوان بن عبد الملك لطف الله بهم (303) هـ في أواخر شعبان من عام 1065 هـ (304).

الملحق رقم(05):خريطة توضح الوضع السياسي للمغرب الأقصى في القرن 18م[1]

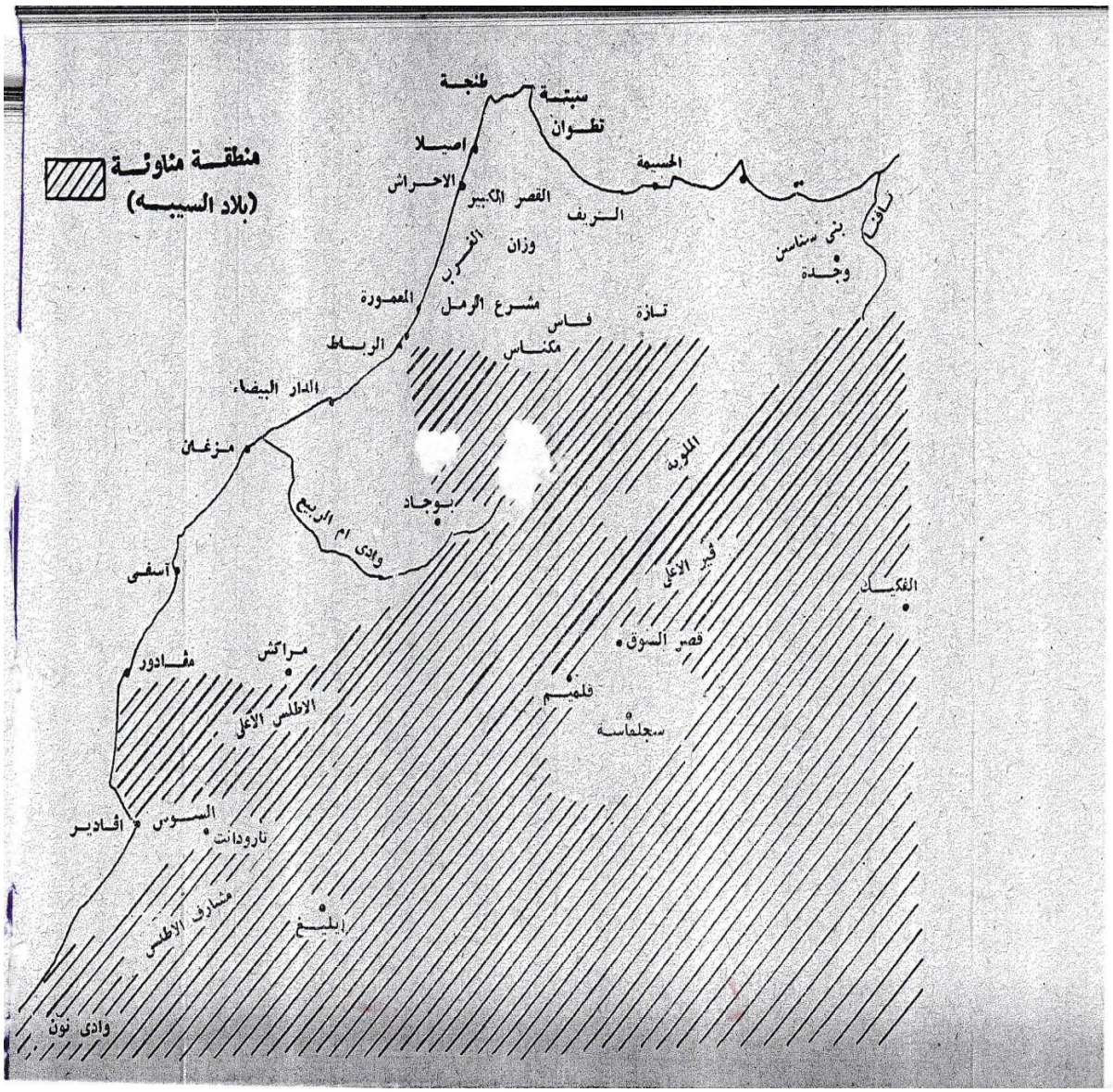

[1]نقلا عن: شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقيا الشمالية،تونس،الجزائر،المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،تر:محمد مزالي والبشير سلامة،د.ت.ن،تونس1978 ،ج2،ص317.

الملحق رقم(06):وثيقة عثمانية تبين مدى انفتاح الباب على العالي على الرحلات السفارية،والبعثات الدبلوماسية المغربية[1] :

مسودة رسالة من السلطان العثماني
جوابا على رسائل حاكم المغرب :

طرف حضرت جهانبا نبدن فاس حاكمي نباهلتو مولا محمد بن عبد الله جنابلرى طرفندن كلان نامه لرينه جواب أولق أوزره عربي العبارة يازيله جق نامه همايونك مسودة سيدر : في اواخر سنة 203.

حمدا لمن هو للحمد ولى، وشكرا لمن هو بالشكر حري، الذي سطع من مسكاة زجاجه كلامه البهي السني، إن الله وملائكته يصلون على النبي فإذا وإن يستضيء العالمون بذلك النور تعظيما له وتكريما، فقال أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، فصل وسلم وشرف وكرم وتفضل وانعم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم الذي تمسك بأهذاب بحر البلاغة والإيجاز واستوثق دونه بلغاء العرب بعرى الإعجاز وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه أولياء عهده والخلفاء من بعده ماجرد صارم البرق في عند الظلام وضحكت ثعور الأكمام من بكاء العمام.

وبعد فإن ماأحلى مانطق به لسان اليراع وأولى ماتشنفت بدوره الأسماع لطائف ظرائف تسليمات وشرائف تحايف تحيات تنفجر من قلاعها عيون المحبة والإخلاص وتجري في بقاعها جداول المحبة والإختصاص، وتهب شمال الأشراق في خلال أفنانها وتسري جنوب الإشتياق في ضواحي جنانها مطويات في حلل طروس التكريم والتفخيم ومنظومات سلك سطور التبجيل والتعظيم مهديات من مشرق سدتنا السلطانية ومطلع أنوار السعادة الخاقانية إلى بدر فلك السعادة وصدر سند السيادة العريق الحسيب والأصيل النسيب الأمجد ابن الأمجد المولى محمد لازالت مشرقة في سماء المعالي أنواره وبانعة في روضه المجد ثماره. وبعد فإنه في أشرف أوان ورد لساحتنا الفسيحة الأرجاء من طرف سعادتكم التي هي كالبدر في الدجى خديمكم القائد القديم محمد بن عبد الله مصحوبا بنميقتكم الأنيقة التي انطوت على محبة أكيدة لاتنفصم ومودة مشدودة بأنواع الخلوص لاتنحسم شديدة أركانها مرصوعة بنيانها، وفي طياتها مايتسلى به الخاطر وينجلي به مرات الفكر العائر من تبريككم أيانا بالسلطنة المتنقلة إلينا والدا بعد والد، وتحلينا بحلى قلادة أمور المسلمين ماجدا بعد ماجد وتعزيتكم بعمنا المرحوم المغفور له عبد الحميد خان جعل رمسه روضة من رياض الجنان وصب

---

[1] عبدالرحيم بنحادة:فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني-المغرب1991،ص ص256-257.

عليه تشابيب الرحمة والغفران وقد رضينا بالقضاء والأقدار، وأن الله يفعل في ملكه مايشاء ومايختار وكلنا إلى ذلك الطريق ذاهبون ونحن الاحقون (كذا) وهم السابقون كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آله حدباء محمول، ولكن حملنا أمرا أمرا وحلوا مرا سهلا ووعرا فنسئل (كذا) الله أن يجعلنا مظهرا لتوفيقه وهدايته ويسترنا تحت كنف حفظه وحمايته ويريح الآنام تحت ظلنا الظليل ويشفي غليلهم بويلنا الهميل وحررتم أيضا أنه ستصل إلى سدتنا السنية على طريق الهدية التي إلى السعادة الأبدية هدية، وتلك خمسة الاف ذهب للسادة الشرفاء من أهل الحرمين والحجاز وجميع من اشتملت عليه طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلوات والتحية، وذكرتم إذا وصلت لطرفنا نضعها في بيت مالنا ثم نقسمها كل سنة على أربابها على مقتضى ماهو مسطر في دفتركم المصحوب مع خديمكم المذكور، وذلك بأن تسقط على عشر سنين يطلع لهم في السنة الأولى واجب سنتين وفي السنة الثالثة واجب سنتين وفي الخامسة واجب سنتين وهكذا إلى الإنتهاء. فانشاء الله حين وصول المبلغ المذكور نعمل بمقتضى ما حررتم وعلى موجب دفتركم الذي سطرتم نسلمها لأمين صرتنا بأن يوزعها على أهالي تلك الأماكن العظام على ساكنها أفضل الصلوات والسلام.

وكذلك وصل إلى ساحتنا الخاقانية ألف قنطار من ملح الباروت إعانة منكم لعزاة المسلمين وكماة الموحدين وطلبا لإشتراككم في تواب هذا الجهاد مع الكفرة أهل البغي والعناد وخمسمائة وأربع وتلثون (كذا) أسيرا من الذين أطلقتهم مالطة خسف الله بها وبأهلها، وفي وصولهم بعثناهم إلى أهليهم وديارهم سالمين ولكم شاكرين حامدين.

ولما أتم أمر الرسالة وأدى خدمة السفارة خديمكم القديمة ذو الفطانة السامية والنباهة الزاكية القائد محمد بن عبد الله، فكتبنا هذه النميقة جوابا لما أرسل معه لكن الماصول أن تسئلوه (كذا) أيضا شفاه (كذا) واستفهموا منه ماعرفناه، ومن المكتوب الدستور المكرم والمشيد المفخم مصطفى باشا أدام الله تعالى إجلاله قائم مقام صدرنا الأعظم وسر دارنا الأكرم، والماصول أيضا لاتقطعوا عنا مراسلاتكم الدالة على صحتكم وعافيتكم التي هي المراد من رب العباد وأن لاتنسانا من صالح دعواتكم المستجابة في الأوقات المستطابة بأن ينصر الله تعالى جنود المسلمين ويرفع أعلام الدين المبين ويقهر أعدائنا المشركين، لازالت ثغور العرب بكم سديدة وبحور أمدادكم للمسلمين مدبرة وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين.

الملحق رقم(07):رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله الملك كارلوس الثالث 15رجب1188هـ/21سبتمبر1774م،يبين فيها مراميه من برنامجه السياسي والإصلاحي[1]

« بسم الله الرحمن الرحيم »

ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم.

(الطابع الملكي وبداخله : محمد بن عبد الله).

إلى ملك اسبانيا ، السلام على من اتبع الهدى وبعد ، لتعلموا اننا معكم في السلم والمهادنة بمقتضى المعاهدة المبرمة بيننا وبينكم الا ان المسلمين في ايالتنا هذه وايالة الجزائر قد اتفقوا على عدم السماح بوجود النصارى في اي حصن من الحصون الواقعة بشواطئ ارض المسلمين الممتدة من سبتة الى وهران، وانهم مصممون العزم على استرجاعها من يدهم، ومن أجل ذلك طلبوا منا ان نهتم بهذا الامر غاية الاهتمام حيث قالوا لنا : ليس لك مبرر في ان تبقى مكتوف الايدي واراضي المسلمين بيد النصارى لان الله منحك القوة والوسائل الحربية التي لاتتوفر عند غيرك.

وامام هذا الكلام لم نجد بدا من قبول طلبهم والعمل على تحقيق رغبتهم، ومن اجل ذلك اردنا الاهتمام بهذا الامر.

وسواء شارك الجزائريون في الجهاد بجانبنا كما طلبوه منا ام لم يشاركوا فاننا سوف نحارب من اجل استرداد تلك الحصون الى ان يفصل الله بيننا وبينهم واذا اقتضى الحال سوف نحارب الجزائريين انفسهم اذا هم تراجعوا في تعهداتهم.

[1] محمد بن عزوز حكيم: عزل الوزير الغزال بين الأسطورة والتاريخ،مركز الدراسات والبحوث العلمية،الريصاني-المغرب1991 ،ص ص52-53.

وهذا الامر لا يتنافى مع الصلح القائم بيننا وبينكم حيث إن تجاركم وسفنكم سيبقون كما كانوا من قبل يجلبون المأكولات وغيرها من جميع موانئنا حسب هواهم طبقا للعادة المتبعة في ذلك وحسب ماهو متفق عليه في معاهدة الصلح الجاري بها العمل في البحر بين قراصيننا وقراصينكم.

وسوف لا يلحق سفنكم اي ضرر كما ان رعاياكم يمكنهم ممارسة التجارة في جميع انحاء مملكتنا وسيتمتعون في تجولاتهم برا وبحرا بالضمانات الكافية حيث لا يمكن لاحد ان يتعرض لهم لاننا ابرمنا الصلح معكم ولا زلنا فيه وسوف لا ننقضه اذا لم تنقضوه انتم من طرفكم، وفي هذا الحال سوف نمنحكم أجل اربعة اشهر لكي يصل الخبر الى علم الجميع.

واما ما اخبرناكم به بخصوص توجهنا الى الاماكن المذكورة فذالك هو من واجبنا وليس لدينا ما يبرر التخلي عنه واما ما يخص السلم في البحر فسوف نفعل ما نرتضيه.

- والآن نخبركم بحقيقة هذا الامر لتكونوا منه على بال وتفعلوا ما يوافقكم .

وقد امضينا هذا الكتاب بخط يدنا لتتحققوا من صحة ما جاء فيه، والسلام

في 15 رجب عام 1188

الملحق رقم (08): رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الملك كارلوس الثالث[1] :

الملحق رقم(09):رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الملك كارلوس الثالث[2]

(1) يحي بوعزيز:المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798م) ،ط1،د.م.ج ،الجزائر1993،ص54.

– تعريب الرسالة إلى اللغة العربية[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له آمين.

(الختم)

إلى عظيم اسبانية كارلوس ظرصيو ذي لاص اصبانيص ذي لاص ضوس سسلياس ذي لاص انديا‌ص السلام على من اتبع الهدى أما بعد:فالكتاب الذي يرد عليك بالخط العجمي من عند الأفرايلية على شأن أهل الجزائر في هذه الساعة إلى أن يرد عليك الجواب من عندهم وننظر بما يجيبون فإن هم أجابوا بالصلح وأمثلوا أمر السلطان العثماني الذي بيعته عامة في رقاب المسلمين فعلى بركة الله ووجه لنا نسخة من ذلك ونسخة وجهها إلى للسلطان العثماني لاسطمبول.حاصل الأمر نريدك اليوم أن لاتحرك لهم ساكنا ولاتوجه لهم عمارة إلى أن يرد عليك جوابهم وتنظر بما يجيبون لأن الصلح إن شاء الله لابد لهم منه،أما أن يجعلوه على خواطرهم وعن طيب نفوسهم وهو أولى لهم،وأما أن يجعلوه رغما على أنفسهم وجبرا عليهم أما هذه السنة أو في السنة الآتية إن شاء الله لا محالة والسلام.في السادس والعشرين من جمادى الثانية عام 1198.

[1] من تعريب الطالب الباحث.

الملحق رقم(09): خريطة علائقية للمغرب الأقصى مع الدول الإسلامية والأوروبية [1]:

الدول الأوروبية والأفرو - أسيوية التي كانت لها علاقة مع المغرب
(1790-1757)

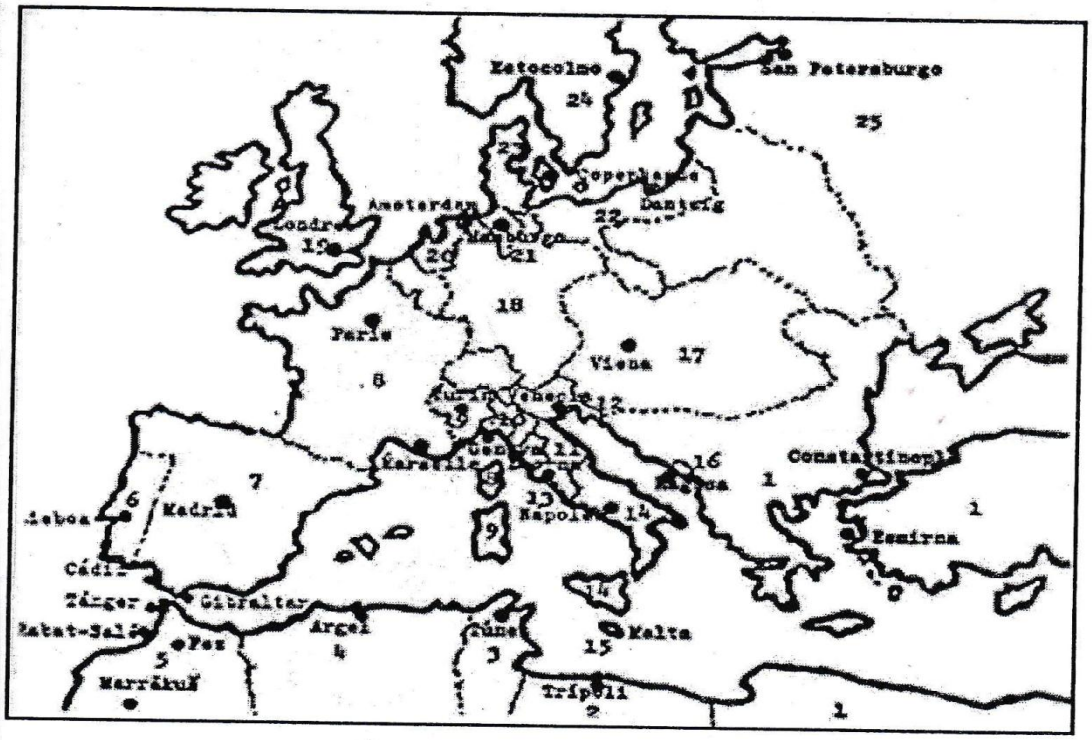

1- الإمبراطورية التركيـة. 2- ولاية طرابلس التركيـة. 3- ولاية تونس التركيـة. 4- ولايـة الـجزائر التركيـة. 5- المغرب. 6- البرتغال. 7- إسبانيـا. 8- فرنسـا. 9- مملكة سردينيـا. 10- مملكة جنـوة. 11- توسكانـا. 12- جمهورية البندقية. 13 - دولة البابا. 14 - مملكة الصقيليتين. 15 - مالطا. 16- مملكة راكوسا. 17 - مملكة أوستريا. 18- مملكة المانيا. 19- مملكة بريطانيـا العظمى. 20- هولندا. 21- هامبورغ. 22- بروسيـا. 23- الدانمارك. 24- السويد. 25- روسيا.

---

[1] نقلا عن:رامون لوريدو دياث: السياسة الخارجية للمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله)،ط1،تر:مولاي أحمد الكمون وبديعة الخرازي،إشراف:عبد الكبير العلوي الإسماعيلي،النجاح الجديدة،الدار البيضاء2013، ج2،ص408

الملحق رقم (10): رسالة من قائم مقام الجزائر محروسة جزاير حالا في تلمسان إلى والي الجزائر":24ربيع الأول1106هـ/14نوفمبر1694م"[1]:

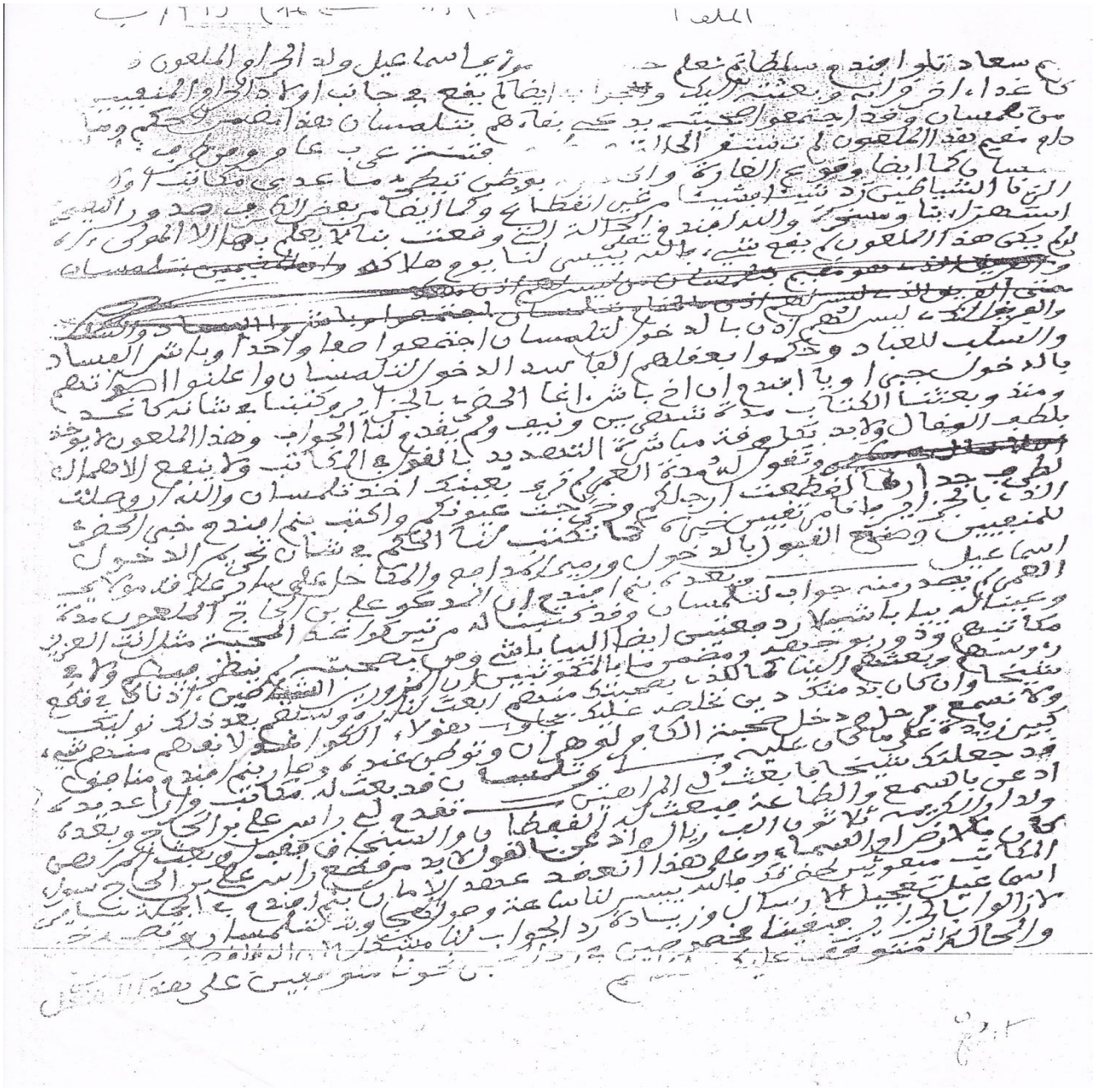

[1] وثائق عثمانية،المجموعة**3190**،الملف الثاني،رقم الوثيقة:**15**.

– تعريب الرسالة إلى اللغة العربية[1]:

يتم سعادتلو أفندم سلطانم نعلم حضرتك أن مولاي إسماعيل ولد الحرام الملعون قد بعث كاغدا أخر قرأته وبعثته إليك وجوابه أيضا لم يقع في جانب أولاد الحرام المنفيين من تلمسان وقد اجتمعوا صحبته يدعي بقاءهم بتلمسان هذا مضمن الحكم وما دام مقيم هذا الملعون لم تستقر الحالة فمن طرف فتنة عرب عامر ومن طرف نواحي أهل تلمسان كما أيضا وقوع الغارة والحقارة بوطن تيطري ماعدا مكاتب أولاد الزنا الشياطين رد شيئا فشيئا من غير انقطاع وكما أيضا من بعض الطرف صدور النصيحة استهزاء بنا ومسخرة والله أفندم الحالة التي وقعت بنا لايعلم بها إلا المولى(تشطيب) لولم يكن هذا الملعوب لك يقع شيء فالله تعالى ييسر لنا يوم هلاكه(تشطيب)

(جـــمـــــــــــلـــــــة مـــــــــشـــــــطـــــــــــــــوبـــــــــة)

(جـــــــــــمـــــــــــلـــــــــــة مـــــــــشـــــــــطـــــــــوبـــــــة)

والفريق الذي ليس لهم إذن بالدخول لتلمسان اجتمعوا صفا واحدا وباشر الفساد والسلب للعباد وحكموا بعقلهم الفاسد الدخول لتلمسان وأعلنوا أصواتهم بالدخول جبرا ويا أفندم أن أخ باشا آغا الحضر بالجزاير وكتبنا في شأنه كاغد ومنذو بعثنا الكتاب مدة شهرين ونيف ولم يقدم لنا الجواب وهذا الملعون لايوخذ بلطف المقال ولابد بكل فرقة مباشرة التهديد بالقول في المكاتب ولا ينفع الإهمال (تشطيب)وتقول له مدة العمر لم ترى بعينك أخذ تلمسان والله إن وصلت لطرف جدارها لقطعت أرجلكم وخرجت عيونكم وأكتب بنم أفندم خبر الحضري الذي بالجزاير فإنا مرتقبين خبره كما تكتب لنا الحكم في شأن تحريم الدخول للمنفيين ومنع القبول بالدخول ورمي المدافع والمكاحل على ساير علاقة مولاي إسماعيل ـــــــــــــ وبعده يتم أفندي أن المدعو علي بن الحاج الملعون مدة العمر لم يصدر منه جواب لتلمسان وقد كتبنا له مرتين كواغد المحبة مثل أنت العزيز وعينا له بياباشيلار دفعتين أيضا الييباشي ومن بصحبته لم ينظر فيهم ولافي مكاتبهم ودور بوجهه ومضمن ما بالمكتوبين أن المزورين

---

[1] من تعريب الطالب الباحث.

الشياطين أذناك في قطع رؤوسهم وبعثهم إلينا كما للذي بصحبتك منهم أبعث لنا برؤوسهم بعد ذلك نوليك شيخا وإن كان بذمتك دين نخلصه عليك فجاوب هؤلاء الكواغد ولابقهم منهم شيء ولانسمع فرحل ودخل صحبة الكافر لوهران وتوطن عنده وصار يتم أفندم منافق كبير زيادة على ماكان عليه ـــــ أي تلمسان قد بعث له مكاتب مرارا عديدة قد جعلتك شيخا فابعث له المراهين ـــــ تقد م له رأس علي بن الحاج وبعده إدعى بالسمع والطاعة فبعث له القبطان والسنجاق فقبل وبعث المراهن ولدار الكريمة ثلاثون ألف ريال وأذعن بالقول لابد من قطع رأس علي بن الحاج سواء كان بالأرض أو السماء وعلى هذا انعقد عهد الآمان بنم أفندم في الجملة ساير المكاتب مبعوثين لحضرتك فالله ييسر لنا ساعة وصول المجاوبة لتلمسان وتصحيح خبر إسماعيل تعجيل الإرسال وزيادة رد الجواب لنا مشكل لأن الرقاقصة والحضر لازالوا بالجزاير فبقينا مخصوصين في رد الخبر نحونا متوقين على الشغل والحالة بأنه متوقف عليك سلطانم.

ثبت المصـادر والمراجـع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع عن طرق الأزرق.

أولا:الوثائق المخطوطة:

أ-محفوظات المكتبة الوطنية الجزائرية: وثائق عثمانية،"رسالة من قائم مقام الجزائر محروسة جزاير حالا في تلمسان إلى والي الجزائر"،المجموعة**3190**،الملف الثاني،رقم الوثيقة:**15**،السنة:24ربيع الأول1106هـ/14نوفمبر1694م.

ثانيا:المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ-المصادر المخطوطة:

1-(الشفشاوني)،محمد بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،مخطوط،رواق المغاربة،دون تاريخ.

2-(الجزولي)،محمد بن سليمان الصائم:كعبة الطائفين وبهجة العاكفين،مخ،رقم 8110،جامعة الملك سعود1957.

3-(الزياني)،أبو القاسم:الترجمان المعرب عن ملوك دول المشرق والمغرب،مخطوط ،الخزانة العامة ،الرباط،د659،دون تاريخ.

4-ـــــــــ:الروضة السليمانية،مخطوط،مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء،دون تاريخ.

5-(الكراسي)،أبي عبد الله محمد:عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الوسائل،مخطوط،دون بيانات المؤسسة والتاريخ.

6-(الكردودي)،أحمد بن محمد :الدر المنضد الفاخر لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن،مخطوط، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدار البيضاء،دون تاريخ.

ب–المصادر العربية المطبوعة:

1–(ابن خلدون)،عبد الرحمان:ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،اعتنى به:أبو صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية،الأردن،دون تاريخ.

2–(ابن الشماع)،أبو عبد الله محمد بن أحمد:الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تحقيق:الطاهر بن محمد المعموري،الدار العامة للكتاب،تونس 1984.

3–(الوزان)،الحسن بن محمد:وصف إفريقيا، الطبعة الثانية،ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت1983م،جزآن.

4–(كربخال)،مارمول:إفريقيا،ترجمة:محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وآخرون، الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر ،الرباط1984،3أجزاء.

5–مجهول:مذكرات خير الدين بربروس،الطبعة الأولى،ترجمة:محمد دراج،شركة الأمل للنشر والتوزيع،الجزائر2010.

6–مجهول:غزوات عروج وخير الدين،تحقيق:نور الدين عبد القادر،مطبعة الثعالبة،الجزائر1934.

7–مجهول:تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية،تحقيق:عبدالرحيم بنحادة،دار تينمل للطباعة والنشر،مراكش1994.

8–(جلبي)،عاشق:ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية،تحقيق:عبد الرزاق بركات،دار الهداية للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة2007.

9–(ابن إياس)،محمد بن أحمد: بدائع الدهور في وقائع الزهور،تحقيق:محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة1404هـ/1984م،5أجزاء.

10–(طوريس)،دييكو دي:تاريخ الشرفاء،ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر،الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر،الدار البيضاء1988.

11–(التمجروتي)،علي بن محمد:النفحة المسكية في السفارة التركية(1589)،تحقيق:محمد الصالحي،دار السويد،لندن 2007.

12-(الشفشاوني)،محمد بن عسكر:دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،الطبعة الأولى،تحقيق:محمد حجي،ضمن:موسوعة أعلام المغرب،دار الغرب الإسلامي ،بيروت1996م،10أجزاء.

13-(الفشتالي)،عبد العزيز:مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا،تحقيق:عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة،الرباط1972.

14-(ابن القاضي)،أحمد:المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور،تحقيق: محمد رزوق،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرباط1986،جزئين.

15ـــــــــ:لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد،تحقيق:محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت1996.

16-(كنون)،عبد الله:رسائل سعدية،دار الطباعة المغربية،تيطوان1954.

17-(العياشي)،عبد الله بن محمد:الرحلة العياشية 1661-1663م،تحقيق:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع،الإمارات العربية المتحدة3،2006أجزاء.

18-(القيسي)،أبي عبد الله محمد بن أحمد:أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042هـ/1630-1633م)،تحقيق:محمد الفاسي،و.د.م.ش.ث.ت.أ.فاس1388هـ/1968م.

19-(الفكون)،عبد الكريم:منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،الطبعة الأولى،تحقيق:أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1408هـ/1987.

20-(الحساني)،إبراهيم بن علي:ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد منصور الذهبي،تحقيق:عمر أفا،مطبعة الأمان ،الدار البيضاء1989 .

21-(العلوي)،أحمد بن عبد العزيز:الأنوار الحسينية 1101هـ/1689م،تحقيق:عبدالكريم الفيلالي،نشر وزارة الأنباء،المغرب،دون تاريخ.

22-(الإفراني)،محمد الصغير:نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تصحيح:هوداس،مطبعة بردين،أبجي1888.

23ـــــــــ:روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف،الطبعة الثانية،تحقيق:عبد الوهاب بنمنصور،المطبعة الملكية،الرباط1995.

24- (الريفي)،عبد الكريم بن موسى:زهر الأكم مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى عبد الله بن المولى إسماعيل،تحقيق:آسية بنعدادة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط1992.

25-(الضعيف)،أحمد:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعدية1165-1233هـ)،الطبعة الأولى،تحقيق:أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط1986.

26-(ابن المفتي)،حسين بن رجب:تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها،الطبعة الأولى،تحقيق فارس كعوان،بيت الحكمة،الجزائر2009.

27-(ابن ميمون الجزائر)،محمد:التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تحقيق:محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1972.

28-(المحبي)،محمد: مقدمة من خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،م.و.ث.إ.ق،دمشق1983.

29-(ابن حمادوش الجزائري)،عبد الرزاق:رحلة ابن حمادوش الجزائري،المسماة:لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال،تحقيق:أبو القاسم سعد الله،عالم المعرفة،الجزائر2011.

30- (الزياني)، أبو القاسم:البستان الظريف،في دولة أولاد مولاي الشريف،القسم الأول(من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)،تحقيق:رشيد الزاوية،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط1992.

31-ـــــــــ: الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب،بارسي 1886،جزآن.

32-ـــــــــ:تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب،تحقيق:رشيد الزاوية،مطبعة الأمنية،الرباط2008.

33-ـــــــــ:الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا،تحقيق:عبدالكريم الفيلالي،دار النشر للمعرفة والتوزيع،الرباط1991.

34-(اليوسي)،الحسن بن مسعود:رسائل ابن علي اليوسي،الطبعة الأولى،تحقيق:فاطمة خليل القبلي،د.ث،الرباط1401هـ/1981،جزآن.

35-(الجبرتي)،عبد الرحمان بن حسن:عجائب الآثار في التراجم والأخبار،تحقيق:عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة4،1998أجزاء.

36-(ابن الوكيل)،يوسف الملواني:تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تحقيق:محمد الششتاوي،دار الأفاق العربية،القاهرة1999.

37-(أبو رأس الناصري)،محمد:فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته،تحقيق:محمد بن عبد الكريم الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1986.

38-(المكناسي)،محمد بن عبد الوهاب:رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785،الطبعة الأولى،تحيق:محمد بوكبوط دار السويد للنشر والتوزيع،الإمارات العربية المتحدة2003.

39-(المكناسي)،محمد بن عثمان:الإكسير في فكاك الأسير،الطبعة الأولى،تحقيق:محمد الفاسي،المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط1965م.

40-(الدرعي)،أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر:الرحلة الناصرية (1709-1710م)،الطبعة الأولى،تحقيق:عبد الحفيظ الملوكي،دار السويد للنشر والتوزيع،الإمارات العربية المتحدة2011،جزآن.

41-(القادري)،محمد بن الطيب:نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني،تحقيق:محمد حجي وأحمد التوفيق،مكتبة الطالب،الرباط1407هـ/1986م،4أجزاء.

42-(الزهار)أحمد الشريف:مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر(1168-1246هـ/1754-1883م)،تحقيق:أحمد توفيق المدني،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،لجزائر1974.

43-(ابن زيدان)،عبد الرحمان:العز والصولة في معالم نظم الدولة،م.م،الرباط1381هـ/1961،جزآن.

44-ـــــــــــــ:الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة،المطبعة الاقتصادية،الرباط1356هـ/1937م.

45-ـــــــــــــ:المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف،تحقيق:عبد الهادي التازي،الطبعة الأولى،مطبعة إديال،الدار البيضاء 1413هـ/1993م.

46-ـــــــــــــ:إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،الطبعة الأولى،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة1429هـ/2008،5أجزاء.

47-(المشرفي)،محمد بن محمد بن مصطفى:الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية،تحقيق:إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط2005،جزآن.

48-(الكنسوسي)،أبي عبد الله محمد بن أحمد:الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي،تحقيق:أحمد بن يوسف الكنسوسي،الرباط1414هـ/1994،جزآن.

49-(ابن عثمان خوجة)،حمدان:المرآة،تحقيق:محمد العربي الزبيري،منشورات(ANEP)،الجزائر 2006.

ج-المصادر المعرّبة:

1-(جرمان)،مويط:رحلة الأسير مويط،ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر،م.ب.د.ع،المغرب1989.

2-(شالر)،وليام:مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)،ترجمة:إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1982.

د-المراجع العربية:

1-(ضريف)،محمد:مؤسسة الزوايا بالمغرب،الطبعة الأولى،منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي،المغرب1992.

2- (عبد العزيز عمرو محمود حجر)، عمروجمال:صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث،ديوان مطبوعات الجامعية،القاهرة2004.

3-(القدوري)،عبد المجيد:المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)،الطبعة2،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء2012.

4-ـــــــــــ:البحر في المتخيل العربي،مطبعة عكاظ،المغرب1998.

5- (فارس)،محمد خير:تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،الطبعة2،دار الشرق،بيروت 1979.

6-(ابن نبي)،مالك:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،الطبعة1،تر:بسام بركة وأحمد شعبو،إشراف:عمر مسقاوي،دار الفكر العربي،دمشق2002.

7-(الناصري)،أبو العباس أحمد بن خالد:الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق: ولدي المؤلف:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دارالكتاب،الدار البيضاء9،1997أجزاء.

8-(هلايلي)،حنيفي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،الطبعة1،دار الهدى،الجزائر2008.

9ـــــــــــ:أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي،دار الهدى،الجزائر2010.

10-(عيسى)،لطفي: كتاب السير: مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار ، دار المعرفة للنشر، تونس 2007.

11ـــــــــــ :مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر ،دار سراس ،تونس1994.

12ـــــــــــ:أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ ،دار سراس ،تونس 1993 .

13ـــــــــــ:بين الذاكرة والتاريخ في التأصيل وتحولات الهوية،أفريقيا للشرق،الدار البيضاء2015.

14-(العروي)،عبد الله:مجمل تاريخ المغرب،الطبعة1،المركز الثقافي العربي ،المغرب 3،2007أجزاء.

15ـــــــــــ:مفهوم التاريخ(الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)،الطبعة4،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب 2005.

16ـــــــــــ:من ديوان السياسة،المركز الثقافي العربي،المغرب،دون تاريخ.

17ـــــــــــ:مفهوم الدولة،الطبعة9،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء2011.

18-(عمارة)،علاوة:دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر2008.

19-(مرزوقي)،حسن:الإسلام الطرقي ومستويات التأصيل،المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية،قطر2012.

20-(مروش)،المنور:دراسات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني،القرصنة ،الأساطير والواقع،دار القصبة للنشر،الجزائر2009،جزآن.

21- (عامر وفارس)،محمود علي ومحمد خير:تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى-ليبية"،منشورات جامعة دمشق،دمشق 1999-2000.

22-(أنيس)،محمد:الدولة العثمانية والشرق العربي1514-1914،مكتبة الآنجلو المصرية،القاهرة1985.

23-(بيات)،فاضل:الدولة العثمانية في المجال العربي،دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا(مطلع العهد العثماني-آواسط القرن التاسع عشر)،الطبعة1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت2007.

24-(التميمي)،عبد الجليل:الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ضمن كتاب: الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ،تقديم:عبد الجليل التميمي،منشورات مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني،تونس1984.

25ـــــــــــ:دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.،زغوان2009.

26-(سعيدوني)،ناصر الدين:النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830،الطبعة2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1985.

27ـــــــــ:الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية،الطبعة2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر2009.

28ـــ:تاريخ الجزائر في العهد العثماني،الجزائر2014.

29-(سعد الله)،أبو القاسم:تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي،بيروت 1998،9أجزاء.

30ـــــــــــ:على خطى المسلمين حراك في التناقض،علم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر2009.

31ـــــــــ:محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)،الطبعة3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1982.

32ـــــــــ:أبحا ث وآراء في تاريخ الجزائر،دار البصائر،الجزائر4،2007أجزاء.

33-(أجقو)،علي:محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية (1514- 1837)، الطبعة الثانية،بانتت Bantet للمعلوماتية والخدمات المكتبية ،الجزائر 1999،جزآن.

34-(دراج)،محمد:الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس1512-1543،الطبعة1،دار القصبة للنشر والتوزيع،الجزائر2015.

35-(الصفصامي)،أحمد المرسي:الدولة العثمانية والولايات العربية،ضمن كتاب، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني،تقديم:عبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني ،تونس1984.

36- (بيهم)،محمد جميل:فلسفة التاريخ العثماني،كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها؟،مكتبة صادر،بيروت1334هـ.

37-(جغلول)،عبد القادر:تاريخ الجزائر الحديث دراسة-سوسيولوجية،الطبعة3،ترجمة:فيصل عباس،مراجعة:خليل أحمد خليل،دار الحداثة للنشر والتوزيع،بيروت 1983.

38- (المزاري)،الأغا بن عودة:طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر:تحقيق:يحي بوعزيز،دار الغرب الإسلامي،بيروت1990،2جزئين.

39-(الندوي)،أبو الحسن علي الحسني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟،دار الغد الجديد،مصر 2005.

40-(بن حموش)،مصطفى:المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،دبي2009.

41-(قنان)،جمال:دراسات في المقاومة والاستعمار،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر1996.

42ـــــــــــ: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م،الجزائر 1987.

43-(مؤنس)،حسين:الشرق الإسلامي في العصر الحديث،الطبعة2،مطبعة حجازي،القاهرة1938.

44-(حجي)،محمد:موسوعة أعلام المغرب،دار الغرب الإسلامي،بيروت1996،10أجزاء.

45ـــــــــــ:الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،الطبعة2،مطبعة الآمان،المغرب1988.

46-(كريم)،عبد الكريم:المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية،الطبعة2،منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط2006.

47-(القبلي)،محمد:الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء1987.

48-(كنون)،عبد الله:ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة،تقديم:محمد بن عزوز،مركز التراث الثقافي المغربي،المغرب2010،3أجزاء.

49-(الغربي)،محمد:بداية الحكم المغربي في السودان الغربي،إشراف:نقولا زيادة،مؤسسة الفليح للطباعة والنشر،الكويت،دون تاريخ،جزآن.

50-(أبو خليل)،شوقي:وادي المخازن، معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير،دار الفكر ،دمشق1988.

51-(الأرقش وبن طاهر)، دلندة وعبد الحميد وجمال:المغرب العربي الحديث من خلال المصادر،مركز النشر الجامعي،تونس2003.

52-(بن خروف)،عمار:العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،دار أمل للنشر والتوزيع،الجزائر2006،جزآن.

53-(القبلي)،محمد:تاريخ المغرب تحيين وتركيب، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ،الرباط2011.

54-(حركات)،إبراهيم:المغرب عبر التاريخ،الطبعة 2،دار الرشاد الحديثة،المغرب1994،3أجزاء.

55-(العطري)،عبد الرحيم: تحولات المغرب القروي أسئلة التنمية المؤجلة،مطبعة طوب بريس،الرباط2009.

56-(المنصور)،محمد:المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين1792-1822،ترجمة:محمد حبيدة،المركز الثقافي العربي،المغرب2006.

57-(اليوبي)،لحسن:الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية،دراسة وتحليل،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب1998.

58- (غلاب)،عبد الكريم:قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،عصر الإمبراطورية،العهد التركي في تونس الجزائر،دار الغرب الإسلامي،بيروت2005،3أجزاء.

59-(علوش)،ناجي:الوطن العربي:الجغرافيا الطبيعية و البشرية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت1986.

60-(العقاد)،صلاح:المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر،تونس،المغرب الأقصى،الطبعة6،مكتبة الأنجلو مصرية،مصر1993.

61- (حميدة)،عبد الرحمن:المملكة المغربية دراسة في الجغرافيا البشرية،القاهرة1972.

62-(الزوكة)،محمد خميس:جغرافية العالم العربي،ديوان مطبوعات جامعية،الإسكندرية2000.

63-(لعروق)،محمد الهادي:أطلس الجزائر والعالم،تصميم الخرائط:سمير بوريمة،دار الهدى،الجزائر،دون تاريخ.

64-(الحمادي وموسى)،علي ومحمد:جغرافية القارات،الطبعة5،دار الفكر،دمشق2001.

65-(شريعتي)،علي:الإنسان والتاريخ،الطبعة2 ،ترجمة:خليل علي،تحقيق:محمد حسين بزي،سلسلة الآثار الكاملة-18-،دار الأمير،بيروت2007.

66-(طرابين)،أحمد:التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت1987.

67-(خليل)،عماد الدين:مدخل إلى الحضارة الإسلامية ،المركز الثقافي العربي،المغرب 2005.

68-(الدوري)،عبد العزيز:أوراق في التاريخ والحضارة،دار الغرب الإسلامي،بيروت4،2007ج.

69-(الحصري)،ساطع:ماهي القومية؟،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت1985.

70-(بنبلغيث)،الشيباني:أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر،مكتبة علاء الدين،صفاقس2008.

71-(رضوان)،محمد:منازعات الحدود في العالم العربي مقاربة سوسيو تاريخية لمسألة الحدود العربية،أفريقيا الشرق،الدار البيضاء 1999.

72-(المدني)،أحمد توفيف:كتاب الجزائر،المطبعة العربية،الجزائر1350هـ.

73-ـــــــــــ:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1968.

74-(عمارة)،محمد:نظرية الخلافة،السلفية،الثورة،الفرق الإسلامية،ورقة علمية قدمت في:أعمال موسوعة الحضارة العربية الإسلامية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت3،1995مجلدات.

75-(أبو غنيمة)،زياد:جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك،دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان 1983.

76-(حرب)،محمد:العثمانيون في التاريخ والحضارة،سلسلة دراسات عثمانية(1)،المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ،القاهرة1994.

77-(الضيقة)،حسن:الدولة العثمانية الثقافة،المجتمع والسلطة،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت1997.

78-(ياغي)،إسماعيل أحمد:الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،مكتبة العبيكان،الرياض1995.

79-(شلق)،أحمد زكريا:العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة1516-1916،مصر العربية للنشر والتوزيع،القاهرة2002.

80-(المقرحي)،ميلاد:تاريخ أوروبا الحديث1453-1848،منشورات جامعة قاريونس، بنغازي1996.

81-(المرسي)،الصفصافي أحمد:استانبول عبق التاريخ.روعة الحضارة،دار الأفاق العربية،القاهرة1999.

82-(التازي)،عبد الهادي:الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط3،2011أجزاء.

83ـــــــــ:التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،عهد العلويين،مطبعة فضالة،المحمدية1988،9أجزاء.

84-(المنوني)،محمد:ورقات عن حضارة المرينيين،الطبعة3،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.الدار البيضاء2000.

85-(رزوق)،محمد:دراسات في تاريخ المغرب،أفريقيا الشرق،المغرب1991.

86-(أبو عيانة)،فتحي محمد:دراسات في الجغرافية البشرية،الطبعة2،دار مطبوعات الجامعية،الإسكندرية 1989.

87-(الجوهرى)،يسرى عبد الرزاق:شمال إفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية،دار الجامعات المصرية،الاسكندرية1970.

88-(فيلالي)،مختار الطاهر:نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني،دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر،باتنة1976.

89-(النظام)،زهراء:العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية -ثقافية خلال القرن 10هـ/16م،دار الأمان،الرباط2015.

90-(الفيلالي)،عبد الكريم:التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،الطبعة1،شركة ناس للطباعة،القاهرة12،2006أجزاء.

91-(أوغلو)،خليل ساحلي:من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني،بحوث ووثائق وقوانين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة،استنول2000.

92-(إبراهيم)،عبد الله:صمود وسط إعصار:محاولة في تفسير تاريخ المغرب الكبير،الطبعة2،الدار البيضاء 1976.

93-(بنحادة)،عبد الرحيم:المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،زغوان1998.

94-(شحاتة)،إبراهيم حسن:أطوار العلاقات المغربية العمانية،قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)، الإسكندرية1981.

95-(غرايبة)،عبد الكريم:عرب الماء والإنسان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت 2006.

96-(الفيلالي)،عبد السلام:الجزائر الدولة والمجتمع،الطبعة1،دار الوسام العربي،الجزائر2013.

97-(حماش)،خليفة:كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية،الطبعة3،دار نوميديا للنشر والتوزيع،الجزائر2012.

98-(السبتي)،عبد الأحد:عنف الدولة:تصورات وممارسات، ندوة عنف الدولة،هيئة الإنصاف والمصالحة،مراكش2004.

99-(الشادلي)،عبد اللطيف:الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،سلسلة أطروحات ورسائل،الرباط1982.

100-(الأشرف)،مصطفى:الجزائر:الأمة والمجتمع،ترجمة:حنفي بن عيسى،دار القصبة للنشر،الجزائر2007.

101-(عمورة)،عمار:موجز في تاريخ الجزائر،الطبعة1،دار الريحانة للنشر والتوزيع،الجزائر2002.

102-(التميمي)،عبد الملك خلف:أضواء على المغرب العربي رؤية عربية مشرقية،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر2011.

103-(بنعبد الله)،عبد العزيز:تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة،المطبعة الملكية،الرباط،دون تاريخ،جزآن.

104-(الحجوي)،حسن أحمد:العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي(1757-1912)،الطبعة1،المركز الثقافي العربي،المغرب2003.

105-(جلال)،يحي:المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث،دار المعارف،مصر1965.

106-(أقطاش ونينيارق)،نجاتي وعصمت:الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول،ترجمة:صالح سعداوي صالح،إشراف وتقديم:أكمل الدين إحسان أوغلي،مطبعة كتابكم،الأردن1986.

107-(بوعزيز)،يحي:المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1780-1798م)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1993.

108-(رزق ومزين)،يونان لبيب و محمد: تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912،دار النشر المغربية،الدار البيضاء1982.

109-(التومي)،محمد:المغرب العربي،في المجلة الجزائرية للعلاقات الدولية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1982.

110-نشرية إتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية،الإمارات العربية المتحدة2001.

111-(فريد بك)،محمد:تاريخ الدولة العلية العثمانية،الطبعة الأولى،تحقيق:إحسان حقي،دار النفائس،بيروت1401هـ/1981م.

ثالثا:الوثائق الأجنبية:

1-المصادر باللغة الأجنبية:

1-De Castries Henry:Sources inedites du L'histoire du maroc1530-1845,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques deFrance,3 Tome,Paris1905.

2-_____: les sources inédites de L' histoire du Maroc ,1 e serie, 4 dynaste saadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , 3Tome , Paul
geuthner ,paris et Luzace , londne1918.

3-_____: Sources inedites du L'histoire du maroc1530-1845,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques de l'Espagne ,3, Tome Paris1961.

4-_____: Sources inedites du L'histoire du maroc 1486-1516,dynasti Saadienne ,Archive et bibliotheques de Portugal ,5 Tome, Paris1934-1953.

5-Eugène plantet:Correspondance des deys Alger avec la cour de France, (1579-1833), Paris1889,2Tome.

6-Haedo Fray Diego:Histoire des rois d Alger,Traduit par de Grammont,A.Joudan,Alger1881.

7-Sander Rang et Denis: La fondation de la régence de la Ville d'Alger , éditeur, Tunis1937.

8-De Voulx .A: Tachrifat, recueil des notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger ,Alger1852.
9-Laugier de Tassy: Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam ,Henri du Sauzet ,Sans Date.
10-Louis Chénier: Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc ,Paris 1787, 3Tome.

2-المراجع باللغة الأجنبية:

1-De. Grammont: histoire d'Alger sous la domination turque,(1515-1830),paris 1887.
2-Stéphane Gsell:Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord ,Librairie Hachette79, Boulevard Saint -Germain, 79,Paris1927.

3- Valenci Lucette: Le Maghreb avant la prise D'Alger ,Paris1969.

4-Fernand BBAUDEL: La Méditerranée et le monde Méditerranéen à l'époque de Philippe II, 2T, Paris1976, 2Tome.

5-Octave Depont et Xavier Coppolani: Ies Confréries religieuses musulmanes,4,P,C,4,Alger 1897.

6-Gabriel Mauray Gamazo:La question du Maroc au point de vue Espagnol, Hardcover ,2013.

7-Merrouche (L): Recherches sur l'Algérie à l'époque Ottomane II. La course mythe et réalité, éditeur, Bouchene France, 2007,2Tome.

8-M. Galibert: Histoire de l'Algérie ancienne et moderne, éditeur Furne ,Paris1843.

9-Ernest Mercier, Histoire de l'afrique Septentrional , 3Tome, EREST Leroux Editeur ,paris 1891.

10-Gharles Andre Julien: Histoire de lAfrique du Nord, payot, paris 1952, 2Tome.

11-Ch. André Julien :Histoire de l'Afrique du nord :Tunisie ,Algérie ,Maroc de la conquête arabe a 1830,Paris1956,2 Tome.

12-Abderahman El Mouden : Les Relations Maroco – Ottomanes Quelques Grandstraits Dun Culture Diplomatique, RABAT1995.

13-H .Terrasse :Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947, 2 Tome.

14-Brignon :Histoire Du Maroc,(L.N),Casablanca1967.

15-F.Hoefer: Empire du Maroc, éditeur ,Firmin-Didot Freres,paris1848.

16-Raymond Thomassy: Le Maroc Relations de La France Avec cet Empire, éditeur 3,L.ch.d,paris1859.

3-المراجع المعرّبة:

1-(لوكوف)،جاك :التاريخ الجديد، الطبعة1،ترجمة: محمد الطاهر المنصوري،مراجعة:عبد الحميد هنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007.

2-(دولا بلانهول)،كزافييه:تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام،الطبعة1،ترجمة:معاوية سعيدوني،مراجعة:ناصرالدين سعيدوني،دار الغرب الإسلامي،تونس2008.

3-(وولف)،جون:الجزائر وأوروبا1500-1830،ترجمة :أبو القاسم سعد الله،عالم المعرفة ،الجزائر2009.

4-(حوراني)،ألبرت:تاريخ الشعوب العربية،الطبعة الرابعة،ترجمة:كمال خولي،مراجعة:أنطوان نوفل،نوفل هاشيت أنطوان،بيروت 2012.

5-(جوليان)،شارل أندري:تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس،الجزائر،المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،ترجمة: محمد مزالي والبشير سلامة ،الدار التونسية للنشر، تونس 1978،جزآن.

6-(ايفانوف)،نيقولاي:الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574،الطبعة 1،ترجمة:يوسف عطا لله،تعريب:مسعود عامر،دار الفارابي،بيروت1988.

7-(أوزتونا)،يلماز:موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري 629-1341هـ/1231-1922م،ترجمة:عدنان محمود سليمان،مراجعة:محمود الأنصاري،الدار العربية للموسوعات،بيروت2010،4مجلدات.

8-(تروان)،جان فرانسوا:المغرب العربي الإنسان والمجال،ترجمة:علي التومي وكارم كايسي وعبد الكريم سالم،دار الغرب الإسلامي،بيروت،دون تاريخ.

9-(كورتن)،فيليب:العالم والغرب التحدي الأوروبي والاستجابة فيما وراء البحار في عصور الإمبراطوريات،ترجمة:رضوان السيد،مكتبة العبيكان،الرياض2007.

10-(ألتر)،عزيز سامح:الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،ترجمة:محمود علي عامر،دار النهضة العربية،بيروت1989،جزآن.

11-(بوون وجب)،هاميلتون وهارولد:المجتمع الإسلامي والغرب ،دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد،ترجمة وتحقيق:أحمد إيبش،دار الكتب الوطنية،الإمارات العربية المتحدة2012،جزآن.

12-(سبنسر)،وليم:الجزائر في عهد رياس البحر،ترجمة:عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر،الجزائر2006.

13-(روسو)،ألفونص:الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر،ترجمة:محمد عبد الكريم الوافي،مطبوعات جامعة قاريانوس،بنغازي1989.

14-(كلنير)،إرنست:السلطة السياسية والوظيفية الدينية في البوادي المغربية،الطبعة الأولى،ترجمة:عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق،في ندوة:الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي،دار توبقال للنشر،دار البيضاء1988.

15-(شروتر)،دانييل:تجار الصويرة المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب 1844-1866،الطبعة1،تعريب:خالد بن الصغير،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط1997.

16-(دياث)،رامون لوريدو:السياسة الخارجية للمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر(على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله)، الطبعة 1،ترجمة:مولاي أحمد الكمون وبديعة الخرازي، إشراف:عبد الكبير العلوي الإسماعيلي،النجاح الجديدة،الدار البيضاء2013،جزآن.

رابعا:الرسائل الجامعية:

1-(عيسى)،لطفي: مغرب المتصوفة، الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10 إلى القرن 17م،أطروحة دكتوراه دولة،منشورة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،مركز النشر الجامعي،تونس2005.

2-(سيساوي)،أحمد:البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871، ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:كمال فيلالي،جامعة قسنطينة2،الجزائر2013-2014.

3-(العمري)،مومن:شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:عبد الكريم بوصفصاف،قسم التاريخ،جامعة منتوري قسنطينة،الجزائر2009-2010.

4-(رحمونة)،بليل:القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:دحو فغرور،جامعة وهران،الجزائر2010-2011.

5-(شويتام)،أرزقي:المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519-1830م،رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،منشورة،إشراف:عمار بن خروف،جامعة الجزائر ،الجزائر2005-2006.

6-(معاشي)،جميلة:الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني،رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:كمال فيلالي،جامعة منتوري ،قسنطينة2007-2008.

7-(قرباش)،بلقاسم:الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات(1671-1830)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:ودان بوغفالة،جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر ،الجزائر2015-2016.

8-(شرف)،موسى:العلاقات المغربية العثمانية(1171-1265هـ/1757-1848م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:محمد العربي معريش،جامعة الجزائر2 ،الجزائر2015-2016.

9-(بن خروف)،عمار:العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/1517-1659م،رسالة ماجستير في التاريخ،إشراف:ليلى الصباغ،كلية الآداب،جامعة دمشق،دمشق1403هـ/1983م.

10-(صديقي)،عبد الجبار:سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات،مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،غير منشورة،إشراف :مكيوي محمد،جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر2013 -2014.

11-(بن قايد)،عمر:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) من 1069-1139هـ/1659-1727م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:عمار بن خروف،المركز الجامعي بغرداية،الجزائر2010-2011.

12-(دوكاني)،نجيب:الاحتلال الأسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي16م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحدث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:ناصر الدين سعيدوني،قسم التاريخ،الجزائر2001-2002.

13-(بشاري)،لطيفة:التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13-16)،رسالة ماجستير،غير منشورة،إشراف:موسى لقبال،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1986-1987.

14-(بعارسية)،صباح:حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:عمار بن خروف،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر2005-2006.

15-(تلمساني)،بن يوسف:الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني،الأمير عبد القادر،الإدارة الاستعمارية)،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،غيرمنشورة،إشراف:ناصر الدين سعيدوني،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1997-1998.

16-(شاعو)،كمال:بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة "1641"المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171-1207هـ/1757-1792م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:مختار حساني،جامعة الجزائر،الجزائر2004-2005.

17-(عميور)،سكينة:ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م-دراسة اقتصادية واجتماعية،مذكرة ماجستير في التاريخ،غير منشورة،تخصص:تاريخ الريف والبادية،إشراف:إبراهيم بكير بحاز،جامعة قسنطينة 2،الجزائر1433-1434هـ/2012-2013م.

18-(محرز)،أمين:الجزائر في عهد الأغوات(1659-1671)،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،منشورة،إشراف:عائشة غطاس،جامعة الجزائر،الجزائر2007-2008.

19-(شاطو)،محمد:نظرة المصادر الجزائرية إلى السلطة العثمانية في الجزائر،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:عمار بن خروف،جامعة الجزائر،الجزائر2005-2006.

20-(الدراجي)،بلخوص:جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايليك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 10-11هـ/16-17م،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:مختار حساني،جامعة الجزائر،الجزائر2012.

21-(المكي)،جلول:مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من331-1263هـ/1234-1847م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:مولاي بلحميسي،جامعة الجزائر،الجزائر1413هـ/1993م.

22-(الواليش)،فتيحة:الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،غير منشورة،إشراف:مولاي بلحميسي،معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1993-1994.

23-(بوترعة)،شهرزاد: الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني،مذكرة ماجستير في التاريخ،تخ:التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر،غير منشورة،إشراف:محمد يعيش،جامعة محمد بوضياف بالمسيبة،الجزائر 2014-2015.

خامسا:أعمال الملتقيات والندوات العلمية:

1-(القدوري)،عبد المجيد:"مساهمة الجامعة المغربية في الإنتاج:التاريخي حول المغرب السعدي:قراءة وملاحظات أولية"، ورقة علمية قدّمت إلى:أعمال ملتقى البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،الدارالبيضاء1989.

2-(حجي)،محمد:"التهديد العثماني وتأسيس الدولة السعدية"،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب8،1985مجلدات.

3-(رزوق)،محمد:"العلاقات المغربية التركية من خلال أدب الرحلات كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية نموذجا"،ورقة علمية قدمت إلى:أعمال ندوة أدب الرحلة في التواصل الحضاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة المولى إسماعيل بمكناس ،المغرب 1993.

4-(هنية)،عبد الحميد:"بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها في الفترة الحديثة"،ورقة علمية قدّمت في ندوة:جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية،بيروت2014.

5-(شداد)،عبد المحسن:"تحقيب تاريخ المغرب:الإشكالية والدلالات"،ورقة علمية قدمت:إلى أشغال: المغرب والأندلس دراسات وترجمات،تقديم:مصطفى بنسباع، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد الملك السعدي،المغرب2010.

6-(كوثراني)،وجيه:"التحديات والبزوغ ..مخاضات الإسلام السياسي في تركيا"،ورقة علمية قدمت في:أعمال عودة العثمانيين الإسلامية التركية،الطبعة الرابعة،مركز المسبار للدراسات والبحوث،الإمارات العربية المتحدة2012.

7-(التازي)،عبد الهادي:"من مواجهات الدولة العلوية للتحديات، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة"،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1989.

8-(بنحادة)،عبد الرحيم:"فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1991.

9-(بن عزوز حكيم)،محمد:"عزل الوزير الغزال بين الأسطورة والتاريخ"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلمية،الريصاني 1991.

10-(الدناي)،محمد:"البيان وحكمة التدبير السياسي في أدب المولى محمد الأول"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1989.

11-(الأزمي)،أحمد:"بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية"،ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشريفة،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1989.

12-(الباعمراني)،محي الدين عبد الحميد:"نظرة على الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية في عهد السلطان محمد بن عبد الله"، ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة الوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله ،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلوية،الريصاني 1991.

13-(بنمصور)،عبد الوهاب:"إطلالة على وثائق السلطان سيدي محمد بن عبد الله المحفوظة بمديرية الوثائق الملكية"،ورقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الثالثة للوثائق المرجعية لعهد سيدي محمد بن عبد الله،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،مركز الدراسات والبحوث العلمية ،الريصاني1991.

14-(المنوني)،محمد:"حضارة بني مرين من خلال منشآتهم المعمارية"،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب8،،1985مجلدات.

15ـــــــــــ:"الركب الفاسي للحجيج المغربي"،في مذكرات من التاريخ المغربي،المغرب8،1985مجلدات.

16-(سيّار)،الجميل:"طبيعة الحياة الاجتماعية في المشرق والمغرب العربيين خلال الفترات العثمانية"،ورقت علمية قدمت إلى ندوة:الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني،جمع وتقديم:عبد الجليل التميمي،مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ،زغوان1988.

17-(العبيدي)،إبراهيم خلف:"حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي،في ندوة حركة الجهاد البحري"،منشورات المجمع العلمي،بغداد1422هـ/2001.

18-(توتاي)،سعيد:"المغرب بعيون بولونية ،رحلة الأمير البولوني جون بوتوكي في القرن"18،الطبعة1، ورقة علمية قدمت ضمن كتاب جماعي:المغرب والعالم المتوسطي، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية المغربية(ق16و20م)،تنسيق:سعيد عدي،دار الأمان،الرباط2014.

19-(الدحاني)،عبد الإله:"مصادر المعرفة الأوروبية حول المغرب خلال القرن الثامن عشر"،ورقة علمية قدمت ضمن كتاب جماعي:الرحلة وصورة الآخر قراءات في نصوص الرحالة الأوروبيين حول المغرب،تقديم:كريم بجيت،مطبعة دار الأمان،الرباط2013.

20-(بنسعيد العلوي)،سعيد:"صورة المغرب في الإستشراق الفرنسي المعاصر"،ورقة علمية قدمت في:الندوة السادسة للقيم الروحية والفكرية،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة الندوات،مراكش1413هـ/1993م.

21-(الوارث)،أحمد:"الأزمة في المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل العلوي ومحاولة تأسيس طبائع جديدة للملك"،ورقة علمية نشرت في:موقع مؤسسة مولاي عبد الله الشريف للدراسات والأبحاث العلمية ،المغرب،دون تاريخ.

22- (البوعناني)،المصطفى:"مشرع الرملة"،ط1،،ورقة علمية قدمت في كتاب تكريمي لمحمد حجي:متنوعات حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت1998.

23- عبد النبي (ذاكر):"مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات ا لسفارية المغربية من القرن 18 إلى مطلع القرن "20،ورقة علمية قدمت إلى:ندوة الرحالة العرب والمسلمون،اكتشاف الآخر،المغرب منطلقا وموئلا،مركز النشر الجامعي،الدار البيضاء2003.

سادسا:المقالات والدوريات باللغة العربية والأجنبية:

1-المقالات والدوريات باللغة العربية:

1-(بلحميسي)،مولاي:"إرشاد الحيران في أمير الداي شعبان"،في مجلة الدراسات التاريخية،مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر1406هـ/1986،العدد2.

2-(شارف)،رقية:"تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية الفترة الحديثة"،في مجلة الدراسات التاريخية التاريخية،مجلة دورية محكمة يصدرها قسم التاريخ،جامعة الجزائر2،الجزائر1433هـ/2011م،العدد13.

3-(موسى)،شرف:"السياسة الدينية في المغرب الأقصى خلال القرن(12هـ/18م) عهد السلطان محمد بن عبد الله نموذجا"،في مجلة الدراسات التاريخية التاريخية،مجلة دورية محكمة يصدرها قسم التاريخ،جامعة الجزائر2،الجزائر1437هـ/2015م،العدد19.

4-(سعيدوني)،ناصر الدين:"الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري/من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي"،في:حولية الآداب والعلوم الإنسانية ،الكويت1431هـ/2010م،حولية31.

5ـــــــــ:"نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث :مناقشة مفاهيم وعرض تصورات"،في مجلة أفكار وأفاق ،مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة الجزائر2 ،الجزائر 2011،العدد 1.

6-(دراج)،محمد:"تأسيس إيالة الجزائر"، في مجلة مصادر وتراجم،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي،جامعة وهران،الجزائر2010-2011،العدد16و17.

7-(التميمي)،عبد الجليل:"أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م "،المجلة التاريخية المغربية،تونس 1976،العدد6.

8-(شوقي)،أحمد:"العلاقات المغربية الإسبانية إثر اختطاف خزانة السعديين المراكشية"،في مجلة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،مراكش 1992،العدد8.

9-(بن قايد)،عمر:"أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن11هـ/17م"،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات،مجلة أكاديمية علمية محكمة تصدر عن جامعة غرداية،الجزائر 2012،العدد17.

10- (السايح)،محمد:"المولى إسماعيل العلوي"،في مجلة دعوة الحق،مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط،المغرب1959،العدد2.

11-(بوشنافي)،محمد:"مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط (1512-1518)"،في مجلة مصادر وتراجم،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي،جامعة وهران،الجزائر2003-2004،العدد4و5.

12-(جلال)،يحي:"المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب"،في مجلة المؤرخ العربي،مجلة تصدرها: الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب،بغداد،دون تاريخ،العدد3.

13-(شاكر)،مصطفى:"حوار حول التاريخ القطري"،في مجلة العربي،مجلة ثقافية مصورة تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت،الكويت1989،السنة الثانية والثلاثون،العدد369.

14-(الكوثراني)،وجيه:"صورة الدولة السلطانية في الوعي التاريخي العربي:جدلية الوحدة والتعدد"،في مجلة الاجتهاد،مجلة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي،بيروت1994،السنة السادسة،العدد23.

15-(الغاشي)،مصطفى:"صورة مغربية للإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر:نموذج التمكروتي"،في مجلة الاجتهاد،مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي،بيروت1999،العدد44.

16-(التازي)،عبد الهادي:"وثائق لم تنشر عن الصحراء الغربية"،في مجلة المناهل،مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، عدد خاص بالصحراء المغربية:فكر وإبداع، ،المغرب،دون تاريخ.

17ـــــــــ:"الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل"،في مجلة دعوة الحق،مجلة شهرية تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط،المغرب1959،العدد9.

18- (بوطالب)،إبراهيم:"لويس شنييه ممثل فرنسا بالمغرب فيما بين سنة 1767-1782 قنصلا ومؤرخا"،في مجلة المناهل،مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية،المغرب1407هـ/1987م،العدد36.

19-(المنوني)،محمد:"ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة"،في مجلة المجمع العلمي العربي،دمشق1976،العدد4.

20-(دادة)،محمد:"تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الأسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن16م"،في مجلة عصور جديدة،مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر،جامعة وهران،الجزائر2011،العدد2.

21-(المنصور)،محمد:"الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة"،في مجلة دار النيابة،مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب،طنجة1985،السنة الثانية،العدد5.

22- (بن خروف)،عمار:"العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517-1659)،عرض وتقديم"،في مجلة الدراسات التاريخية،مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،الجزائر1986،العدد 1.

23ـــــــــ:"مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/16م"،في مجلة المؤرخ،مجلة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين،الجزائر2002،العدد 1.

24ـــــــــ:"إخفاق العثمانيين في احتواء وعثمنة المغرب الأقصى:الأسباب والنتائج"،في المجلة التاريخية المغربية،تونس2004،العدد114.

25-(سيّار)،الجميل:"هل سيختفي الهلال الخصيب؟"،في مجلة آراء،مجلة أسبوعية عامة تصدر عن مؤسسة شفق،العراق2009،العدد45.

26-(الصغير)،عبد المجيد:"حول الطرقية والعلاقات المغربية العثمانية إبان السيطرة العثمانية"،في مجلة دار النيابة،مجلة فصلية وثائقية دراسية تعنى بتاريخ المغرب،طنجة1985،السنة الثانية،العدد5.

27-(ابلالي)،أسماء:"ردود الفعل المحلية الجزائرية على قيام سلطة الأتراك العثمانيين في الجزائر(1517-1561م)"،في مجلة إسهامات للبحوث والدراسات،مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة غرداية،الجزائر2016 ،عدد تجريبي.

28-(النظام)،زهراء:"العلاقات التركية وتطورها عبر التاريخ"،في مجلة التاريخ العربي،مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،المغرب 2009،العدد48.

29-(أوغلو)،خليل ساحلي:"تقييد صالح باشا ولاية الجزائر سنة"1552،في المجلة التاريخية المغربية،تونس 1974،العدد 2.

30-(داهش)،محمد علي:"العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث(1650-1830)"،جامعة الموصل(العراق)،مقال دون بيانات النشر،دون تاريخ.

31-(ضاهر)،مسعود:"نظرة من المغرب البعيد إلى تاريخ السلطنة"،في مجلة المستقبل،بيروت2008،العدد2974.

32-(البوعبدلي)،المهدي:"أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"،في مجلة الأصالة،مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر 1392هـ/1972م،السنة الثانية،العدد8.

33-(الخداري)،محمد:"بلاد المغارب تحت الحكم العثماني نموذج الجزائر في عهد الدايات(1671-1830)"،في مجلة كان التاريخية،دورية محكمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية،الكويت1435هـ/2013م،العدد22.

34-(الفيلالي)،الحاج ساسيوي:"العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى"مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل نموذجا(1672-1727م)"،في مجلة كان التاريخية،دورية محكمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية،الكويت2012م،السنة الخامسة،العدد15.

35-(بن حفري)،شكيب:"العلاقات الإسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوط عثماني"،في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية-قسنطينة،الجزائر 1423هـ/2002،العدد 1.

36-"النشرية الإخبارية"، نشرية تصدر مرة كل سنة عن:المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب،الرباط صفر1432هـ/يناير2011م ،العدد 3.

8-المقالات باللغة الأجنبية:

1-Bataillon Marcel :"La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II" ,In Revue économique, volume 1, n°2, 1950.

2-Ahmed Balafrej: "Histoire du Maroc by Henri Terrasse", Middle East Journal, Vol. 7, No. 2 (Spring, 1953).

3-Fernand BBAUDEL": les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492- 1577" , In Revue Africaine, T19 , Alger 1928.

4- Elie de la primaudaie: "Documents inédit sur l'histoire de l'occupation Espgnole en Afrique(1506-1574)", In Revue Africaine, T21 ,Année1877.

5-EL Mahdi Bouabdlli:" Le Cheikh Mohamed ben Ali El Kharoubi" , In Revue Africaine , V96 ,3et4trimestre(S.D) .

6- Berbrugger .A. :"Des Frontière de l'Algérie", in Revue Africaine, T24 ,A1860.

7-De Grammont: "Un épisode diplomatique à Alger au XVIIIè siècle", in Revue Africaine ,(S.D).

8- Ernest Watbled :"Pachas – Pachas – Deys",in Revue Africaine , 1873, N°17.

9-Rinn.L :" le Royaumme d'Alger sous le dernier Dey ",in Revue Africaine,N°41,1897

10-Yacono Xavier :"La Régence d'Alger en 1830 d'après l'enquête des commissions de 1833-1834", In Revue l'occident musulman et de la Méditerranée ,(N°1),1966.

11-Pierre Boyer: "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)", In l'occident musulman et de la Méditerranée, Aix-Provence, (N°1),1966,

12- Abderrahim BEN HADDA:"Un document Ottoman Sur La bataille de Wad As-Sabil(4Août1578)",in Revue Hspèris Tamuda,Université Mohammed V, RABAT1993, (V. XXXI) .

13- Abderrahim BEN HADDA: "documents Ottomans Sur Les relations entre le Maroc et la Turquie du temps de Moulay Sulaiman ", in Revue Hspèris Tamuda ,Université Mohammed V, RABAT1993, (Vol. XXX V), fascicule 2.

14-Mohammed Hajji": L'idée de nation au Maroc aux XVIe$_e$ et XVII$_e$ siècles" ,in Revue Hspèris Tamuda ,Université Mohammed V, RABAT1968, X (V. IX).

15-Mohammed ELMENOUNI: "Apparition à l'époque mérinide et ouat–taside des éléments constitutifs du sentiment national marocain" ,in Revue Hspèris Tamuda ,Université Mohammed V, RABAT1968, (V. IX).

16-Ramon Lourido Diaz: "Relaciones deI ᶜAlawi Sïdï Muhammad B. ᶜAbd Allah con el imperio turco en el segundo periodo de su sultanato (1775-1790)" ,in Revue Hspèris Tamuda, Université Mohammed V, RABAT1986, (V. XXIV).

17-Abderrahmane Moudden: "'The Sharif and the Padishah". Some Remarke on Moroccan Ottoman Relations in the 16th century,in Revue Hspèris Tamuda ,F. XXVIII, Fasc. unique, 1990.

18-Djilali Sari:" Les Ottomans Et La Méditerranéen Occidentale Au XVI Siècle" ,in Revue El Moudjahid ,Alger1986.

سابعا:المعاجم والقواميس:

1-(ابن منظور الأنصاري)،أبو الفضل جمال الدين:لسان العرب،مطبعة بولاق،مصر1300هـ،20جزء.

2-(الزركلي)،خير الدين:الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،الطبعة الخامسة،دار العلم الملايين ،بيروت8،1980أجزاء.

3-(مختار عمر)،أحمد:معجم اللغة العربية المعاصرة،الطبعة الأولى،عالم الكتاب للنشر والتوزيع،القاهرة2008،4مجلدات.

4-(الخطيب)،مصطفى عبد الكريم:معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،الطبعة الأولى،مؤسسة الرسالة،بيروت1996.

ثامنا:المواقع الإلكترونية بالفرنسية:

-Site Web: Carte de l'Algérie dans l'Empire ottoman.

فهـــرس الأعـــلام

فهرس الأعلام:

1-الأعلام العرب والمستعرب:

(أ)

إسماعيل(المولى العلوي)،ص:3-4-13-14-15-19-20-59-61-63-64-77-78-114-130-158-169-170-171-172-173-174-176-178-182-183-184-185-186-187-189-190-191-192-193-194-198-199-200-201-202-203-208-209-207--210-212-213-214-215-217-218-219-220-222-244،أوجين بلانتي(معرّب من طرف الباحث)،ص:16 ،أحمد العماري،ص:19-58-160-164-165،أحمد الكمون،ص:20 -253،أبو صهيب الكرمي،ص:26، أحمد شعبو،ص:27، أحمد بن القاضي الزواوي،ص:29-67-68-71-79-80-109-112-123-126-144-145-276،إسماعيل الصوفي،ص:246 ،إيزابيل،ص:31،أحمد المرسي الصفصامي،ص:35-108،ألبرت حوراني،ص:39،أنطوان نوفل،ص:39،أحمد سيساوي،ص:39-41، الأغا بن عودة المزاري،ص:40،،أحمد شوقي،ص:45، أحمد المنصور الذهبي(الملك السعدي)،ص:50-51-56-57-71-144-148-149-150-166-169-217-242-243،الأرقش(دلندة وعبد الحميد)،ص:54-55-213-220،إبراهيم بن علي الحساني،ص:57،أحمد بن عبد العزيز العلوي،ص:58-59-110-156،إبراهيم حركات،ص:58-71-151-156-158-177-178-179-180-185-186-187-219-220-221-223-225،إبراهيم بن الأغلب،ص:60، آسية بنعدادة،ص:63،أحميدة العبد،ص:68،أحمد مختار عمر،ص:83،أحمد طرابين،ص:91-92-96،أحمد توفيق المدني،ص:97-110-163-164-166-169-228،الأحمدي،ص:102،أوروخان،ص:103،إسماعيل أحمد ياغي،ص:105-106-108،أحمد زكريا شلق،ص:106-108، ادريس(الشريف)،ص:110-231،أحمد التيجاني،ص:125،أحمد بن يوسف الراشدي(المليانى)،ص:126،أسماء

أبـلالي،ص:133،أحمـد الأعرج(السـلطان السـعدي)،ص:140،أحمـد إبـيش،ص:141، أحمـد الوسـاطي،ص:141،أحمـد بـن يحـي الهـوازلي،ص:148،إسماعيـل بـن عبـدالملك،ص:149،آل عثمان،ص:151-255،احمد باشا،ص:158،احمد الصغير،ص:158،احمد الكبير،ص:158،إبراهيم حسـن شـحاتة،ص:159-160-169-172-201،أحمـد الأزمـي،ص:170-171-174-185-186،احمـد بـن محـرز،ص:171-185-186،الخضـر غـيلان،ص:171-179-184-195،آل التقـيس،ص:171،إدريـس بوهليلـة،ص:172،احمـد الثالـث،ص:174،احمـد بـن محمـد الكـردودي،ص:178،أعـراس،ص:179،أحمـد بـن عبـد الله الـدلائي،ص:184،ابـن عائشة(السـفير المغـربي)،ص:190،ألفونصـو روسـو،ص:191،إبـراهيم خوجـة،ص:191-223،إبـراهيم الشـريف(باي تونس)،ص:194،إبراهيم خلف العبيدي،ص:198،أرنست كلبير،ص:112،أحمد الذهبي(بن إسماعيل العلوي)،ص:215-216،أحمد الوارث،ص:215، ،أحمد بن عبد الله الريفي،ص:216-223،أمين محرز،ص:226،أرزقي شويتام،ص:227-228-232-233،أحمد الشريف الزهار،ص:228،أحمد الجـزار،ص:234،إدمونـد دوطـي،ص:237،إبـراهيم بوطالـب،ص:241،أكمـل الـدين إحسـان أوغلـي،ص:245،إبـن إيـاس،ص:245-246،إحسـان حقـي،ص:246،أحمـد الشـريف الزهار،ص:251،إبراهيم بكير بحاز،ص:252

(ب)

بديعـة الخـرازي،ص:20-253،البشـير بـن سـلامة،ص:21،بسـام بركـة،ص:27،بربروسـة(الأخوة)،ص:32-33-35-38-42-73،برنـارد لـويس،ص:40،بوذشـرتران(كاتب البحريـة الفرنسـي)،(معرّب مـن طـرف الباحـث)،ص:43-186-194،البخاري(الإمام صاحب كتاب الصحيح في الحديث النبوي الشريف؛"الجامع الصحيح المختصر مـن أمـور رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم وسـننه وأيامـه)،ص:71-214-218،بشـاري لطيفـة،ص:88،بـن جديـد،ص:98،بـن علـي ،ص:98،بركـات الحسـيني (شـريف مكـة)،ص:106،بومـدين(الغوث)،ص:123،أبي بكـر الصـديق،ص:124،بـن يوسـف

تلمساني،ص:125-126،باشا عثمان،ص:158-165،بيدو سانت أولون(السفير الفرنسي)،ص:189،بوسنو،ص:211،بوعزة مول الشربيل،ص:221،بلخوص الدراجي،ص:228،الباي محمد الكبير،ص:230،بيير كريون،ص:241،بوزاكلوا الباز(معرب من طرف الباحث)،ص:248،بليل رحمونة،ص:250،

(ج)

جرمان مويط(معرّب من طرف الباحث)،ص:19-195،جمال محمود حجر،ص:24-130،جعفر الناصري،ص:28-161-170-171-178،جاك لوكوف،ص:29،جون وولف،ص:41،جمال قنان،ص:41-43،جمال بن طاهر،ص:54، جون بوتوكوي،210،جسوس(العالم)،ص:217،جميلة معاشي،ص:226 ،جيمس هنري برستد،ص:234

(د)

شعبان(الداي)،ص:1-4-17-20-181-182-183-184-186-193-254،دالكوديت(الحاكم الإسباني لوهران)،(معرّب من طرف الباحث)،ص:34-75،دييكو دي طوريس،ص:46-137،درغوث باشا(الريّس)،ص:75،دييكودي طوريس،ص:141،دحو فغرور،ص:247-250،دانييل شروتر،ص:248

(هـ)

هنري دوكستري(معرّب من طرف الباحث)،ص:16،هنري تيراس(معرّب من طرف الباحث)،ص:28-45،هوداس (مستشرق فرنسي)،ص:45،داود بن قاسم،ص:110،هاميلتون جب ،ص:141،هارولد بوون،ص:141،هايدو،ص:142-146-153،هاشم،ص:158.

(و)

الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور(الملك السعدي)،ص:72،ولد الطايع ،ص:98،وجيه الكوثراني،ص:99-105،وليم سبنسر،ص:163-167-168،وليم أروانج أو الصامت،ص:189،ودان بوغفالة،ص:229،وليم شالر،ص:235

(ز)

زياد أبو غنيمة،ص:103،زهراء النظام،ص:7-133-135-142-146-147-153-154-155-175-176، أبي زيان،ص:112،زيدان ابن اسماعيل العلوي،ص:185-186-254

(ح)

حنيفي هلايلي،ص:28-34-38-43-226،حسن المرزوقي،ص:30،حسن باشا ابن خير الدين،ص:40-142-234،حسان فنزيانو،ص:42،حسين مؤنس،ص:43-44،الحسن بن قاسم،ص:58-156،الحسن المنظري،ص:71،أبي حسون الوطاسي،ص:58 -137-153-156،أبي حسون السملالي،ص:60-171، ابن حجر العسقلاني،ص:71، أبو الحسن علي الحسني الندّوي،ص:40،الحسن الثاني ،حسن الضيقة،ص:103،أبي الحسن الشاذلي،ص:123،أبي حمو الثالث الزياني،ص،132، أبي حسون المريني،ص:143،الحسن الوزان،ص:154، أبي الحسن بن فارس الحفصي،ص:25،الحاج محمد بن عبدالعالي الحضري المزغناوي،ص:158،حمادي،ص:158،الحران،ص:171،ابن الحاج،ص:172-173،أبو حسون(صاحب سوس)،ص:179،حسين باشا،ص:201،الحسن اليوسي،ص:208-209 ،أبي حمو،ص:112، الحاكم السعيد،ص:153،الحاج سيساوي،ص:217،الحوات(القائد)،ص:221،حسن قبطان التريكي،ص:224،حمدان بن عثمان خوجة،ص:225-231-247،حسن باشا،ص:234،حنفي بن عيسى،ص:235،حسن أحمد الحجوي،ص:248.

(ط)

طومان باي،ص:246،الطاهر بنعبد السلام السلاوي،ص:253-،الطاهر فنيش،ص:253،الطاهر بن عبد الحق،ص:253

(ي)

يلمـــاز أوزتوتـــا،ص:45-46-245-246،يحـــي بـــن ســـالم،ص:68،يســـرى عبـــدالرزاق الجوهري،ص:118،يحي جلال،ص:134-199، اليزيد،ص:243،يونان لبيب رزق،ص: 253

(ك)

كزافييه دولابلانهول،ص:37-39-40،كمال الخولي،ص:39،كمال فيلالي،ص:39-226،كارم كايسي،ص:87،كروم الحاج،ص:179،كمال بن صحراوي،ص:247،كارلوس الثالث،ص:258-259

(ل)

ليلى الصباغ،ص:6-119 لوجي دي تاسي(معرّب من طرف الباحث)،ص:20،لويس دي شنيي(معرّب من طرف الباحث)،ص:241-252، لوريدو دياث،ص:252 لطفي عيسى،ص:29-45،لويس الرابع عشر(ملك فرنسا)،(معرّب من طرف الباحث)،ص: 43-92-181-182-184-189،لورانس مادوك،ص:51،لحسن اليوبي،ص:64-65،لارباي حسن بن خير الدين،ص:141

(م)

محمد بن ميمون،ص:2-40-41-188-190-191-224-228،محمد بكتاش،ص:2،محمد بن عثمان باشا(الداي)،ص:4-158-251،محمد بن عبد الله(السلطان العلوي)،ص:3-4-14-20-21-78-114-115-176-198-203-215-220-240-241-242-243-244-

247-248-249-250-251-252-253-256-258-259-261-262،محمد العربي معريش،ص:6،مكي جلول،ص:7،مولاي بلحميسي،ص:7-183-184-230،مصطفى الغاشي،ص:8-196،محمد أبو رأس الناصري،ص:18،محمد الصالحي،ص:19-28،محمد حجي ،ص:109--110-112-219،ص:19-25-29-46-53-136-195،محمد الأخضر،ص:19-25-29-46-195،محمد مزالي،ص:21،محمد علي القوزي،ص:24،محمد الوزان الفاسي،ص:25-26-29-52-84-88-117-118-122-136-155-258،مكيوي محمد،ص:26،محمد خير فارس،ص:27-48-52-53-60-71-107-132-136-147-148-149-150-236،مالك بن نبي،ص:27-28،محمد الناصري-213-214-217-218-231،ص:28،محمد بن عسكر الشفشاوني،ص:29-45-67-122-126،المغراوي البجائي،ص:29،محمد زنيبر،ص:29،محمد الطاهر المنصوري،ص:29،المنور مروش،ص:31-33-184،محمد دراج،ص:31-35-68-73-133-149،محمود علي عامر،ص:32-48-52-53-71-136-147-148-150،محمد أنيس،ص:33-38،مصطفى عبد الكريم الخطيب،ص:34-224-226-226،محمد جميل بيهم،ص:36،معاوية سعيدوني،ص:37،مصطفى حموش،ص:40-41،محمود الأنصاري،ص:45،محمد القبلي،ص:49-115-161-164-241-242-243،مارمول كاربخال،ص:49،محمد الغربي،ص:50،محمد رزوق،ص:50-71-113-114-240، محمد المتوكل على الله(الملقب بالمسلوخ)،ص:51،محمد المنوني،ص:53-93-94-97-112-155،محمد الشيخ،ص:56-70-75-141-143-145-146-154،محمد الضعيف الرباطي،ص: 19-58-59-158-159-165-166-180-184-185-207-214-216-239-264،محمد القبلي،ص:58-59-60-69-70-71-76-77-78،محمد الشريف(الملك العلوي)،ص:58-72-76-116-158-159-165-179-180،محمد المنصور،ص:60-61-115-116-199-262،محمد بوشنافي،ص:67،محمد القائم بأمر الله (رأس السعديين)،ص:69،المتنبي(شاعر سيف الدولة الحمداني)،ص:71،محمد بن راشد،ص:71،محمد خميس الزوكة،ص:86، محمد الهادي لعروق،ص:87،محمد الحمادي،ص:87،موسى لقبال،ص:88،مصطفى

بنسباع،ص:88،محمد حسين بزي،ص:89،محمد التومي،ص:90،مومن العمري،ص:92،محمد بن أبي القاسم السجلماني،ص:94، محمد رضوان،ص:95-96-152-153،محمد عمارة،ص:102،محمد حرب،ص:103-104-111،محمد كريم،ص:106،ميلاد المقرحي،ص:107-108-189،محمد الفاتح،ص:111،محمد البرتغالي،ص:112-132-136-140،محمد دادة،ص:113،محمد أبو رأس الجزائري،ص:120 ،محمد بن عبدالكريم الجزائري،ص:120،مختار الطاهر فيلالي،ص:122،مولاي عبدالسلام بن مشيش،ص:123،محمد العربي الدرقاوي،ص:125، ،محمد الصغير الإفراني،ص: 45-49-52-59-61-137-141-142-146-162-191-192-198-262،مجهول،ص:144-145-146،مراد خان،ص:149-150،مراد بن سليم خان،ص:151،محمد المحبي،ص:151،مرمول كربخال،ص:154،المولى محمد،ص:154-164-165-178،محمد بن حسن الحجوي،ص:154،محمد بن الشريف،ص:156-158-170،محرز،ص:158،محمد الدناي،ص:165-166،محمد العالم،ص:171،المشرفي،ص:172،محمد بن مصطفى المشرفي،ص:172-246،مصطفى الثاني،ص:174،محمدعلي داهش،ص:180،محمد بن عبد الكريم،ص:188،ماري الإنكليزية،ص: 189، مصطفى (داي الجزائر)،ص:194،مسعود ضاهر،ص:195-196،المستضيء بنور الله ابن إسماعيل العلوي،ص:216،محمد بن قاسم عليليش،ص:216-217، محمد بن شكر(بن شوكير) ،ص:،191-193 ، المرادي،ص:191-193-194،المصطفى البوعناني،ص:219-221-،مساهل بن مسرور الدكالي،ص:221،محمد باي تونس،ص:223،محمود باي تونس،ص:223،ابن المفتي،ص:224،محمد التريكي(الداي)،ص:224،محمد العربي الزبيري،ص:225/محمد شاطو،ص:227،مختار حساني،ص:228،محمد الخداري،ص:229،محمد أبي الذهب،ص:234،مصطفى الأشرف،ص:235، المهدي البوعبدلي،ص:236، ميشو بلبير(معرّب من طرف الباحث)،ص:237،محمد بن تاويت،ص:240،محمد يعيش،ص:245،محمد بن عبدالوهاب،ص:246،محمد بن أحمد ابن إياس،ص:246،محمد فريد بك المحامي،ص:246-260،محمد بن سليمان،ص:246،الملك سعود،ص:246،محمد بن عبدالوهاب

المكناسي،ص:247،محمد بوكبوط،ص:247،محي الدين عبدالحميد الباعمراني،ص:250،مختار الجزائر ،ص:251،ابـن منظور(لسـان العـرب) ،ص:251،محمـد بـن عثمـان المكناسـي،ص:258-265،مصطفى الثالث،ص:260،محمد بن عزوز حكيم،ص:263،مكي بركاش،ص:258، محمد الزوين،ص:258،محمد مزين،ص:258

(ن)

ناصـر الـدين سـعيدوني،ص:34-37-38-39-67-69-74-125 -233-234-235-238-239،نيقـولاي ايفـانوف،ص:44،نقـولا زيـادة،ص:50،نجيـب دوكـاني،ص:74،نـاجي علـوش،ص:84-86-87،نهـاد جتـين،ص:104،نـور الـدين عبـد القـادر،ص:133، أبـو نمـى محمد،ص:106،ابن النويني،ص:221،النقسيس،ص:242،نجاتي أقطاس،ص:245

(س)

سـالم التـومي،ص:28-38-68،سـليم العثمـني،ص:28-256،سـليمان القـانوني،ص:40-141-145-146-153-168،سـليم الأول،ص:42-106-245،سبسـتيان(الملك البرتغـالي)،ص:51،سمـير بوريمـة،ص:87،سـاطح الحصـري،ص:90،سـعيد الفاضـلي،ص:95،سـليمان القريشـي،ص:95،سـليمان (الشـريف)،ص:110،سـليمان العلـوي ،ص:125، أبى سـعيد الثاني،ص:112 ،سعيد توتاي،ص:210،سيدي يحي،ص218،سـالم الـدكالي،ص:221، سيّار الجميل،ص:234،سعيد بنسعيد العلوي،ص:237-238

(ع)

عمـار بـن خـروف،ص:5-7-57-58-88-113-118-119،-121-123-132-133-135-136-138-139-148-155-227،علـي بـن محمـد التمجـروتي،ص:19-28-50-109-144،عبـد الكبـير العلـوي الإسمـاعيلي،ص:20-253،عبـد الرحمـان بـن خلـدون،ص:26-117،عمر مسقاوي،ص:27،عبد الحميد هنية،ص:29-63، عروج،ص:2-18-38 -40-67-

112-133-140-159،عبد الله العروي،ص:17-30-46-47-60-62-63-67-68-
77-78-115-152-263-264-266،عبد الكريم الجزائري،ص:18،عبد الرحمان
المودن،ص:8-9-161-253،عبد الرحيم بنحادة،ص:8-48-159-158-160-164-
172-173-176-177-178-184-185-186-199-200-201-202-222-
255-257-258عمرعبد العزيزعمر،ص:24-130،عبد المجيد القدوري،ص:26-46-47-48-
62-157-258،علاوة عمارة،ص:30،عبد الجليل التميمي،ص:34-35-36-42-121-
175،علي أجقو،ص:35،عبد القادر جغلول،ص:37،عصمان بن قاسم،ص:43-158،عدنان
محمود سليمان،ص:45،عبد الكريم كريم،ص:48-51-52-57-75-113،عبد الله
كنون،ص:50-145-148-149،عبد العزيز الفشتالي،ص:51-55-56-57-243،عبد الملك
السعدي،ص:51-56،عمر بن قايد،ص:58-181-189،عبد الوهاب بنمنصور،ص:59،عبد
الرحيم العطري،ص:60-61،عبد الكريم الريفي،ص:63-64-160،عبد الله بن إسماعيل،ص:63-
244،عبد الهادي التازي،ص:111-135-65-157-158-159-161-166-168-
173-174-179-180-183،عبد العزيز(من الزعماء المحليين المناوئين لخير الدين)،ص:68،علي
حرزوز(الفقيه)،ص:70،عبد الكريم غلاب،ص:71-72-74-75-208-209،علي بن
السجلماسي،ص:76-165-168-178-256، أبي عبد الله محمد بن المبارك،ص:48،أبي عبد الله
محمد القائم بأمر الله،ص:49-140، أبو العباس أحمد الناصري،ص:28-61-116-184-185-
217-218-241-243،أبو عبد الله بن أحمد بن الشماع،ص:27،العقاد صلاح،ص:85،عبد
القادر حليمي،ص:86،عبد الرحمان حميدة،ص:86-118،علي التومي،ص:78،عبد الكريم
سالم،ص:78،علي موسى،ص:87،عبد المحسن شداد،ص:88،علي شريعتي،ص:89،عبدالعزيز
الدوري،ص:90-91-98-99،عماد الدين،ص:91،عبد الكريم بوصفصاف،ص:92،عبد الله بن
محمدالعياشي،ص:95،عبد الله إبراهيم،ص:95-96-152،عبد الرزاق بركات،ص:103
،عثمان،ص:103،عاشق جلبي،ص:103

،عبد الرحمان بن حسن الجبرتي،ص:106،عبد الرحمن عبدالرحيم،ص:106،عبدالكريم المغيلي،ص:123،عائشة بنت أبي عبد الله،ص:125،عبد القادر(الأمير)،ص:125،علي بن عبدالرحمان(الفاسي)،ص:125،عبد المجيد الصغير،ص:126 ،عبدالله الشريف،ص:126،عبد الكريم الفيلالي،ص:134، أبي عبدالله محمد،ص:141، أبي عبد الله محمد الكراسي،ص:137-138،بني عثمان،ص:145،عبدالملك المعتصم،ص:150،عزيز سامح الترك،ص:150-153-244-245-246،أبي عبدالله محمد بن أحمد القيسي،ص:155،عبدالرحمان ابن زيدان،ص:157-160-173-258،عبدالله بن عبدالغفار،ص:158،علي الصغير،ص:158،علي الكبير،ص:158،ابو علي الحسن بن مسعود اليوسي،ص:160،عبدالكريم بن موسى،ص:160،عبدالقادر زبادية،ص:163،أبي عبدالله محمد بن الكنسوسي،ص:178،عبد الكريم غرابية،ص:181،عبد السلام الفيلالي،ص:197،عبد الإله الدحاني،ص:211،عبد الرزاق بن حمادوش،ص:211-216-223،عبد الأحد السبتي،ص:212-214،عبد اللطيف الفلق،ص:212،علي الأعرج،ص:215-222،عبد الله محمد العياشي،ص:216-217، عبد الله بن إسماعيل العلوي،ص:215-222-232-223-241،عبد الملك بن إسماعيل،ص:215-216-222،عبد الكريم الريفي(حاكم)،ص:218،عبد الواحد ابن الباشا،ص:223،علي باشا شاوش(الداي)،ص:224،عبداللطيف الشادلي،ص:225،عائشة غطاس،ص:226،عبدالكريم الفكون،ص:230،عبدالرحمان بن هاشم،ص:231،عبد الملك خلف التميمي،ص:237،عبد العزيز بنعبد الله،ص:240-243،عصمت نينياق،ص:245، أبو العباس أحمد بن محمد ،ص:246، عبدالحفيظ الملوكي،ص:246،عبدالحفيظ بمنصور،ص:247-248،عبدالقادر تيمول،ص:248،علي باشا بوصباع،ص:251،عميور سكينة،ص:251،عبدالنبي ذاكر،ص:258،عبدالمجيد الأول،ص:260،علال الدراوي،ص:258،عديل الخياط،ص:285،عبد الكرين العوني،ص:258،عبد الملك بن ادريس،ص:258، المولى عبدالسلام (ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله)،ص:258.

(ف)

فرنان بروديل(معرّب من طرف الباحث)،ص:25-35،فيليب(الملك الإسباني)،ص:31،فاضل بيات،ص:33،فيصل عباس،ص:37،فرانسوا جان تروان،ص:87،فيليب كورتن،ص:89،فتحي محمد أبو عيانة،ص:117،فبربروجر،ص:154،فرانسو الاول،ص:168،فاتح الدكالي،ص:221،فاتح بن النوبي،ص:221،فتيحة الواليش،ص:230،أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،ص:251

(ص)

صديقي عبد الجبار،ص:26،صباح بعارسية،ص:123-124،صالح رايس،ص:137-153-154-192، صفا،ص:141،صالح باشا،ص:141،صالح سعداوي صالح،ص:245

(ق)

أبو القاسم سعد الله،ص:2-34-41-119-120-121-122-124-125-147-223-230-235-236-247-250،قاسم الزرهوني(الوزير)،ص:56،أبو القاسم الزياني،ص:61-78-135-143-158-160-184-186-194-239-242-243-255-257-258،القذافي ،ص:98،القائد موسى،ص:153،القادري،ص207-217-242-254،قرباش بلقاسم،ص:229،قدور الرنوصي،ص:260

(ر)

لوريدو دياث(معرّب من طرف الباحث)،ص:20-240-253-260-261-262،الرشيد(الملك العلوي)،ص:72-76-77-78-79-171-178-179-195،رشيد الزاوية،ص:78-158،رضوان السيد،ص:89،رستم باشا،ص:142،رمضان باشا،ص:150،رقية شارف،ص:249،رجم بن البجاوي،ص:251،راغون التطواني،ص:258.

(ش)

شـــارل أنـــدري جوليـــان(معرّب مـــن طـــرف الباحـــث)،ص:21-43-44-250،شـــارلكان(الملك الإسباني)(معرّب من طرف الباحث)،ص:34،شوقي أبو خليل،ص:51، الشيباني بنبلغيث،ص:94-95-252،شـاكر مصـطفى،ص:98،شـهرزاد بوترعـة،ص:245،شـرف موسـى،ص:249،شـاعو كمال،ص:251،شكيب بن حفري،ص:261

(ت)

التمقروتي،ص:145

(خ)

خـــير الـــدين،ص:2-18-31-35-38-40-41-42-133،خليـــل أحمـــد،ص:37،خضـــر رايس،ص:73،خليل علي،ص:89،الخراشي،ص:120،خير الدين الزركلي،ص:123،خليل ساحلي أوغلو،ص:141-14،خليفة حماش،ص:201،خالد بن الصغير،ص:248،خالد أرن،ص:258.

2-الأعلام العرب والأجانب:

Armon Cabriel:p142.

Abderahman El Mouden:P9-10-162-199.

Abderrahim BEN HADDA:p51-260.

:p28.Ahmed Balafrej

Bataillon Marcel:p25-26.

Fernand BBAUDEL:p25-31-35-36-51-234.

Henry De Castries:P17-51-52-70-75-133-141-143-148-150.

Haedo Fray Diego:p28-38-39-40-112-133-142-143-146-154.

Henryterrasse:p28-45- 143-147.

Laugier de Tassy:P20-254.

Louis Chénier:P20-114-115-252-261-262.

Gharles Andre Julien:p26

Galibert Mauray:p31

Merrouche:p33.

Marx:p37.

Elie de la primaudaie:p34-150.

Ernest Mercier:p36-43.

Eugène plantet :p17-42-93-181-182-184-186-189-192 -193-194 -225.

Yacono Xavier:p39.

De. Grammont:p43-113-174.

Mohammed ELMENOUNI:p53.

Mohammed Hajji:p53.

Sander Rang et Denis:p73.

.Stéphane Gsell:p84-85.

Valenci Lucette:p118-119-161-210-211.
Pierre Boyer:p122-126-127-135-142.

Octave Depont et Xavier Coppolani:p122.

Depont et Coppolani:p123-125.

EL Mahdi Bouabdlli:p141.

P.de cenivale:p143.

Brignon.p147.

A.Berbrugger:p154.

Ch.André Julien:p170-171-176.

De Voulx:P173-184-193-194.

Thomassy Raymond:p189.

F.Hoefer:p190.

Ernest Watbled:p224.

Rinn.L :p236.

Abderrahmane Moudden:253

Ramon Lourido Diaz:p241-.252260-262

Djilali Sari:p252.

CAILLE:P262.

فهـرس الأمـاكـن والبـلــدان

فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

إيالـة الجزائـر العثمانيـة،ص:4-25-35-37-38-41-42-68-69-182-197-225-226-247،إفريقيا الشمالية،ص:21-31-32-34-36-38-43-46-51-60-75-84-85-86-95113-134-150-154-203-260-261،إسطنبول،ص:40-104-135-145-146-162-172-174-222-233-253-256-257-263-268-271،آقا،ص:48،أوروبا،ص:73-77-95-104-106-107-108-111-157-178-182-229-252-253-،أصيلا،ص:77-195،الأطلس الصغير،ص:84،الأطلس الجنوبي،ص:84،إفريقية الغربية،ص:88،الإسكندرية،ص:94-106-117-118-159،أفريقيا الشرق،ص:95،الإمارات العربية المتحدة،ص:95-97-105-246،الأندلس،ص:95-162،القاهرة،ص:103-246،إيران،ص:104،اسبانيا،ص:113-135-149-163-168-262،أولاد سيدي الشيخ،ص:123،إمارة كوكو،ص:133،الأندلس،ص:136،أغمات،ص:242،المانيا،ص:26،الأدرياتيكي،ص:258-268

(ب)

البحر الأبيض المتوسط،ص:4-30-31-33-35-51-77-95-234-271، بايلك الغرب،ص:18-197

بيروت ،ص:24-25-27-29-33-34-36-37-39-44-45-46-63-72-74-84-87-88-89-102-103-112-150-181-196-246،بجاية،ص:25-123،البنيون(الصخرة)،ص:41،بانكوك،ص:51،البرتغال،ص:70-77-113-155-166-179،بغداد،ص:78-198-234،بلاد الجريد،ص:84-192،بوسعادة،ص:87،البوريمي،ص:98،بنغاري،ص:107،بريج،ص:125،بني

عبـــــــــــــــــــــاس،ص:133،بـــــــــــــــــــــــــــــادس،ص:143-153،بسكرة،ص:192،لبنان،ص:234،البصرة،ص:234،البلقان،ص:259

(ج)

الجزائـــــر،ص:1-2-3-4-5-6-7-9-11-13-14-15-16-17-18-19-20-21-25-28-31-33-34-35-36-37-38-40-41-42-43-44-53-56-57-58-60-67-69-72-73-74-75-79-80-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-97-99-100-101-107-109-110-113-116-118-119-120-122-123-124-125-126-128-130،-132-133-137-139-140-142-143-146-147-148-149-151-152-153-154-155-156-159-160-162-163-164-167-168-169-171-173-174-175-176-179-180-181-184-185-189-190-191-192-193-197-198-199-200-201-203-206-207-208-211-220-224-225-226-228-229-230-225-226-227-229-230-231-233-234-235-237-238-239-245-247-249-250-251-252-253-254-262،الجنـــــــوب الجزائـــــــري،ص:37-235،جازولة،ص:54،جبل طارق،ص:84،جندوانا(القارة)،ص:86،جنوة،ص:266

(د)

الدولة العثمانية،ص:4-5-7-8-9-10-25-33-34-35-37-41-42-53-68-73-80-89-105-106-108-112-114-139-151-156-167-173-175-176-177-178-196-198-224-226-234-245-249-262

الـــدار البيضـــاء،ص:20-26-28-45-46-47-49-51-57-95-173-212-238-240-246-253-258،دمشق،ص:27-32-51-87-112-119-151-152-155-

178-245،دلس،ص:38،دار السلطان،ص:40،دبي،ص:41،درعة،ص:48-49-53-87-154-156-171،الدولة الزيانية،ص:110-163،الدولة المغربية،ص:110،الدولة العلوية،ص:116-158-160-165-168-170-172-178-179،الدولة التاكمدراتية،ص:143،الدولة المرينية،ص:156،دول الفرنج،ص:157،الدولة السعدية،ص:170،دجلة(نهر)،ص:234،دوبروفنيك،ص:268

(هـ)

الهبط،ص:179،الهلال الخصيب،ص:234،هنغاريا،ص:259

(و)

وهران،ص:39-40-67-68-69-75-76-113-138-150-155-163-174-247-250-259-261،واد السبيل،ص:51،الوطن العربي،ص:85-92-95،وليلي،ص:110،وزان،ص:126،وادي درعة،ص:147،وادي المخازن ،ص:148،وادي ملوية،ص:154-161-192-236،واد زا،ص:154،واد التافنة،ص:161-171-192،واد نول غرب الاغواط،ص:178،واد شلف،ص:185،وادي صا،ص:185،واد تيفلت،ص218،الولايات المتحدة الامريكية،ص:259

(ز)

زغوان،ص:8-175

(ح)

الحجاز:ص:58-105-156،الحمادة،ص:87،الحبشة،ص:110.

(ط)

طـــــرابلس،ص:26-74-87-94-119-126-132-159-175-184-189-191-192-194-224-234-238-263-268-269،طنجة،ص:60-77-120

(ي)

ينبع،ص:45،58

(ك)

الكويت،ص:50-98-217-229-238،الكونغو،ص:86

(ل)

لندن،ص:19-28،ليبيا،ص:32-84-86-109

(م)

المغـــارب،ص:1-2-14-16-18-19-21-26-27-28-30-31-37-44-66-70-117-118-119-122-126-155-166-170-179-180-182-189-191-221-229-237-254-262

المغرب الأقصى،ص:1-2-3-4-5-6-7-9-10-11-13-14-15-16-17-18-19-20-21-25-27-36-37-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-56-57-58-60-61-62-63-64-65-69-70-71-72-74-75-76-78-79-80-83-84-85-87-88-89-9-90-91-92-93-94-97-99-100-101-107-109-110-111-114-117-119-120-121-122-124-125-126-128-130-131-132-133-134-135-136-139-140-141-142-143-144-145-

-159-158-157-156-155-154-153-152-151-150-148-147-146
-177-176-175-171-170-169-168-167-165،164-163-162-161
-203-202-200-199-195-193-188-187-183-181-180-179-178
-231-230-225-223-222-220-219-218-215-213-208-207-206
-252-250-249-248-246-244-243-241-240-239-238-237-233
253-254-255-256-257-257-260-262،المغرب الإسلامي،ص:25-26-91-
93-34-36-98-100،المغرب الأدنى،ص:26-27--28-29-30،-110المغرب
الأوسط،ص:26-28-29-30-35-42-67-79-84-97-124-147-186-236-
251،ملوية،ص:26،المغرب العربي،ص:30-32-52-53-87-92 -97-98-121-149-
150-175-183-212-259،المغرب
الحديث،ص61،المدية،ص:39،مازونة،ص:40،معسكر،ص:40-229،مصر،ص:40-44-68-
84-106-111-123-134-145-234-245-251،مرسيليا،ص:42،مراكش،ص:48-
67-84-97-98-118-125-141-151-171-179-214-217-237-241-
243-249-250،مكناس،ص:50-216،المرسى الكبير،ص:69-75-150-
261،المجر،ص:73،المعمورة،ص:77،المحيط الأطلسي،ص:86-88-
95،الميزيتا(هضبة)،ص:86،مرزق(هضبة)،ص:87،-المشرق،ص:88-94-110،-121-146مكة
المكرمة،ص:94-106،المدينة المنورة،ص:94،المحمدية ،ص:157،مشرع الرملة،216-218-
219،مرجة بني حسن،ص:218،الموصل،ص:234،المسيلة،ص:245 ،مالطا،ص:259

(ن)

الأناضول،ص:4-33،الأردن،ص:26-86-238-245،النمسا،ص:73،نون(واد بالمغرب
الأقصى)،ص:84،النيل (نهر)،ص:86،النوبة،ص:86،نابولي،ص:259.

(س)

سوس،ص:26-48-54-55-57-124-143-147-151،سلا،ص:43-143-171-179-219،السودان،ص:166-169-192،السودان الغربي،ص:50-84-110،سجلماسة،ص:58-59-94-156-158،سبتة،ص:78-240،ساحل سدرة،ص:84، سردينيا،ص:259

(ع)

العالم العربي،ص:9-86-95-96-153،العالم الإسلامي،ص:9-95-97-106-108-242-253-274،العالم الأوروبي،ص:274،عمان،ص:103،العرائش،ص:143-149،عين ماضي،ص:185،العراق،ص:234

(ف)

فاس،ص:8-10-45-46-56-67-71-78-123-126-132-137-143-150-154-155-160-163-165-179-201-216-217-223-244-246-253-257،فرنسا،ص:43-73-168-175-248،فلسطين،ص:86-234،فزان،ص:87-154-155،الفرات،ص:234

(ص)

صفاقس،ص:94،الصحراء المغربية،ص:111 ،الصحراء الغربية،ص:111،الصحراء الشرقية،ص:159.

(ق)

القـــــاهرة،ص:24-33-43-83-86-106-108-134،قطـــــــر،ص:30،القـــــــارة الأمريكية،ص:32،قسنطينة،ص:39-92-123-194-226-228-230-251-252،القصر الكبير،ص:51-195،القسنطينية،ص:109-111-127-174-240

(ر)

الربـــاط،ص:19-29-48-58-59-60-61-63-78-135-157-158-160-172-178-208-210-211-240-248-271،الريـــــــــــــــاض،ص:89-105-133، الريصاني،ص:165-168-170-247-250-255-263،الروس،ص:260-262

(ش)

الشرق الأوسط،ص:33،الشام،ص:68-234،شفشاون،ص:71،شمال إفريقيا ،ص:99-105-110-113-118-263-278،الشام،ص:105-106-109،شرشال،ص:226

(ت)

تـــــونس،ص:21-28-29-34-35-37-54-67-72-74-85-94-97-99-109-119-120-132-141-175-176-183-184-189-234-238-260-262،تلمســـــــان،ص:25-26-67-93-110-113-118-123-124-132-133-135-138-140-142-143-147-154-158-159-160-162-163-164-165-173-179-180-182-186-191-192-193-194-201-202-223-224-231-234-236-246-247-251-262،التيطـري،ص:40،تاكمـدارت،ص:48-53،تافلالـــــــت،ص:48-76-147،تركيـــــــا،ص:105-175،تارودانـــــــت،ص:49-

171،تيدســــــــــــــــي،ص:49،تيطـــــــــــــــــــوان،ص:71-143-171-195-223،تبستي(مرتفعات)،ص:86،تادمايت(هضبة)،ص:87، تادلا،ص:171

(خ)

خليج قابس،ص:84

(غ)

الغرب الإسلامي،ص:30-136،غرداية،ص:58-133-181.

فهـرس القبـائـل والجمـاعـات

فهرس القبائل والجماعات:

(أ)

أتـراك الجزائـر،ص:9-17-19-158-161-164-166-168-175-176-177-178-181-182-183-184-185-186-190-201-204-222-242-243-259-261-270،الأندلسـيين،ص:33-128-169-172-212-277،الأوروبيـين،ص:40-73-76-114-115-173،الإنجليـــز،ص:77-98،، الإفـــرنج،ص:99،الاســـباني،ص:155-162،الأعـــاجم،ص:155،الاعـــارب،ص:155،أولا جريـــر،ص:186،آل الجليلـــي،ص:234،آل العظم،ص:234،آل القرمانلي،ص:234

(ب)

بنو مرين،ص:26-46-53-56-58-119،البربر،ص:28-36-45-84،البرتغاليين،ص:48-99-120-131-132-136-139-143-148،بنـو إبـراهيم،ص:59،بـني زيـان،ص:73-119-236،البروتســـتانت،ص:73،بـــني ســـليم،ص:118،بـــني حكـــيم،ص:118،بـــني حفص،ص:119،بني توجين،ص:125،بني عروس،ص:126،بني عامر،ص:155-181-186،بني يزناســـن،ص:164-179-186،بـــني ســـويد،ص:181،بـــني إســـرائيل،ص:218،بـــني عثمان،ص:246،البيزنطيين،ص:168،البنادقة،ص:168

(ج)

الجزائريين،ص:3-4-5-35-73-148-168-202-259-260

(د)

الدلائيين،ص:76-171-179.

(هـ)

النمط الهلالي؛بنو هلال،ص:30-117،هوارة،ص:117،الهابسبورغ،ص:168

(و)

الوطاسيين،ص:13-26-45-53-75،-131-132-135-136-137-138-139-140-141-153-155،الوندالي،ص:90

(ز)

الزيانيين،ص:109-132-135-140-163-169،زناتة،ص:117،

(ح)

الحجازيون،ص:58،الحفصيين،ص:109-132-133،حكيم،ص:117،الحرّاطين،ص:217،الحسينيين،ص:234

(ي)

اليوسفية،ص:126

(ل)

اللاتينيين،ص:84

(م)

المغاربة،ص:3-4-5-8-20-45-93-211-238-254،الموحدين،ص:26-27-33-47-59-73-109-110-113-114-116-120-127-128-134-149-168-175-176-181-183-185-188-196-215-222-242-247-249-254-255-

-138-127-124-120-111-94-92-43:المسلمين،ص262-261-258-257
-114-111-110-79-46:المرابطين،ص277-262-259-207-181-165-144
-77:المسيحيين،ص125-123-122-121-120-119
-112-110:المرينيين،ص111-109:المصريين،ص101:الملثمين،ص99:المغول،ص115
123:المستعربين،ص122:المتصوفين،ص117:معقل ،ص117:مصمودة،ص269-133
241:الموريين،ص144:الموالي،ص144 ،المماليك،ص123:المستشرقين،ص

(س)

-65-64-61-55-54-53-52-50-49-48-47-45-19-13-4-3:السعديين،ص
-139-132-128-127-114-101-79-77-76-75-74-72-71-70-69-66
-156-155-153-151-150-148-147-145-144-143-142-141-140
-247-245-197-196-179-177-176-169-166
-31-26-25:الإسبان،ص90، السويسرين،ص76:السملاليين،ص44:السلاجقة،ص262
-98 -80-77-75-74-73-70-67-51-45-41-40-39-38-36-35-32
-179-174-166-163-161-155-150-139-136-119-113،114-99
-245-160-151-148-143:السلاطين،ص177-128:السودانيين،ص261-259
.246

(ش)

الشعب الأمريكي،ص:91،الشعب البريطاني،ص:91،الشاميين،ص:109.

(ع)

-77-72-71-66-65-64-63-61-60-59-58-53-45-19-4-3:العلويين،ص
-222-203-198-197-194-156-128-127-115-114-113-101-79

238-273-276-277-279،العثمـانيين،ص:6-19-31-33-35-37-40-41-56-
67-89-92-95-97-102-103-104-105-106-108-109-110-111-
113-115-116-123-125-127-128-132-134-135-138-139-148-
149-150-152-156-157-160-161-164-167-168-169-169-172-
173-175-176-177-180-182-188-190-197-200-238-240-242-
245-245-247-250-262،عبدالواد،ص:27-236،العلوج،ص:138

(ف)

الفرنسيين،ص:76-98-105-106-114-190-231-235.

(ص)

صنهاجة،ص:117-119.

(ق)

القرطاجي،ص:90.

(ر)

الروماني،ص90،الروم،ص:106-166.

(ت)

الأتراك العثمانيون،ص:3-4-8-13-14-25-26-28-29-33-35-36-37-39-40-
43-44-50-67-68-69-70-73-74-75-76-79-92-95-101-103-109-
111-116-122-127-132-133-135-136-137-138-140-141-142-

-158-156-155-155-154-153-152-151-150-148-146-144-143
-189-181-180-179-174-170-169-166-164-163-162-161-159
-229-228-227-225-223-221-220-203-202-199-198-192-191
262-259-250-249-245-239-237-235-234-233-232-231-230،
التلمسانيين،ص:147.

(خ)

الخوارج،ص:101.

(غ)

غمارة،ص:117.

فـــهـــرس المـــوضـــوعـــات

فهرس المـوضـوعـات:

البسملة

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات باللغتين:العربية والفرنسية

مقدّمة:..... ص ص1-17

الفصل الأول:الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب الأقصى قبل القرن 12 هـ/18م..... ص ص19-74

أولا:التكوين السياسي والإداري في إيالة الجزائر:الأثر والتأثر..... ص ص20-39

1-الوضع السياسي في إيالة الجزائر..... ص ص20-39

1-1-معالم التشكل السياسي في إيالة الجزائر..... ص ص20-32

1-2-معالم التشكل الإداري في إيالة الجزائر..... ص ص33-39

ثانيا:الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى..... ص ص40-60

1-الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى (العهد السعدي)..... ص ص40-52

أ-معالم التشكل السياسي للمغرب في العهد السعدي..... ص ص40-48

ب-معالم التشكل الإداري للمغرب في العهد السعدي..... ص ص48-52

2-الوضع السياسي والإداري في المغرب الأقصى (العهد العلوي)..... ص ص52-60

أ-معالم التشكل السياسي للمغرب في العهد العلوي..... ص ص52-57

ب-معالم التشكل الإداري للمغرب في العهد العلوي..... ص ص 57-60

ثالثا:البنية الداخلية في البلدين وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية.....ص ص66-72
1- أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين محليا.....ص ص60-66
1-1-في الجزائر.....ص ص60-62
1-2-في المغرب.....ص ص 62-66
أ-في عهد الدولة السعدية.....ص ص63-65
ب-في عهد الدولة العلوية..... ص ص65-66
2- أثر نمطية التشكل السياسي والإداري في البلدين إقليميا ودوليا..... ص ص66-72
1-2-في الجزائر.....ص ص66-67
2-2-في المغرب.....ص ص67-72
أ-في عهد الدولة السعدية.....ص ص67-68
ب-في عهد الدولة العلوية..... ص ص69-73
الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين:.....ص ص75-118
أولا:العوامل الرتيبة المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين.....ص ص76-90
1-العوامل الطبيعية..... ص ص76-80
أ-الموقع الجغرافي.....ص77
ب-على مستوى التكوين الجيولوجي..... ص 78
ج-على مستوى الهضاب..... ص78
د-على مستوى المناخ.....ص79
هـ-على مستوى انتماء الكتل الأرضية.....ص ص79-80
2-العوامل التاريخية.....ص ص80-90

أ-وحدة أرومة الجنس(العرق) في البلدين عبر العصور.....ص ص80-82

ب-وحدة اللغة العربية وتماثل التاريخ،وتطابق التراث والحضارة في البلدين عبر العصور.....ص82

ج-تقاطع الأنظمة السياسية في البلدين من خلال مؤسسة الخلافة.....ص ص83-84

د-تقاطع البلدين في الاختيارات والمآلات الاجتماعية من خلال مؤسسة ركب الحجيج.....ص ص84-86

هـ-مسألة الحدود في البلدين بين إفرازات الاستعمار ومعاينة التاريخ والجغرافيا.....ص ص86-90

ثانيا:العوامل الظرفية المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين.....ص ص91-117

1-الصناعة العلائقية بين فلسفة نظام الحكم في البلدين والتغلغل الأوروبي.....ص ص91-104

أ-فلسفة نظام الحكم في البلدين رافد من روافد الصناعة العلائقية.....ص ص91-100

ب-التغلغل الأوروبي في البلدين رافد من روافد الصناعة العلائقية.....ص ص100-104

2-الصناعة العلائقية بين وحدة العنصر البشري وتماثل منابع الفكر الصوفي في البلدين.....ص ص104-117

أ-العنصر البشري في البلدين ودوره في الصناعة العلائقية .....ص ص104-108

ب-تماثل الفكر الصوفي في البلدين ودوره في الصناعة العلائقية.....ص ص109-117

الفصل الثالث:مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان إسماعيل العلوي 1139-1194هـ/1672-1727م:.....ص ص118-189

أولا:تاريخانية العلاقات السياسية بين البلدين منذ مطلع القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي).....ص ص118-140

1-مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وفلول الوطاسيين بالمغرب الأقصى.....ص ص 118-125

أ- الإرهاصات والتمظهرات.....ص ص118-125

2- مظاهر العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين بالجزائر والسعديين بالمغرب الأقصى..... ص ص126-139

أ- الإرهاصات والتمظهرات.....ص ص126-139

ثانيا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة الهدوء والمهادنة المترهلة..... ص ص140-162

1-الدعاية الدبلوماسية.....ص ص140-158

أ- مستويات البعثات الدبلوماسية بينهما.....ص ص141-156

ب- تداعيات البعثات الدبلوماسية على البلدين.....ص ص156-159

2- تفكيك المخزن المغربي للتركيبة الاجتماعية للقبائل المتحاددة..... ص ص159-162

أ-حضور شرعية المخزن المغربي في التمثلات العقلية والذهنية للقبائل العربية المتحاددة..... ص ص159-161

ب-حضور شرعية المخزن المغربي وأثره في تغيير منطق الولاء والبراء للقبائل العربية المتحاددة..... ص ص161-162

ثالثا:العلاقات السياسية الجزائرية المغربية :مرحلة النزاع والصراع المتوثب..... ص ص163-181

1-الإستراتيجية العسكرية والسياسية في فلسفة الحكم في البلدين للاحتواء السياسي للمغارب.....
.....ص ص163-170

أ-الحملات العسكرية المغربية الإقليمية في عهد السلطان إسماعيل العلوي (1139-1194هـ/1672-1727م).....ص ص163-167

ب-السياسية المغربية الدولية في الاحتواء السياسي للمغارب وموقف الأتراك العثمانيين..... ص ص168-169

2-الدعوات السياسية المغربية الإقليمية المناوئة في عهد إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م) وموقف الأتراك العثمانيين.....ص ص170-181

أ- السياسية المغربية الإقليمية المناوئة في عهد إسماعيل العلوي(1139-1194هـ/1672-1727م) .....ص ص170-175

ب- موقف وسياسة الأتراك العثمانيين من طبيعة السياسية المغربية الإقليمية المناوئة.....ص ص175-181

الفصل الرابع:مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي 1171-1204هـ/1757-1790م:.....ص ص182-243

أولا:العوامل المؤثرة في طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين:من الانفتاحية إلى التعاونية..... ص ص184-211

أ-تأزم أوضاع المغرب سياسيا بعد وفاة السلطان إسماعيل العلوي.....ص ص184-198

1- الصراعات والفتن بين أبناء المولى إسماعيل وأحفاده.....ص ص184-192

2- تدخلات المؤسسة العسكرية (جيش عبيد البخاري)في الشؤون السياسية..... ص ص192-198

ب-الوضع السياسي في الجزائر خلال عهد الدايات.....ص ص198-211

1-نظام الحكم في عهد الدايات.....ص ص198-204

2-مستويات العلاقات بين الجانبين:المركزي والمحلي في عهد الدايات.....ص ص204-211

ثانيا:العلاقات الجزائرية المغربية:الانفتاح السياسي.....ص ص212-239

1-مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح السياسي.....ص ص212-228

أ-بدايات تشكل سياسة الانفتاح بين البلدين سياسيا؛بين التجربة السعدية والعلوية..... ص ص212-222

ب-طبيعة الانفتاح السياسي.....ص ص222-228

ثالثا:العلاقات الجزائرية المغربية:الانفتاح الدبلوماسي.....ص ص228-243

1-مظاهر العلاقات الجزائرية المغربية؛الانفتاح الدبلوماسي.....ص ص228-243

أ- بدايات تشكل سياسة الانفتاح بين البلدين دبلوماسيا.....ص ص228-235

ب-طبيعة الانفتاح الدبلوماسي.....ص ص235-243

الخاتمة:.....ص ص245-249

الملاحق:.....ص ص250-272

ثبت المصادر والمراجع:.....ص ص273-307

فهرس الأعلام:.....ص ص309-322

فهرس الأماكن والبلدان:.....ص ص324-331

فهرس القبائل والجماعات:.....ص ص333-337

فهرس الموضوعات:.....ص ص339-343

الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جوانب من العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر ميلادي؛وفق مقاربة سياسية.

كما تناولت بالدرس والتحليل أهم الظروف والعوامل التي تحكمت في علاقات البلدين خلال القرن المذكور،مع ابراز أهم مظاهرها وتجلياتها والطابع الذي غلب عليها،والآثار التي انعكست على الطرفين وعلى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية:

العلاقات-مقاربة سياسية-الجزائر-المغرب الأقصى-القرن الثامن عشر.

Résumé:

Cette étude vise à mettre en évidence les aspects des relations politiques entre l'Algérie et le Maroc au cours du XVIIIe siècle, selon une approche politique.

J'ai également traité de l'étude et de l'analyse des conditions et des facteurs les plus importants qui ont dominé les relations entre les deux pays au cours du siècle mentionné, en soulignant les aspects et les manifestations les plus importantes , et le caractère qui les a dominés et les effets qui se sont reflétés sur les deux pays et sur la rive de la méditerranée.

Les Mots clés:

Relations- Une approche politique-Algérie-Far Maroc-18ème siècle.

Abstract:

This study aims at highlighting aspects of the political relations between Algeria and Morocco during the 18th century AD, according to a political approach.

It also dealt with the most important circumstances and factors that dominated the relations between the two countries during the century, with the highlight of the most important aspects and manifestations and the character that dominated them, and the effects reflected on the parties and on the southern bank of the Mediterranean.

key words:relations-A political approach-Algeria-Far Morocco-18th century.